

تاريخ جبل نابلس والبلقاء

الجزء الثالث

(عهد تطبيق النظم الحديثة)

تأليف

احسان النمر

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة



صورة المؤلف الاستاذ احسان النمر

مقدمة

الجزء الثالث

(لتاريخ جبل نابلس والبلقاء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اجمعين وبعد ، فان احوال العهود المذكورة في الجزآن الاول والثاني والتي كانت تسير على نظم شرقية اسلامية قديمة تلتها عهود مرتبكة حيث دخلت المدنية الغربية وأنظمتها مما يحتاج الى تحقيق كبير . ولذا فانني وجدت صعوبة في تحقيق حوادث هذا العهد لما كان عليه من التعقيد ولتبدل نفسية رجاله وتنافسهم ولمغالاتهم بالنكايات والمكايد الحزبية . وقد انتهت في هذا العهد الى مصادر معاصرة وهي سجلات المجلس البلدي في نابلس والى ((السالنامة)) وهي سجل احوال الولايات العثمانية الذي كانت تصدره الحكومة سنوياً . وقد صاحبت عدداً كبير من الوجهاء الواعين الذين اخذت عنهم ومنهم : حسين آغا النمر والشيخ رشيد هاشم وحيدر بك طوقان والحاج حسن حماد وسليمان بك طوقان والسيد عفيف عاشور وعبد الفتاح آغا طوقان ومحمود آغا النمر وفريد أفندي العنبتاوي والاستاذ عادل زعتر وطاهر أفندي عبده وعبد اللطيف آغا النمر والشيخ محمد تفاحه والحاج أحمد آغا النمر والسيد سليمان جرى وعبد الرحمن أفندي الحاج ابراهيم (طيبه طولكرم) والحاج حافظ سالم وشريف افندي اصبوح ، والحاج عارف أيوب كمال. ونظراً لاشتغالي بقضية فلسطين ومظاهراتها وثوراتها بنفسي فاني أضفت مذكراتي لكشف الاعمال السرية التي كنا نقوم بها في نابلس ولم يكن بالامكان الافضاء بها في عهد الانتداب وبعده لوجود معتمد الاستعمار كلوب . هذا وانني آمل من الجيل الجديد ان يكون قد تجرد من العنعنات والحسد العائلي فينظروا الى هذا التاريخ نظرة اعلى مما سبقوه وان يرتفع الى مستوى اللبنانيين وتقديرهم لتاريخهم المحلي . والله يهدي السبيل .

المؤلف

احسان النمر

(الباب الاول)

(دور الانتقال الى الانظمة الحديثة)

(الفصل الاول)

(محاولات الاصلاح العثمانية)

(نهضة اوروبا)

نشأت الدولة العثمانية في أعقاب الحروب الصليبية فاستمرت علاقتها مع اوروبا على عدا دائم لم تسالهما قط . اذ كانت حملات صليبية ضد هذه الدولة الاسلامية طيلة الستة قرون التي قطعتها . ولما نهضت اوروبا الغربية سرت روح النهضة الى شرق اوروبا فتحسنت احوال دولتي روسيا والنمسا . فوجدت الدولة العثمانية نفسها امام دولتين معظمتين صارتا تفوقانها في كل شيء . وصارت تخضع للغرامات الحربية في أعقاب الحروب التي تقعد بها عن الاصلاحات الداخلية التي اضطررتها الى أخذ القروض التي اغرقتها ووضعت ميزانيتها تحت المراقبة فما ينسب اليها من التعثر في النهوض هذا سببه .

(محاولة اصلاح الجيش العثماني)

لما شاهد السلطان سليم الثالث تحسن احوال الجيشين الروسي والنمساوي قام يعمل لاصلاح الجيش فقط . فأتى بضباط اوروبيين لتدريب جيش الانكشارية وكانت الملكة كاترينا الروسية له بالمرصاد فوعزت لسفيرها بان يقاوم هذا العمل فاستطاع ان يحرك شيخ الاسلام والانكشارية ، فثاروا على السلطان فقتلوه . وفي جلوس السلطان محمود الثاني بعده ثاروا مرة اخرى وقتلوا الصدر الاعظم علمدار مصطفى باشا فاخرج السلطان العلم النبوي وتجمع الناس حوله واعلن هدر دماء الانكشارية فابادهم واصبحت الدولة العثمانية بدون جيش فترة من الزمن الى ان شكل السلطان جيشاً باسم سكان جديد .

(محاولات الاصلاح العام في الدولة العثمانية)

في هذه الاثناء زحف ابراهيم باشا المصري على بلاد الدولة العثمانية فكسر الجيش العثماني وزحف حتى قرب العاصمة . فارتدت الدولة العثمانية في احضان روسيا فثارت دول الغرب وعقدت مؤتمراً في لندن فالغت المعاهدة الروسية وارغمت الجيش المصري على الانسحاب . وقد وضعت الدولة العثمانية تحت المراقبة واعتبرتها دولة اوروبية مشترطة ادخال الانظمة الاوروبية على دولتها فصدر مرسوم جلاخانة سنة ١٢٥٥ القاضي بادخال الانظمة الاوروبية باسم التنظيمات الخيرية المتضمنة مساواة المسلمين بغير المسلمين . ومنع المصادرة والاعتداء على حرية اي انسان الا بعد محاكمة وتحقيق وان يكون جميع رعايا الدولة آمنين على اموالهم واملاكهم واعراضهم وان لا يؤخذ احد بجريرة احد وان يكون الجميع متمتعين بحرية كاملة فلا يتدخل احد بحرية احد وان لا يسيطر احد على احد وان يحصل على المنصب الذي يستحقه حسب كفاءته . وان تكون الضرائب مفيدة فلا زيادة على احد ومن يأخذ زيادة قرش واحد يعد مرتشياً ويعاقب اشد العقوبات . وكذا الخدمة العسكرية تقيد بخمس سنين فلا تزيد وقد اعتبرت هذه الانظمة معادلة لنتائج الانقلاب الافرنسي .

(بقاء جبل نابلس على حاله)

بعد خروج ابراهيم باشا انفجرت في جبل نابلس حرب اهلية دامت مدة ثلاثين سنة قد ذكرت تفاصيلها في نهاية الجزء الاول باعتبار ان تلك المدة ملحقه باحوال ذلك العهد . وخلال هذه المدة كان جبل نابلس قائمقامية تابعة للواء القدس ولم تتمكن الدولة من ادخال النظم والقوانين . الا ان ابرز الامور في هذا العهد التجنيد الاجباري الذي اخذ دوراً هاماً في حياة جبل نابلس في هذا الدور وما بعده .

(الفصل الثاني)

(التجنيد الاجباري)

(تمهيد)

كانت الدولة العثمانية دولة حربية ركزت جميع امورها على الجيش فاوجدت مسلحا اسمه الانكشارية وبعد القضاء عليه فرضت التجنيد الاجباري . وقد طبق هذا النظام ابراهيم باشا ووالده محمد علي وبعد خروجه طبقته الدولة العثمانية على حال يختلف عن النظم الماضية وهو كما يلي :

(مدد التجنيد)

متى بلغ الشاب الثانية والعشرين كان يدعى الى حمل السلاح ثلاث سنين ثم يعود لوطنه وهو في سن الخامسة والعشرين ويكون تحت الطلب فبمجرد وقوع حرب او ثورة يدعى هذا الشاب مرة اخرى باسم رديف يقضي مدة سبع سنين . فاذا بلغ الثانية والثلاثين يصبح تحت الطلب باسم احتياط لمدة ثمان سنين اي انه ينتهي من الطلب للجندية في سن الاربعين . وتختلف احوال الجندي في هذه الادوار فالدور الاول يقضي اكثر المدة في التدريب فاذا وقعت الحرب ساقوا الرديف الى جبهة القتال رأساً . اما الاحتياط فيبقى وراء جبهة القتال للنقلات والمداخر والمطابخ الخ .

(الاقتراع والبدل)

لم تكن الدولة ترغب بتجنيد جميع الشبان تجنباً للنفقات فاجات للتخفيف كي تبقى في البلاد فئة من الشبان للاعمال. فاجدت استثناءات فكانت تعفى من الجندية الوحيد لأمه وأبيه والمتزوج من غريبة من مقاطعة اخرى اي من قضاء آخر . واوجدت طريقة اخرى للتخلص وهي انها اتاحت لمجلس التجنيد بان ياخذ كنتيجة للاقتراع فيضعون ورقتين في كيس احدهما بيضاء والاخرى سوداء ويكلفون الشاب بسحب ورقة من الكيس فان خرجت بيضاء عوفي من الجندية وان خرجت سوداء سيق الى التجنيد .

وحامل الورقة السوداء كان له باب اخر للتخلص من الجندية وهو دفع بدل نقدي قيمته خمسين ليره (دينار) عثمانية ولكنه اذا دفع البديل لا يعفى من التجنيد بالكلية بل لا بد له من قضاء مدة اربعة اشهر يتدرب فيها على مشاق التجنيد ويتمرن على حمل السلاح على ان يكون هذا في مقاطعة اخرى غير مقاطعته فكان ابناء نابلس يقضون مدة البديل في اقضية عكا ويافا والقدس ويعفى من خدمة الرديف اذا دفع مئة ريال مجيدي اي عشرين ليره عثمانية وخدمة الاحتياط مثل ذلك .

(مجلس القرعة)

كان لمجلس القرعة اهمية كبيرة ولو انه كان يعقد في فترات معينة فكان يعقد برئاسة المتصرف وعضوية المفتي وقائد عسكري وبعض وجهاء بتنسيب من المتصرف وفيما يلي صورة كتاب التنسيب :

نومرو على الغلاف نمزاده¹ فتوتلو عبد الفتاح آغا

٣٣٨ (في الداخل) فتوتلو آغا

بما أنه حصل التنسيب بتعيينكم اعضاء لمجلس القرعة بمركز اللواء لما انتم متصفين به من الاهلية واللياقة فنروم صرف الهمة بمواظبتكم بالحضور للمجلس المذكور من غير فتور ولذلك تحررة لجنابكم هذه الشقة ٤ جا²

سنة ٨٨ / ١٠ تموز ٣ سنة ٨٧ . متصرف لواء البلقاء

محمد سعيد

¹ نمزادة اي من آل النمر ابن النمر

² جا - جماد اول فيشير للحساب الهجري .

³ يشير الى الحساب المالي الذي درجت عليه الدولة العثمانية بالنسبة للشهر الشمسية لثباته ولانه يوفر شهراً واحداً كل ثلاث سنين فالشهر شمسي والسنة هجريه تزيد كل ٣٣ سنة سنة واحدة.

حوادث التجنيد في جبل نابلس

سار التجنيد في جبل نابلس سيراً حسناً وقد شحنت القرعة الاولى في سنة ١٢٦٠ هـ لاختراع ثورة كريد (قريطش) ولم يفكر احد بالتمرد الا ان طيار باشا متصرف نابلس في سنة ١٢٩٢ هـ قتل شاباً اسمه عزيز من نابلس لتمرده وعدم انقياده للتجنيد فاضطربت نابلس وسارت بمظاهرات عنيفة وكانوا يصيحون باهازيجهم⁴ ويلا ويلا يا ويلا هالمصايب قتلوا عزيز صاحته امه غرايب طيار باشا وايش لك علينا. وما زالت الاضطرابات إلى ان عزل طيار باشا وعين عزة باشا فقام الشيخ احمد افندي ابي الهدى مفتي نابلس وعبد الفتاح آغا النمر عضو مجلس القرعة باقتناع البلاد بالخضوع للتجنيد فتجنّدوا مجدداً . فكانوا يودعونهم بالبكاء ويصلون عليهم صلاة الغائب وقد ساقوا الى حرب الروسيا ثلاث قرع لم يرجع منهم الا القليل.

فكانوا يقولون صابنا طاعونين اي الطاعون الحادث سنة ١٢٨١ وفناء الجنود في الحرب الروسية العثمانية .

حب شبان نابلس للجندية ونجاحهم فيها

وبالرغم من التشاؤم فان الشبان صاروا يتجنّدون مع الرغبة وصاروا يرون في الجندية مجالا للرجولة والبسالة فكانوا يظهرن من الشجاعة في القتال والصبر على التدريب مما يجعلهم موضع اعجاب قوادهم وضباطهم حتى بلغت شهرة طواير نابلس مسامع السلاطين فاستخدموهم في حرسهم الخاص وفي معيّنهم كما سيأتي.

وكانت الدولة العثمانية تشكل الطواير باسم المقاطعات فكان طابور نابلس مثال التعاون والاتحاد وكانوا يوقعون المنافسة بينهم وبين غيرهم من الطواير في القتال فيبدون شجاعة فائقة جعلت القواد يعتمدون عليهم ويقدرّونهم فنالوا الاوسمة والرتب الرفيعة . وكان من يداوم يترقى الى عريف فرئيس ضابط فقاتل . وقد داوم كثيرون من ابناء نابلس بعد التجنيد الاول فممن وصلتني اسماءهم محمد بك باكير (الهلم⁵) الذي صار من كبار ضباط الحرس الملكي وكان ممن رافقوا السلطان عبدالعزيز في رحلته الى اوربا وقد تعلم اللغة الفرنسية . ومنهم الشاويش محمود الخلبوص ومنهم ياسين بك الفارس⁶ الذي صار من كبار ضباط الحرس الملكي للسلطان عبدالحميد وقد قرّبه ووهبه احدى السرايري وقد ارسله بهدايا الى ملكي الالمان والحيشة وكان له تأثير في السياسة المحلية كما سيأتي . ومنهم محمود بك شرف السيريسي⁷ الذي صار من ضباط الحرس الملكي الحميدي ايضاً . ومثله عبد الرحيم بك العمير (من جماعين) ومثله حامد بك سليم (من نابلس) . ومنهم علي آغا الفارس الطلوزي الذي بلغ رتبة ضابط نظامي ومنهم بكر بك زكريا الذي صار قائد الف نظامي . وعيد آغا الصراوي الذي بلغ رتبة ضابط نظامي وسيف الدين بك عبد الرزاق طوقان الذي صار امين الاي . والحاج حسن افندي عناب الذي صار كاتب الاي ومحمد بك نظيف (من ميثلون قضاء جنين) وقد بلغ درجة امير لواء وكان يلقب (عرب ارسلان) اي سبع العرب لجرأته واقدامه . وعبد القادر بك صوبح⁸ من نابلس الذي صار امين الاي مشاة وانيس بك النمر (من نابلس) وقد صار قائد سوارى ، علي بك العورتاني الذي صار قائد طابور مشاة والحاج مصطفى الحوتري (من قرية حجه قضاء نابلس) الذي صار ضابط مشاة و خليل آغا جودالله الزبيادي الذي صار يوزباشى (ضابط مئة) فرسان ، وحمد افندي علي بك¹⁰ العنبتاوي الذي بلغ قائد طابور مشاة وعلي بك شيشان¹¹ (من نابلس) الذي بلغ قائد . وشكري بك بن الشيخ محيي الدين ابي غزالة من نابلس وقد كان كاتب الاي مع رتبة خامسة . ومنهم سليمان أبو صفية من جماعين الذي كان بالغ القوة فكان من حرس القصر السلطاني وكان ان نعس فخرج عليه السلطان واخذ بارودته ثم ايقظه ولما لم يجد بارودته حمل المدفع واخذ به سلاماً للسلطان عبد الحميد فضحك منه ورفاه الى درجة شاويش ومن قوته انه رفع جملاً وقع في حفرة كما يرفع خروفاً . وغيرهم ممن لم تصلني اسماءهم ولم يعودوا لوطنهم فتزوجوا واستوطنوا في اطراف الدولة العثمانية

⁴ ونحو هذا ما حدث من هولاء باشا العابد اذ انه صفع سعيد بن عمر ايوب كمال فثار بوجهه العضوان المنتخبان هما سليمان بك طوقان واحمد بك القاسم ووفقاً اعمال المجلس ثلاثة ايام الى ان استرضى المتصرف سعيد ووالده عمر .

⁵ عائلة منقرضة من نابلس

⁶ من قرية طلوزة بنابلس وهو سبب ظهور ال فارس

⁷ نسبة لقرية سيريس في قضاء جنين

⁸ كان لقب آغا يعطى في السابق للمتسلم وللزعيم السباهي ثم صار يعطى للتشريفاتية وللأمين من ضباط الجيش وتفرقاً بين هؤلاء والامراء الاصليين وضعت مدة لهؤلاء وهمزة لاولئك فتكتب آغا وآغا

⁹ ولم يعد لنابلس وقد خلف ولدين تعلموا وعاشا خارج نابلس ايضاً في الجيش وفي الخط الحجازي وهما توفيق افندي اصبوح وخالد بك اصبوح

¹⁰ نسبة لقرية عنيتا .

¹¹ عائلة منقرضة في نابلس ينتسبون الى الجرارة الذين قرر ابن حزم انهم من طيء ووافقه على ذلك ابن خلدون .



صورة بوابة القشلة السجن الآن

(بناء القشلة¹² والدبوية)

وزعت الدولة جيشها على الالوية فاسكنتهم في المدن وكان نصيب نابلس آلاي الفرسان (السواري) الخامس والعشرين فضافت نابلس بهم ذرعا وصارت تحدث اشتباكات بينهم وبين اهالي نابلس فاتفق ذو الشأن على بناء ثكنة لهم اسمها بالتركية قشلاق . وقد عربوها الى قشلة واذ لم تكن احوال الدولة مساعدة فقد تقرر بناؤها بتبرعات من جميع الافراد ومن لم يقدر على دفع ما يفرض عليه يشتغل بنفسه. وقد تشكلت لجنة لجمع التبرعات المفروضة باسم قومسيون تشكل من السيدين علاء الدين زيد ونجيب الخماش عضوي المجلس البلدي ومن التجار السادة الحاج عمر الخواجة طوقان والحاج محمود الخياط والحاج مسعود بدران والخواجة يعقوب الخياط وقد وقع الاختيار على ارض كرم الصمات في مدخل الوادي فقدمها ال النمر هدية لجلالة السلطان عبد العزيز وقد قام بوضع المخطط المهندس الحربي القول أغاسي نوري بك . وقام بالبناء رئيس البنائين اذ ذاك في نابلس احمد ابو السعيد الصروان وكان القومسيون المذكور يقدم المواد ويدفع اجور للعمال وقد دام العمل لهذه الثكنة بضع سنين الى ان تم في سنة ١٢٩٢هـ في اخر حكم السلطان عبد العزيز¹³ ومما بقي من المواد والمال بنى مستودع الاسلحة المسمى الدبوية للجهة الغربية من القشلة حيث دائرة الاشغال اليوم وقد وضعت فيه وعلى عمود عال لاقطة الصواعق لئلا يحدث انفجار في العتاد فكان يقيم فيها الضباط لا سيما ضباط التجنيد والسواري (الفرسان) .



صورة ظهر القشلة

وبهذا منع الجيش من سكنى نابلس الا ان بعض الضباط ظلوا يسكنون في البيوت بالاجرة لاسيما في دور ال عبده في الجهة الشرقية من البلدة فكان لسكناهم اثره .

¹² السجن اليوم.

¹³ وقد كتب على باب القشلة : نصر من الله وفتح قريب

بالمعالي قد انشئت من ذوي الثروة المكرمة

خدمة منهم لسلطانهم صاحب الصولة والمرحمة

اذ هم عبيد شكرهم له ارخوه بهذه التقدمة سنة ١٢٩٢هـ

الفصل الثالث

(تشكيلات المتصرفية واحداثها)

(علاقة جبل نابلس بالدولة)

ظل جبل نابلس يحكم من ابنائه امداً طويلاً وكانت ضرائبه للركب الشامي كوقف فلم يشعر بشيء من سلطة الدولة . وظل كذلك الى ان اخمدت الحرب الاهلية بالقوة كما مر وتشكلت المتصرفية فاصبح حكامه من الغرباء الا ان هؤلاء ظلوا لا نفوذ لهم لقوة نفوذ امراء نابلس فقد ظلت اختام المتصرفين ومن دونهم في ايدي اولئك الامراء الى ان مات الفوج الاول القوي فاستطاع المتصرفون خلق كتلة اخرى تستند على ارباب الاموال لالتزام الاعشار . وقد وجهت هذه الكتلة هدفها ضد تلك العائلات فحصل الانقسام المرير الذي اهوى بقوة نابلس النفسية الى ما نراه اليوم . وظهر سماسرة رشوة ومدبروا قضايا ومشاكل جعلوا البلد غنيمة للموظفين الغرباء كما سيتبين في الابواب الاتية .

(التشكيلات الادارية حسب النظم الحديثة)

كانت ولاية الشام تشمل الالوية الاتية : حما وتتبعها حمص ولواء



مدينة السلط مركز لواء البلقاء

البلقاء ومركزه نابلس وتتبعه البلقاء ولواء القدس ولواء بيروت (ومعه لبنان) ولواء طرابلس الشام وتتبعه اللاذقية ولواء حوران ويتبعه لواء عجلون .
ثم جعلت بيروت ولاية الحقت بها الالوية الاتية : لواء بيروت ، ولواء طرابلس الشام ، ولواء صيدا ولواء نابلس ولواء عكا .

(لواء البلقاء)

كان لواء نابلس مربوطاً بولاية الشام حتى الحكم المصري الا انها بعده اصبحت قضاء مربوطاً بالقدس يتلاعب بمقدراته أفنديات القدس كما تقرر في تقارير القناصل والقواد . فرأت الدولة تشكيل لواء كبير باسم لواء البلقاء ومركزه نابلس يتكون من جبل نابلس بأجمعه ومن البلاد الواقعة شرقي الشريعة (الاردن) والتي كانت عبارة عن جبل عجلون والسلط والكرك والتي عرفت بشرق الاردن فيما بعد . كما الحقت بنابلس منطقة اللد والرملة في التجنيد وقد عينت أول متصرف للواء البلقاء سعيد باشا شموين آغا الكردي الدمشقي . وقد قسم هذا اللواء الى أقضية نابلس ، جنين ، جماعين ، السلط ، الكرك ، جبل عجلون ، ومعان . وقد قسم كل قضاء الى مديريات.

(أزمة وظائف)

فتحت البلاد للنظام الجديد فكان لا بد للدولة من الاستعانة بأمرأ البلاد تعينهم على الاقضية فكان هؤلاء يفتحون بيوتهم مضافات فلا تكفيهم رواتبهم فيستعفون¹⁴ (يستقيلون) .

(مجلس الادارة)

تشكل في نابلس مجلس ليساعد المتصرف من نوعين من الاعضاء النوع الطبيعي اي الذي لا ينتخب وهم القاضي والمفتي ونقيب الاشراف واعضاء ينسبون حسب رأي المتصرف والاعضاء الطبيعيون المذكورون كان اولاً ثم صار بالانتخاب بواسطة جمعية التفريق الاتي الكلام عليها . وكانت لهذا المجلس الذي كان يسمى مجلس الشورى ثم سمي مجلس الادارة اهمية منازعات ثم شكلت مجالس في الاقضية ولقد كانت عضوية هذا المجلس ذات شأن كبير لا سيما في بدايته لانه صاحب الشأن في اللواء اذ لم يكن للمتصرفين شأن واليكم اسماء الاعضاء المنسبين ثم المنتخبين حتى آخر العهد العثماني :

الاعضاء في قضاء نابلس : عبد الفتاح آغا النمر وأحمد بك القاسم ويوسف افندي السليمان عبد الهادي، وامين افندي هاشم ومحمد افندي الحسين عبد الهادي وسليمان بك طوقان وعلي بك طوقان ومحمد افندي عاشور وعبد القادر آغا النمر وعبد الكريم آغا النمر وشريف بك طوقان والشيخ يوسف زيد الكيلاني وعبد الرحيم افندي المحمود عبد الهادي ومحمد أفندي البسطامي وعبد الحليم أفندي كنعان وحيدر بك طوقان والحاج توفيق حماد وعبد الكريم افندي يوسف عبد الهادي والحاج راغب كمال وأمين أفندي عبد الهادي وعبد الهادي أفندي هاشم والشيخ عمرو عرفات ويوسف أفندي اسرافيل.

أما اعضاء قضاء بني صعب فهم السادة : يوسف الناشف ومحمد الحسين والحاج ابراهيم السماعيل ومحمد ابو هنطش وحامد الناشف وعبد الرحمن العبد الله وعيسى البرقاوي وعبد الرحيم الجيوسي وابراهيم الجيوسي والشيخ ابراهيم سماره ومحمود العبد الحليم وعبد الجبار الاعمر واحمد هلال ومصطفى القبح وعبد الحميد الناشف ومحمد حنون وعبدالله الاعمر وحامد ابوالرب وابراهيم خليل والشيخ نجيب عبد المنان واحمد حمد الله وحامد الناشف ، واسعد العموس ، وديب عبد القادر القعدان ، وعبدالله الزامل وقاسم ابو الصيصان .

وفي جنين وقضائها : السادة : الحاج اسعد الطاهر السليمان¹⁵ الجرادات الحاج محمد المنصور وعوض آغا الجرار والحاج سعيد المنصور وصالح الحسين وحسن الحمود وحسن فزع وسعيد عبد العزيز والشيخ سعيد مرعي وبشارة عطاالله والحاج محمد السجدي ومصطفى العبوشي ومصالح الحسين وسعيد الاسعد وخليل الابراهيم ورضوان آغا جرار ومصطفى المفلح وحسين العبيد وامين الاحمد ومحمود ومصطفى العلي وسليم الاحمد عبد الهادي والشيخ محمود ياسين .

وفي السلط السادة : عبد القادر ابو شحور وفياض الحسين والعبد العباسي ، وموسى الشعلان ، واحمد عبد المهدي ، وطعمه .

وفي جماعين السادة : حافظ القاسم ، واسعد الاحمد ، واحمد السماعيل وسليم العثمان القاسم ، وعمر العثمان القاسم ، واحمد الحماد .

¹⁴ من امثلة ذلك ان جدي لأمي عبد القادر آغا النمر عين قائمقام الجبل عجلون فصار يصرف راتبه وقسم من وارد أملاكه في نابلس فاستقل . وهكذا حصل مع درويش بك طوقان قائمقام السلط ومع والدي نجيب آغا النمر مدير ناحية الشعراوي .

¹⁵ كانت عضوية الشيخ اسعد الطاهر السليمان من اولاد صالح شيوخ الجرادات من ابرز حوادث هذا الدور اذ كانت الحكومة لا تعرف الا عبد الهادي وجرار ولما غضبت على هاتين الحاملتين احتاجت الى وجيه تنسبه لمجلس الادارة عن قضاء جنين فنسب عبد الفتاح آغا النمر قريبة شيخ الجرادات تلك العشيرة التي كانت تأتي بالدرجة الثانية بعد تلك العشيرتين . فنزل نابلس فانضم اليه اخوه من جهة امه الحاج ابراهيم الحمد العنيتاوي واقاربهم آل فخر الدين فتكون ثلوث عصبي شديد الترابط ببعضه ، وقد انضم اليهم آل القاضي وحيانا آل عبد المجيد فكان هذا أول تكتل في العهود الاخيرة ولما تشكلت الجمعية العباسية الحمادية كان من اهم اجنحتها وظل كذلك الى ان تشكلت حزبية الانتخابات المجلس الاسلامي فانقسمت هذه الكتلة الى طاهر برئاسة المرحوم السيد عزة اسعد الطاهر الذي انضم الى حزب الاهالي برئاسة السيد عبد اللطيف صلاح والى عنيتاوي برئاسة السيد فريد العنيتاوي انضمت الى كتلة الحزب الوطني لانتخاب التميمي ثم اصبحت تمثل جماعة المفتي

(دائرة التحريرات)

هي ديوان المتصرفية او القائمقامية وكان لقب رئيسها مدير التحريرات وكان وكيلاً طبيعياً للمتصرف وهو امين السر اليوم .

الفصل الرابع

(عوامل الهدوء والاستقرار)

(في هذا الدور)

(تعقل امراء نابلس)

كان الفوج الحاضر من امراء جبل نابلس من الذين انضجتهم الحوادث وهم : عبدالفتاح آغا النمر الذي قضى سبع سنين في جيش ابراهيم باشا المصري ثم حضر الحرب الاهلية وقد اصطدم بضيا بك المصري ومثله سليمان بك طوقان الذي شاهد أيام ابراهيم باشا المصري والحرب الاهلية والفتن الشعواء ، وكذا احمد بك القاسم ويوسف افندي السليمان عبد الهادي والمفتي الشيخ احمد أبي الهدى وغيرهم . وقد تفاهموا جميعاً واتفقوا على ان لا يتركوا مجالا للمتصرفون لاستغلال اي خلاف يطرأ فكانت اختتام المتصرفين بايديهم فانقضى دور الانتقال دون ان يعرف المتصرفون الغرباء عن احوال البلاد شيئاً . وكان هدوء واستقرار ووحدية وتضامن تستحق الاحترام وقد حصلت محاولات لاستغلال اي بادرة خلاف فباعت بالفشل .

(بعض امثلة عن مواقف امراء نابلس المشرفة)

(في هذا الدور)

الاول: كان اول مثل ضربه في اخريات صله نابلس بالقدس . فقد اغرى متصرف القدس باعطاء التزامات اعشار القرى لاناس من خارج جبل نابلس لان المقاطعات كانت متقاسمة بين الامراء والشيوخ ولم يكن احد يزيد على الآخر . فتقدم السيد عمر عبد السلام يونس الحسيني فزاد على التزام قرى ناحية جماعين وكانت لاحمد بك القاسم فتركها دون مزاد ففرح بها الحسيني الا انه حيز تم الحصاد والدرس فقدت اكثر الغلال ولم يتمكن من الحصول على الاعشار رغم مساعدة الحكومة له . فكان هذا سبباً في ضياع ثروة السيد الحسيني ونكبته بعد ان كان اكبر ثري في لواء القدس .
الثاني: وقع نفور بين المتصرف والنيقب الاشراف الشيخ عباس تفاحه فأرسل الاخير شكاية الى الولاية مع ولديه فبلغ المتصرف فأرسل ثلة من الفرسان ارجعتها من الطريق وادعها السجن . وشاع الخبر فهاجت البلد فاتفق اعضاء المجلس على ايقاف الاجتماعات واصبحت البلد في حالة غليان . وفي الوقت المعين وبعده لم يحضر احد فارسل المتصرف رسولا من طرفه الى احمد بك القاسم اقرب الاعضاء بيتا للسرايا يسأل عن عدم الحضور فاجاب الرسول بعدم الاعتراف بالمتصرف . ولما بلغ هذا للمتصرف عاد مع الرسول الى بيت احمد بك القاسم يسأله عن جوابه فقال له : (لي في هذا البلد سنتين فكيف تنكرني الان) . فقال له احمد بك : (كنا مخطئين فانك تجهل الاصول فالنيقب يحبس الاشراف في بيته فكيف تحبس ولديه في سجنك ، ان البلد في حالة غليان . فقال له المتصرف : (ماذا اعمل الان) فقال له : (لا ادري هذا الامر لا ابت به وحدي) .

فارسل احمد بك رسله يدعون اعضاء المجلس لبيته فحضرهم جميعاً وهم يعرضون عن المتصرف ويبلغون احمد بك بأن البلد في حالة اضطراب . وقر رأيهم بعد ذلك على ان يذهب الجميع بالمتصرف الى بيت النقيب مع هدية مناسبة ومعهم ولديه للاعتذار والترضية . فلفوا على النقيب وارضاء لولديه عين الشيخ محمد قاضياً لجبل عجلون واعطيت للشيخ عمر صلاحية بأن يكون مراقباً لعرائض المتصرفية فتمر عنه ويدققها لقاء جعل رسمي

الثالث: ثم بلغ المتصرف ان نفوراً وقع بين سليمان بك طوقان واحمد بك القاسم وكان على الاخير ديناً من حساب التزامه فقال له بحضور سليمان بك انت (يسق) (اي ممنوع) حتى تسدد ما عليك من دين للدولة ، وما كاد يتم كلمته حتى صاح سليمان بك هذا ما يكون امير البلاد لا يحبس وخرج الى قائد الجاندرمة (الشرطة) وانذره ان هو منع احمد بك ليقطعن رأسه بسيفه وهو يهزه بوجهه . فلما سمع منه هذا كر صاعدا يخبر المتصرف فامتقع لونه وقال لاحمد بك انا امزح وارضاء له اعطاه اعشاره مقسطة لستة اقساط بدلا من ثلاثة .

الرابع: وكان المتصرف شكري بك فتي جهولا فخرج في نزهة مع شبان آل عبد الهادي فتشائموا فجاء يشكوهم لعميدهم¹⁶ عبد الرحيم افندي المحمود وكان يلوح بخيزرانه كانت في يده فطرده لقله ادبه .

الخامس: ولم تكن نخوتهم لبعضهم فقط بل كانوا كذلك لكل افراد الشعب وقد رأينا ما حصل لقتل عزيز . ونحو ذلك ما حصل من تطاول المتصرف وصفعه الشاب السيد سعيد عمر ايوب كمال في مجلس القرعة . فوقف الاعضاء العمل الى ان اعفي هذا الشاب من الجندية لقاء صفعه . وهكذا كانوا في جميع مواقعهم في هذا الدور فلم يكن للمتصرفين ولا اي موظف اداري او عسكري سلطة تذكر .
اعتدالهم نحو غير المسلمين

ذكرت في الجزء الاول من هذا الكتاب كيف ان عبد الفتاح آغا النمر تدارك النصارى ولم تحصل مذبحه كما حصل في سوريا ولبنان وثمت حكاية فردية ارى وجوب ذكرها وهي ان كاتب عبد الفتاح آغا النمر كان نصرانيا اسمه سليمان القره وكان يستفيد كثيراً من وجوده في هذه الوظيفة . فرأى بعض وجهاء المسلمين تحويل هذه الفائدة الى شاب مسلم فوفدوا على ديوان عبد الفتاح آغا ومعهم شاب يدعى شكري الصفدي فأوقفوا القهوة وقالوا له أخرج هذا الكافر (أي سليمان القره) وعين هذا المسلم اي شكري الصفدي. فغضب الآغا وقال لهم (هذا كاتب لمصالحى مش امام لصلاتي) . فخرجوا حائقين ولم يشربوا القهوة ، فهذا التصرف لو كان من وزير من وزراء الدولة لاشادت به صحف اوروبا في ذلك الوقت .

منع الرشوة

وكان المجلس ساهراً فيضرب على ايدي المرتشين والمتسلطين كما يظهر من الامر الاتي اعلام به الى اهالي قرية عسيرة عموماً¹⁷ .

بتاريخه تشرفنا بأمرهم من الطرف الاشرف المشيري المعظم المنطوق الكريم بان نظار المقاطعات ومشايخ القرايا يحصلون دراهم من الاهالي باسم مصاريف ذاتية لهم بدعواهم ان ليس لهم معاش على طرف الخزينة وصار الامر الكريم بمنع ذلك أصلاً وان الاهالي لا يتكلفوا دفع باره الفرد من الدراهم ولا حبة واحدة من الغلال ، ولا من كامل الاشيا خلاف المرتب عليهم لجانب الخزينة. وقد تحرر من المجلس مضابط الى كامل نظار ومشايخ نواحي سنجا نابلوس وجنين بكل تشديد بمنعهم عن هذه الامور المغايرة اصلاً ومن بعد الان اذا انسمع انكم دفعتم الى محصلكم بارة الفرد من الدراهم او حبة واحدة من الغلال او من كامل الاشيا فتكونوا جلبتم لانفسكم الضرر والبلا ويجري على اواذك قصاص الراشي واذا محصلكم طلب ادنى شيء منكم فلا تعطوه واذا اعطيتموه تكونوا خالفتم الامر الكريم واذا يأخذ شيء منكم بالقوة يلزم تقدموا الشكاوي لطرفنا وبحوله تعالى وانفاس الدولة العلية نصرها رب البريه يصير منع تعدى المذكور عنكم بحسب منطوق الامر الكريم يكون معلومكم / ٢٧ ص ١٨ سنة ٦٦ .

قي مقام¹⁹ سنجا نابلوس وجنين

سليمان طوقان

كاتب	اسعد الطاهر	الحاج	عبد الفتاح	احمد ابو الهدى	عبد الواحد الخماش
محمود	امين	النمر	المفتي بنابلوس	نائب نابلوس	
التميمي	هاشم				

¹⁶ كان عبد الرحيم افندي المحمود عبد الهادي ذا نفوذ ومقام في الحكومة اذ كان يحمل لقب سربوايين دركاه عالي ولقب مدير اصطبل عامره وهما من القاب الشرف ان ذاك ولهما اوسمة خاصة وقد توفي سنة ١٣٢٢ م .

¹⁷ صورة عن أصل محفوظ عند الاستاذ محمود العابدي .

¹⁸ كانوا يرمزون للاشهر الهجرية بحروف كما يلي

م - محرم ص - صفر را - ربيع اول ر - ربيع ثاني جا - جمادى الاولى ج - جمادى الاخرة ب - رجب ش - شعبان ن رمضان ل - شوال فف - ذو القعدة ذا - ذو الحجة والسنة هي سنة ١٢٦٦ م .

¹⁹ كان هذا قبل تشكيل المتصرفية ولم يكن يطلق عليه مجلس الادارة بل مجلس الشورى

(الفصل الخامس)

تشكيل البلديات

فكرة التأسيس

كما من اهم ما حصل بعد تشكيل المتصرفية تأسيس دائرة بلدية في كل قضاء وقد بدأ هذا بادارة اللواء اي في نابلس وكان ذلك في ايلول سنة ١٢٨٤ مالي²⁰ الموافق جمادى الاولى سنة ١٢٨٥ هجري حوالي ١٨٦٨م وفيما يلي صورة²¹ مرسوم التعيين وهو شامل للصلاحيات والوظائف .

فخر العلماء الكرام ذوي السادات الفخام مودتو الشيخ محمد افندي تفاحه الحسيني المنسوب الان رئيساً للمجلس البلدي في نابلس مركز متصرفية لواء البلقاء زيد فخره .

لما كان تشكيل المجالس البلدية في مراكز الالوية هو متكفل في محسنات عديده الى البلدان قد نوسب لدى الولاية الجليلة تشكيل مجلس بلدي في نابلس مركز متصرفية لواء البلقاء ونظراً لاهلية ولياقة جنابك صدر امر الولاية بتعيينك رئيساً الى المجلس المذكور على وجه ان يتخصص معاش مناسب تتناوله شهر بشهر من اعتبار تشرين الاول سنة ١٢٨٤ من واردات ومن مقدار الرسوم التي تخصص له . وحيث المجلس المذكور جرى تشكيله وتقدمت مضبطة جوابية لاعتاب الولاية الجليلة بطلب تعليمات مصحوبة بعلم مقدار الرسوم المخصص الى المجلس البلدي مع بوصالية معاش فيجب أنك تداوم على الحضور الى المجلس صارفاً الهمة بالاتفاق مع عموم اعضايه لاستكمال وسائل طهارة البلدة ونظافتها وتعديل اسعار ارزاقها وتحسين عمرانها حسب التعليمات التي ترد من مركز الولاية ايجاباً لحمايتك واقتضا لفرايض الغيرة الوطنية والانسانية وبناء على ذلك قد تحرر هذا المرسوم من جانب متصرف لواء البلقاء ليعمل بموجبه / ٢٠ جمادى أول سنة ١٢٨٥ هجري ايلول سنة ١٢٨٤ مالي .

اهمية المجلس البلدي في هذا الدور

مارس المجلس البلدي بنابلس في هذا الدور صلاحيات واسعة وكان يتدخل في شؤون الاقضية جميعها لانه كان يجبي بعض اقلامه منها وكان يشرف على الانشاءات والعمارات التي تقام فيها كالمدارس والمساجد ودور الحكومة والثكنات . وكان المتصرف ومجلس الادارة يحولون للمجلس البلدي اعمالاً كثيرة لا سيما الامور التي يطلبها الجيش .

وقد تولى رئاسة المجلس البلدي في هذا الدور نخبة من الامراء والوجهاء وهم : الشيخ محمد تفاحه ، علي بك طوقان ، وسليمان بك طوقان ، وعبد الفتاح آغا النمر ، وحسن افندي عبد الرحمن عبد الهادي ، ومحمد افندي البسطامي ، وعبد اللطيف افندي السعيد عبد الهادي ، وبشير بك طوقان والحاج توفيق حماد ، والحاج محمد عبده (الغزاوي) ثم كان غيرهم بالتعيين كما سيتبين.

وكذلك عضويات المجلس فقد نسب وانتخب لها نخبة من الامراء والوجهاء وهم السادة : عبد القادر النمر وعبد الكريم النمر وقاسم عبد الرحمن عبد الهادي ، وعلاء الدين زيد ومحمد ابراهيم فخر الدين واحمد الخياط ويوسف زيد القادري وعبد الله قمحية ومحمد عارف الجوهري ونعمان الجوهري وعبد السلام الحنبلي والشيخ سليمان تفاحه ومحمد قناديلو ونجيب الخماش ومحمد عثمان السايح وحامد القدومي وعباس تفاحه وداود الخياط وعبد الله الطاهر وعبد الرحيم السخن وحسين يعيش واسماعيل الشافعي وعبد الحليم كنعان وعبد القادر صالح الباشا وشافع عبد الهادي وقاسم النمر ورامز النمر وخضر شحاده الخماش ومحمد الشراي وسليمان الصمادي وبدوي عاشور وحسن العنتاوي وكمال الدين عرفات ومطيع عبده (الغزاوي) ومحي الدين ابو غزاله والحاج محمود كنعان وطاهر كمال وطاهر صلاح ومحمد سليم الجوهري واحمد العمدة و خليل كوكش واحمد الشراي وحافظ البيك طوقان ومن المسيحيين يوسف فريز وايليا بطرس وعيسى اغابي وسليمان القره وعن السامريين اسماعيل بن اسرائيل وصدقة وحبيب .

اما مجالس بلديات الاقضية فقد وصلتني الاسماء الاتية ما عدا جماعين وعجلون فلم يبلغني عنهما شيء . فروساء مجلس بلدية جنين منذ التأسيس حتى نهاية العهد العثماني هم السادة: راغب الدسوقي ، الحاج يوسف بن محمد العلي والحاج حسن فزع والحاج حسن المنصور .

²⁰ رأى رجال المالية العثمانية ادخال السنة المالية في ادارة الدولة فأبقوا حساب السنين بالهجري والشهور بالشمسي فاصبح الفارق يزيد سنة كل ٣٦ سنة وقد عرفت بالسنة الرومية .

²¹ من سجلات البلدية بنابلس .

اما رؤساء مجلس طولكرم فهم السادة صالح العواد واحمد ابو الرب والشيخ محمد بركه وعبد الرحمن الحاج ابراهيم الذي دام فيها نحو ثلاثين سنة



عبد الرحمن افندي الحاج ابراهيم



الشيخ محمد بركه

اما رؤساء بلدية السلط فهم السادة الحاج مصطفى الداود واحمد عبد المهدي وسعيد الصليبي ونمر الحمود وذوقان الحسين وعبد الله الداود .

والاعضاء في بلدية السلط هم السادة : عبد القادر ابو شحور وعبد العباس وموسى الشعلان ويوسف السكر والحاج شاكرا النابلسي والحاج محمود العريبات وسيف الدين طوقان والحاج خليفة الياسين وعواد الراشد وحسين اليوسف ونمر العريض وعباس المصطفى ومحمد ابو بكر وفياض العميرة ومحمد الرشدان والحاج فوزي النابلسي ومحمد سلامة وعطا الله قبعين ويوسف العبد موسى وصالح ابو جابر .

نظام انتخاب المجلس البلدي

كانوا يقولون عن الصوت رأى فكان ساكن المدينة الذي يدفع ضريبة مقدارها خمسون قرشا فما فوق يعتبر صاحب رأي وله الحق في الانتخاب اما الترشيح فلا يحق لصاحب الرأي ان يترشح الا اذا كان له دخل سنوي من املاك المدينة (٢٥٠٠) قرشاً فما فوق ثم جعل حق الترشيح لمن يدفع ضريبة مقدارها مئة قرش فما فوق . وكان الانتخاب يجري كل اربع سنين وبعد الانتخاب بسنتين يقترح على نصف الاعضاء فيبدل النصف الآخرين ممن اتو بعدهم بالدرجة .

وكان الانتخاب يجري باشراف لجنة انتخاب تتكون بتكليف مختير وائمة الحارات اي المحلات (الاحياء) الستة لتقديم وجيهين من وجهاء كل محلة ومن هؤلاء الوجهاء الاثنى عشر يقترحون سبعة هم لجنة الانتخاب التي تعمل مع الرئيس والمجلس الحالي فتجري الانتخاب والاقتراع في نصف الدورة .

نتيجة الانتخابات الاخيرة للمجلس البلدي في نابلس

في العهد العثماني

لقد كان لي في سجلاب بلدية نابلس مصدراً حسناً وقد وجدت نتيجة الانتخاب الاخير في العهد العثماني مدونة حرفياً كما يلي : بلغ عدد اصحاب الاراء الذين يحق لهم ان يعطوا رأيهم وان يترشحوا للعضوية (١٠٩) اشخاص وعدد الاشخاص الذين يحق لهم ان يعطوا رأيهم فقط (١٥٩) شخصاً وقد ضم اليهم نتيجة للاعتراض خمسة اشخاص من النوع الاول و (٣٤) شخصاً من النوع الثاني وان الذين اعطوا رأيهم ووجدت مكاتيبهم في صندوق الانتخاب (٢٠٦) أشخاص . وبعد فتح الصندوق كان توزيع الآراء كما يلي:

(١٥٥) رأيا لاسماعيل²² آغا النمر (١٣٧) رأياً للشيخ مطيع عبده (١٢٧) رأياً للشيخ سليمان الصمادي (١٢٢) للحاج عبد الرحيم النابلسي (١٢١) رأياً للشيخ نور الدين العكر (١١٤) رأياً للحاج طاهر كمال (٩٤) رأياً لاحمد افندي الشكعة (٩٤) رأياً للشيخ عمر زعيتر (٦٩) رأياً لحيدر بك طوقان (٦٦) رأياً لعبد اللطيف افندي الخماش (٢٤) رأياً لكامل افندي هاشم و (٦) آراء للحاج يوسف التميمي و (٤) آراء للحاج غر النابلسي و (٣) آراء لكل من الحاج عبد الغني العنبتاوي والشيخ محي الدين ابي غزالة وحسن افندي عبد الرحمن عبد الهادي والحاج سعيد كنعان والحاج طاهر كنعان ورأي واحد لكل من الشيخ عارف الجوهرى وعبد اللطيف افندي السعيد وعلي افندي المصري . وقد عين حيدر بك للرئاسة وبعده عين الشيخ عمر وفي عهده صار الاحتلال البريطاني.



صورة اسماعيل آغا النمر الذي فاز باكثر الآراء في الانتخابات
الاخيرة للمجلس البلدي في العهد العثماني

²² ان هذه الاصوات التي نالها اسماعيل آغا النمر في هذا الوقت دلت على ما لا يزال لال النمر حتى الآن من التزكية الشعبية المجردة لانه في هذا الوقت كان نفوذ الحزبين قد سحقه الاتحاديون فبرزت المكاتبة الشعبية المجردة .

(صلاحيات المجلس البلدي واعماله)

كان المجلس البلدي في عهده الاول يمارس صلاحيات واسعة فقد كان في بادئ الامر يقوم بواجبات عدد من الدوائر كالصحة فهو يدعو الى التنظيف ورعاية الامور الصحية ويعاقب مخالفيها رأساً دون الرجوع الى المحكمة وكان طبيب البلدية يقوم مقام دائرة الصحة اليوم وكان المجلس البلدي يقوم مقام دائرة الاشغال بالاشراف على مباني حكومة اللواء جميعه فقد قام في هذا العهد ببناء دور الحكومات للسلط وبني صعب وجنين²³ وقد اشرف وقام ببناء القشلة والدبوبة والسجن في نابلس وقام ببناء المدارس الابتدائية والاعدادية الاولى في عواصم اللواء جميعها . وقد اقام القايق على نهر الشريعة (الاردن) لتسهيل الانتقال وهي تسحب بالحبال من جهة لآخرى واصبحت احد موارده وكان يقوم بأعمال وتجارب زراعية فاجرى تجربة زراعة قصب السكر فنجحت على ايدي زراع بيارات اتى بهم من يافا . وقد اشترك بمعرض لندن سنة ١٢٨٧ الاتي ذكره . وكان يسيطر على الباعة المحترفين وأوزانهم ومكاييلهم ويضارب المحتكرين ولا سيما باعة اللحوم²⁴ . وكان يراقب الافران والحمامات لا سيما نظافة خزائنها ويتدخل بمكيال المصابن والمعاصر . وكان يقوم باعمال كثيرة يحولها اليه مجلس الادارة . وكان يساعد المدارس بكثير من الامور فكان يؤثث المدارس ويقدم لها المكافآت والنفقات للحفلات السنوية والفحوص وكان يقوم بما يتطلبه الجيش من المؤن والحاجات الضرورية حين مروره عن نابلس وكان يقوم باعداد الزينات والمهرجانات السنوية وترتيب الاحتفالات والمهرجانات حين زيارة رجالات الدولة وضيوفها من رجالات الدول الاخرى . وكانت له سيطرة على المهن²⁵ والحرف والصناعات لانه هو الذي يشرف على تعيين نقاباتهم وتعيين رئاستهم ويرخص لهم . وكان جلاوزته يقومون مقام دوريات الشرطة وكانوا يراقبون السلوك والاداب العامة فيقبضون على المعردين ويمنعون الجلوس في الشوارع وفي دكاكين الحلاقين ويمنع الرجال من الاقتراب من منتزهات النساء وكان جلاوزته يمنعون الاولاد من التجمهر لاسيما على ابواب المساجد يوم الجمعة وكان يقفل المقهى اذا لاحظ ان فيها لعب قمار وكانوا يمنعون التاخر فيها . وكانوا يمنعون اطلاق النار في الليل ويمنعون المرور في الليل الا بقناديل . وكان المجلس البلدي يرفض اعطاء رخص لبيع المسكرات وكان يراقب سلوك المبشرين وقد طلب اخراج خوري اللاتين لفساده وتهجمه . وكذا رجال الدين المسيحيين اذا خرجوا . اما النظافة والانارة فانه في بادئ الامر اناطها بالمختار و امر كل ساكن بناء فوق الزقاق ان ينزل قنديلا لانارة الزقاق ثم تولى امر الانارة والتنظيف بعد ان فشلت الطريقة السابقة . وكان المجلس البلدي يعطي الانارة والتنظيف لمتعهدين سنويين بالمناقصة .

(موارد المجلس البلدي ونفقاته)

كانت الذبحية اهم موارد المجلس البلدي ثم تليها رسوم انوال القطن وقشه ثم الباج اي رسوم بيع الحيوانات وبيع الفواكه والخضار والكيالة والقبان ورخص الابنية وقايق الشريعة ورسوم بيع الفحم والمصابن والدلالة والكمرك ورسوم الباعة ثم اعطيت البلدية صلاحية فرض ضرائب على المساكن والدكاكين وقد بلغ ايراد المجلس البلدي بنابلس سنوياً (١٢٧،٨٥٢) قرشاً من عملة ذلك الوقت التي كانت قيمتها الشرائية كبيرة بالنسبة الى عملة اليوم . اما نفقاته فكانت اقل من وارداته رغم انه كان يدفع (١١) الف قرش لبلدية عاصمة الولاية واربعة آلاف قرش لمهندس بلديات الولاية ولسر بيطر الولاية كذلك . وكان ينفق لرواتب الموظفين التي لم تكن باهظة فقد كان راتب الرئيس (٧٥٠) قرشاً ولكل من الكاتب والمفتش (٢٧٥) قرشاً ولأمين الصندوق (١٧٠) قرشاً وللشوايش (١٥٠) قرشاً . وكان يعطي لشعبة المعارف عشرة آلاف قرش . وكان يدفع مخصصات لرئيس البنائين الذي كان يسمى (القفلة) وكان ينفق لدفن الفقراء والحيوانات ولهدم المباني الخطرة ولرصف الطرق وينفق رواتب لبعض الاسر الفقيرة ولمدفع رمضان الذي كان يستاجر من القدس ولمساعدة ابناء السبيل المنقطعين ولمقاومة الملاريا ولاصلاح قايق الشريعة ولتأثيث المجلس البلدي نفسه ومع ذلك فانه يوفر نحو ثلث دخله فتشعر المتصرفية فتخبر الوالي فيوعز لبلدية العاصمة للاستقراض ثم لا تعيده للبلدية كما ظهر لي من المخابرات وهذا مالم يهتد اليه مؤلف كتاب ولاية بيروت .

²³ ان هذه الاصوات التي نالها اسماعيل أغا النمر في هذا الوقت دلت على ما لا يزال لال النمر حتى الان من التزكية الشعبية المجردة
²⁴ حصل في عهد رئاسة بشير بك طوقان ان ارتفع سعر اللحم الى ان بلغ الرطل (١٢) قرشاً فارسل رجالاً من طرفه فاشتري قطعاً من جبل الدروز وباع رطل اللحم بثمانية قروش فاضطر الجزارون الى الاتفاق على بيع الرطل بعشرة قروش .
²⁵ كان للبلدية مفتشون ورئيس مفتشين وكان لهذا سيطرة فعلية قد استغلها السيد محمد الفتياي ايما استغلال فقد بلغت قصص كثيرة عنه منها انه كان كل موظف يدفع له شيء من راتبه على الصندوق حتى بلغ المتصرف .

(الفصل السادس)

(حوادث واحداث هذا الدور)

(هجوة الشركس واثرها)

تغلّبت دولة روسيا على الدولة العثمانية فلم تطق الشعوب الاسلامية البقاء ونزحت الى بلاد الدولة وكان ابرز هذه الشعوب الشركس²⁶، فوزعتهم الدولة على البلاد الخالية فاتى بعضهم بحراً الى عكا وبعضهم الى دمشق ثم نزحوا عنها الى نابلس وكان ذلك حوالي سنة ١٢٩٦هـ²⁷ وفق ١٨٧٩ ميلادي وقد انزلوا في الجامع الكبير الصلاحي وفي الوكالات ونزل كبراؤهم في قصور آل النمر وبيوتهم في حي الحبلية وقد ظلوا في ضيافتهم مدة سنة مع العطف²⁸ والمساعدة لبقائهم . وبعد ذلك وبعد مخابرات وشكاوي فطنت لهم الدولة فعينت درويش بك طوقان مأموراً لاسكانهم فانزلهم في اراضي الغابة من بني صعب وارضى اللجون من قضاء الكرك .

(هجرة الشاشان واسكانهم)

وهاجر من القفقاس قوم يعرفون بالشاشان هاجروا الى الاناضول (آسيا الصغرى) حوالي سنة ١٩٠٥م ثم رحلوا منها الى البلقاء فاستوطنوا في الزرقاء وصويلح والسخنة . وقد عرف عنهم التدين والاخلاص .

(هجرة التركمان واسكانهم)

التركمان من الشعوب الطورانية التي نزلت وسكنت في آسيا الصغرى قبل مجيء العثمانيين وقد انشأوا دولتين هما اصحاب الغنم السوداء واصحاب الغنم البيضاء . وقد حكموا مع آسيا الصغرى العراق وشمال سوريا وقد امتدوا في ساحلها وقد شرحت عنهم وعن موافقهم في نصرة أهل السنة في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد نزلوا في لواء نابلس مع حملة الامامية وكان أمراؤهم آل شهوار الذين عرفوا بال سوار وقد مر ذكرهم ، وقد اندمجوا مع العرب وقد كان منهم قبائل سبعة في مرج ابن عامر في المنسي وهم بدو وقد انتقلوا بعد الهجرة الى بلاد الاردن ، وقد اعاد التاريخ نفسه فقد هاجرت عشائر منهم الى هذه البلاد حوالي سنة ١٨٧٤ من جهة ازمير ثم عاد بعضهم واستقر الباقون في يانون²⁹ وام الرمان وعين الحمر

(نقل الشركس الى جهات اخرى وتسليط البدو)

ولوجود مستنقعات (بصاص) حول تلك الاراضي فقد فتكت بهم الملايا فانتقلوا الى عمان وصويلح ووادي السير وناحور والرصيفة وهنا ابتلوا بشيء لا يقل عن الملايا وهم البدو الذين ظنهم روس وغير مسلمين فكانوا يطلبون وقدأ من مضيقهم بنابلس آل النمر يشهدون لدى البدو بانهم مسلمون وانهم بوجههم وما زالوا يفدون حتى العهد الفيصلي نعم ان الدولة امدت ميرزا باشا³⁰ بقوة من الفرسان الا ان هذا لم يكن يغير فكرة البدو فاضطروا الى الاستنجاد بال آغا النمر فراح وفد من اسماعيل آغا ومنيب آغا النمر وقد أركبهم عربية شركسية من نابلس واليها كما حدثني سعيد بك اسحاقيات في بيته وهو مريض .

²⁶ كانوا في بلاد القفقاس وقد جاهدوا ضد الروس بقيادة اميرهم الشيخ منصور ثم سلموا على شروط نقلهم الى بلاد الدولة فنقلوا الا انهم غدروا بهم فأغرقوا بعضهم ونقل الباقون الى عكا ثم نزلوا في دمشق ونابلس ومن الاولى الى القنيطرة وهؤلاء هم قبيلة الشابسوغ والجادوغ
²⁷ واستمرت هجرتهم حتى سنة ١٩٠٩م اذ ان بقيتهم المعروفون بقبيلة القيرطاي تأخروا يجاهدونهم والداغستان تحت امرة الشيخ شامل واولاده .
²⁸ لما نزلوا في الجامع زارهم كبراء آل النمر اذ ذاك وهم عبد القادر آغا النمر وعبد الكريم آغا النمر وحسين آغا النمر وطلبوا التعرف على كبرائهم من آل زكريا وآل اسحاقيات وآل المفتي فنقلوهم الى قصورهم ودورهم وعن طريقهم ساعدوا الباقين مدة وجودهم في نابلس ولم يقتصر امرهم على هذا بل ظلوا يردون عنهم تحاميل البدو وهذا ما روى لي عن طريق كبرائهم كالحاج محمود زكريا والسيد محمد المفتي (والد سعيد باشا) واسحاق بك اسحاقيات عن ولده سعيد بك اسحاقيات قال لي سعيد بك اسحاقيات ان والده اوصاه بحفظ مودة آل النمر لان الشركس مدينون بحياتهم ويقائهم في اول مجيئهم لهذه العائلة التي قامت مقام الدولة نحو سنة اول مجيئهم ثم بعد ذلك الى اول الاحتلال البريطاني . اما الحاج محمود زكريا ومحمد بك المفتي فكانا يكرمان كل من يظفرون به من حي الحبلية بنابلس ويعفون عن كل اساءة تصدر منه اكراماً لخاطر آل النمر كما روى لي من صادفوا ذلك .
²⁹ ثم عاد هؤلاء الى بلادهم

³⁰ كانت الدولة العثمانية استخدمت عدداً من رجالات الشركس في وظائف ولايات الشام والقدس وبيروت ولبنان لما عرفت فيهم من الشجاعة والاستقامة وكان منهم مصطفى رمزي باشا متصرفاً على لبنان ورستم باشا قائد الجاندرمة (الشرطة) في القدس وميرزا باشا قائد الجاندرمة في بيروت وقائد الفرسان خسرو باشا الذي اشتهر بالشدة وقوة المراس فاضع الكرك في عهد المتصرف حلمي بك ولما اشتدت وطأة البدو في أخريات العهد الحميدي امدت الدولة ميرزا باشا بفرقة من الخيالة (الجاندرمة) وقد ضم اليهم ما قدر من خيالة الشركس فصار يرد البدو منذ الربيع عن اراضي ومقاطعات المهاجرين من شركس وشاشان الخ. وأخيراً قويت الحكومة واستتب الامر فاستخدموا للحرس الاميري الهاشمي .



(صورة ميرزا باشا)

(هجرة البشناق)

كنتيجة للحرب الروسية العثمانية السابقة الذكر احتلت دولة النمسا ولايه البوسنة وقد أبى أمراؤها المعروفون باللاقشيك السكن تحت راية دولة³¹ غير مسلمة فرحلوا الى بلاد الدولة العثمانية فرحل مع أمرائهم نحو اربعمائة عائلة³² فاقطعتهم الدولة. اراض في قيسارية³³ وفي يانور³⁴ وقد اوفدت الدولة معهم مهندسين المان خططوها تخطيطاً فنياً لمائتي عائلة على الطرز الحديث وكان حالهم³⁵ اهدا من حالة الشركس بين البدو وقد صاهرهم ال النمر وال شاهين وال الخياط وال صلاح وقد كان منهم موظفون في الدولة واطهروا من الاخلاص والاستقامة ما جعلهم موضع³⁶ الاحترام .

(الاشتراك بسركي معرض لندن)

في سنة ١٢٨٧ هـ ورد كتاب من الوالي بناء على تعليمات عليا يطلب انتاج نابلس لعرضه في سركي (معرض) لندن فارسلوا سبعة عشر صنفا من المنتوجات وهي³⁷: بشت دوده بكمام ، شقة خام (رفيدية) ، شرشف بلدي ، وفردة نحيث³⁸ ، ومخالية شعر ، وصرماية مركوب ، وسركس بابوج ، وزنار شريحة ، ومداس ، وصابون ، وغلايين حجارة سيدي ، ومناشف روندكية³⁹ حمرة ، وحصيره عقرباني وسجق⁴⁰ حرير وراشية اعداد خيل وسرير خشب. وقد وضعت في صناديق وارسلوها الى يافا فيبيروت.

(مرور برنس الماني)

وفي سنة ١٢٨٩ هـ مر عن نابلس امير الماني من الاسرة المالكة في طريقه الى القدس فاحتفت به حكومة نابلس وبلديتها حفاوة بالغة واقيمت له الزينات وضربت الفتاشات فكان لذلك اثره البالغ وهو من السياسة العثمانية التي كانت تهدف من ورائها الى استمالة الدوله الالمانيه وقهر عدوتها روسيا .

31 لقد منتهم الدولة النمساوية الاماني لكي يبقوا فابوا .

32 وقد رجع كثيرون منهم الى بلاد الاتراك .

33 هي اراضي سهول بني صعب وقد جعلت قيسارية ناحية وعين مديرها من البشناق وهو احمد بك كتخدا بن حسن بك كتخدا .

34 يانور ارض في مشاريق نابلس بين عقربا وبيت فوريك وقد شكلت قرية من ابناء مصطفى بك البشناق وبعض موظفي الاتراك

35 نعم وقعت خلافات بينهم وبين ابناء عبد الله النمر الا انها لم تكن تتجاوز المحاكم

36 ورد في مرسوم السلطان عبد الحميد المعطي لكبيرهم مصطفى بك الى والي الشام : (ساعدوا واهتموا للقادم عليكم مصطفى بك لاقشيك من اكابر واعظم

رجال دولتنا العلية العثمانية) وقد صار منهم سليمان فايق باشا قائداً في الجيش الخامس علي صانب مدعي عموم استئناف وهم على جانب من الوفاء

37 من سجلات بلدية نابلس .

38 أي كيس .

39 اي عصابة رأس .

40 وشاح الرأس .

قايق الشريعة

طلب الجيش المرابط في الجهة الشرقية من لواء البلقاء تسهيل الاتصال بمركز اللواء فبحث المجلس البلدي باقامة جسر حديدي فأتى بخبير قرر ان الجسر الحديدي يكلف ستة آلاف ذهبة فعدلوا وفكروا بوضع جسر من قوايق (سفن صغيرة). الا ان الخبراء قرروا ان هذا الجسر ينهار لما يجلبه النهر من (الكتار) القطع الكبيرة واخيراً قر رأيهم على وضع قايق واحد يجر بالحبال من جهة لآخرى فأنشأه المجلس البلدي من أقلامه فكان مما يسهل الاتصال بين الضفتين .

(انشاءات)

وفي هذا العهد انشئ جامع السلط ودار الحكومة في جنين وسجن نابلس وفي سنة ١٢٨٠ هـ أنشئت دار للبرق والبريد وجميعها أنشئت بأشراف المجلس البلدي بنابلس

(نقل نقابة الاشراف)

كان النقيب السيد مرتضى الحنبلي رجلاً حديد الطبع أحرق كثيراً من الأنساب فثار الاشراف وانتخبوا السيد عباس تفاحة للنقابة فذهب الى استانبول وحصل على أمر بها ولما رجع قوبل بحفاوة بالغة وذلك سنة ١٢٩٢ هـ ثم نقلت من بعده للشيخ محمد تفاحة ثم الى ولده الشيخ رفعت وهو آخر النقباء



(الشيخ رفعت تفاحة الحسيني) نقيب أشراف نابلس الاخير

(انشاء مركز وخط للبرق)

حوالي سنة ١٢٨٦ مالي اي سنة ١٢٨٧ هجري اتصلت نابلس بالعالم برقياً اذ وجدت فيها دائرة بريد ومد اليها خط البرق .

(فصل البلقاء عن نابلس)

ظلت البلقاء (اي الضفة الشرقية اليوم) مربوطة بنابلس الى ان صارت بيروت مركز ولاية والحق بها لواء نابلس ففصلت البلقاء عن نابلس والحققت بولاية الشام وذلك حوالي سنة ١٣٠٧ هـ. وقيل انه بعد الذي فعله المتصرف مع شيوخهم ذهب وفد مكون من الشيخ كايد بن ختلان (شيخ عباد) ومن الشيخ حسين الصباح (شيخ الفواعير والقطيشات) وشيخ السلط والشيخ خليفة أبو عرابي (شيخ العدوان) الى دمشق وطلبوا من الوالي ضمهم لولاية الشام . وعلى اي حال فقد فصلت البلقاء وجعل مركزها الكرك ثم جعلت متصرفيتان الكرك والسلط . ومنذ ذلك الحين اصبح تاريخها منفصلا الى ان حصل الضم .

(الباب الثاني)

(سوء تطبيق الانظمة واستفحال امر الموظفين)

(الفصل الاول)

(عوامل الفساد)

(نفشي الرشوة)

كنتيجة لمغلوبيه الدولة العثمانية في الحروب الروسية أصبحت الدولة تدفع غرامات حربية متواصلة فاضطرت الى انقاص⁴¹ رواتب الموظفين وكان الموظفون غرباء يأتون من خارج البلاد فيتكلفون اجوراً باهظة للتنقلات وتجديد الادوات المنزلية فاضطر الموظفون لفتح ايديهم الى الرشوة التي كانت تسمى (برطيل) .

(خلق المشاكل و الافتراءات)

ان كثرة النفقات مع ضالة الرواتب صارت تحمل الموظف على خلق المشاكل والافتراءات على من يعرفون أنهم مكتنزين للاموال فيلقى القبض عليهم ويلقون في السجن موقوفين بتهم خطيرة وهذا يسمى (أخذ كرفت) فيتوسط الوجهاء لاطلاقهم بعد ان يدفعوا مبالغ طائلة وبهذا أصبح التوظف هدف الجميع والكل يسعى الى التقرب من الموظف للاستفادة ومنع الشر واصبح بعض الوجهاء سماسرة رشوة .

(التكتل المحلي بروح الواقع)

أما اهالي البلاد فانهم اصبحوا مضطرين الى التكتل والى دفع مبالغ للمراجع لتوظيف احد ابنائهم في الحكومة ليكون لهم منفذاً عن طريقه لتمشية مصالحهم . فنشأت كتل في البلاد تختلف بروحها واهدافها عن كتل العهد الماضي ، وكانت الانظمة مساعدة كل المساعدة ولم تكن هذه الكتل شركات لايتراز الاموال كما جاء في كتاب ولاية بيروت⁴² انما كانت للحد من غلواء الموظفين الغرباء وقد انقلبت الآية فأصبح الموظف المغالي معرضاً للعزل او النقل اذ يتجه التيار ضده . نعم ان بعض الوجهاء في هذا العهد اصبحوا سماسرة رشوة ومديري مكاييد وناصبي اشرار للمكتنزين الا انه من جهة اخرى كان تكتلا على راسه وجهاء اشداء واقفين بالمرصاد للموظفين المغالين في غطرستهم وكثيراً ما اتفق الجميع ضدهم رغم ما كان بينهم من التنافس والتزاحم فيعزلون الموظف او يسعون بنقله او يهينونه .

(تطور الكتل الى متنافسة متناحرة)

ان سوء نوايا الموظفين وعملهم المعمود لخلق المشاكل وافتراء التهم وظهور عناصر جديدة من خريجي مدارس النظام الحديث اوجد في البلاد كتلا متنافسة انتقلت الى التناحر والانقسام المرير اودت بمراكز وجهاء البلاد واوجدت في البلاد اساليب منحطة تختلف عن اساليب العهود الماضية ونبلها كل الاختلاف . لقد جرفت النبل الماضي وروح الفروسية جرفا ولم تبق حتى عهدنا الا آثاراً بسيطة عند من لزموا العزلة وابتعدوا عن مجالات الحكومة .

⁴¹ كان راتب المتصرف ثلاثة آلاف قرش فصار (١٥٠٠) قرش ومثله نفقات مستورة

⁴² افه المتخرجان السيدان رفيق التميمي وبهجت الحلبي

(عوامل التنافس والتناحر)

ان الانظمة الحديثة اوجدت مجالات كثيرة بصورة دائمة للتنافس والتناحر المستمر فكانت مجالس ادارية بالانتخاب ومجالس بلدية كذلك ولجان لجميع الدوائر بالتنسيب بعد النزلف . وفاق على كل هذا تشكيل محاكم بدائية عضوياتها بالانتخاب فكانت البلاد في حركة دائمة وتنافس وتناحر تنفق فيه الاموال الطائلة ويزج في السجون نتيجته الكثير من الابرياء الذين يذهبون اموالهم ضحية للوساطة والوجاهة النكدة .

وكننتيجة لهذا جميعه وجد في البلاد جيش من السفهاء الاشرار الذين يعيشون من هذه المفاصد بالتملق والتهمج والتطاول والعدوان امام الموظفين الغرباء، وقد ادركتهم فوجدت نكرات لا ضمائر لهم قد اندسوا بين صفوف العاملين لقضية البلاد فكانوا من اعظم الاسباب لاضاعة قضية البلاد في عهد الانتداب . وقد بذلت جهدي لمطاردة هؤلاء ولكن هيهات ان اجد العضد بين من ظلوا يهابونهم ويخشون شرهم اذ اصبح الخواص تحت سيطرة هؤلاء السفهاء الذين يتطاولون دون مبالاة .

لقد كان هذا العهد مرتبكاً وهو الذي انشأ اجيالاً لا تطاق وسيظهر من الابحاث والفصول الآتية العوامل والكتل والهدم الذي اودى بهم جميعها وافقد البلاد ثروتها المادية والمعنوية. ويظهر انه نتيجة⁴³ للمراباة مصداقاً لقوله تعالى : (فأذنوا بحرب من الله) . والذي زاد الامر سوءاً ان العلماء زجوا بانفسهم في هذه المعمة ففقدوا تأثيرهم على الناس . وقد اتوا امراً إذا فقد فاز انصاف الامين على الشيخ منيب هاشم في انتخاب الافتاء فسودوا وجه نابلس امام شيخ الاسلام اذ جن جنونه لانه يعرف الشيخ منيب الذي كان عضواً في مجلس⁴⁴ التدقيقات وهو اعلى مجلس شرعي في الدولة فرفض الانتخاب وعين الشيخ منيب هاشم . واستمرت هذه الروح وقد ادركنا آثارها .

(الفصل الثاني)

نظام الضرائب الجديد والتسلط على القرى

انواع الضرائب

جددت الحكومة نظام الضرائب فوضعت ضريبة باسم الويركو تؤخذ بنسبة اربعة في الالف من اثمان الاراضي وخمسة في الالف من اثمان المسققات اي املاك المدينة اذا كانت للسكن وعشرة في الالف اذا كانت لللاجرة وهو يدفع مقسطاً على تسعة اشهر ابتداء من شهر مارس في المدينة وستة اقساط اعتباراً من شهر حزيران على القرى . وفرضت ضريبة باسم تمتع على الاشخاص العاملين وضريبة تعداد الحيوان وهي اربعة قروش على كل رأس غنم وعن جمل الحمل عشرة قروش . وفرضت ضريبة المعارف وهي ٥٪ من اجور المسققات وضريبة طرق باسم كروسة ومن لم يدفعها يشتغل في الطريق ثلاثة أيام . اما الاراضي فظلت تدفع ضريبة عشرية اي عشر الناتج . وكان تقدير الاملاك تخميناً ومع هذا فلم يكن المجموع كبيراً اذ كان يبلغ مجموع ضرائب قضاء نابلس ٣٠ الف ليرة بينما صارت حكومة الانتداب تجبي هذا المبلغ ضريبة دخل من مدينة نابلس فقط .

سلك الجاندرمة

بعد الغاء آلاي السباهية أسست الحكومة سلك الجاندرمة وهو عبارة عن بلوك (فصيل) عرفوا بالجاندرمة والبوليس ويعرف عرفاً هم بالقومسيير وفصيل من الخيالة (السواري) . وقد زيد في لواء البلقاء فصيلة ثالثة من الخيالة كانوا يسمون عسكر الشول للاغوار والبقاء ولل سفر مع الحجاج في موسم الحج كالعادة السابقة .

وقد تكون سلك الجاندرمة هذا في اول أمره من ابناء العشائر المعروفين بحسن الخلق والمحافظة على العرض ونظافة الذيل واليد وكان الجموع يعرف بالالاي وكان أميره غريباً من خارج البلاد اسمه عثمان بك وكان وكيله عبد الكريم آغا النمر وهو أميره الحقيقي لان ذلك الغريب لم يكن يعرف شيئاً ولا يحكم على شيء وقد ظلت الحال تسير هكذا الى أخريات القرن الثالث عشر الهجري. وبعد ذلك نهجوا نهجاً شاذاً وهو انهم كانوا يستنبيون المتمردين والعصاة ويلبسونهم في هذا السلك فامتلاً بالشذاذ والافاقين واصبح من أسوأ ما عرف . اذ كان هؤلاء على جانب من القسوة وقد اتخذ هذا السلك مجالاً للتشفي والنهب والسلب وكان أعظم ما نعر الناس من الدولة العثمانية .

43 لقد كانت المراباة باسم الحيل الشرعية وكذا منع الزكاة .

44 لقد تعلم في نابلس على اخيه الشيخ حسين وغيره من علماء نابلس وكان من اذكي خلق الله فلما دخل الازهر الشريف أدهش اساتذته فاعجبوا به ولما ذهب الى استانبول للمراجعة بأمر أخيه أو غيره كان امام شيخ الاسلام معضلة فحلها بسهولة فلفت نظره فعين قاضياً في بني غازي وما زال يرتقي حتى صار عضواً في مجلس التدقيقات ونال اوسمة العلماء العالية ولما توفي اخوه الشيخ حسين ولمح علانم الحرب العالمية في الافق استقال وعاد لنابلس وقد انتج مؤلفات قيمة سيأتي الكلام عليها

(تحصيل الضرائب والاعشار)

كانت ضرائب القرى في العهد الماضي يجمعها السباهية النازلون فيها وشيوخها من أهلها فلم يكن يدخلها غرباء . وكان كل شيء مقطوعاً وكان السباهية والشيوخ يعطون على القرويين ويعملون لابقائهم كي تبقى مواردهم حسنة . وقد استمرت الحال على هذا المنوال حتى آخر القرن الثالث عشر الهجري اذ بقيت التزامات القرى تجري دون مزاد حقيقي وظلت تعطى لشيوخ النواحي .

الا ان الحال لم تدم كذلك اذ مات الفوج الاول من امراء نابلس وشيوخ جبلها الاقوياء . وقويت العناصر الاخرى فأصبح الالتزام مزاداً وقد تكتل الاثرياء وصاروا يشاركون ببيوت الحكم وقد وجدوا من هذا الطريق ارباحاً فأصبحوا يدخلون في مزادات الالتزام . وبالتدريج ظهر الاقطاع المالي وحل محل الاقطاع الملكي مع الفارق . واذ لم يكن لهؤلاء سيطرة وهيبة فقد صاروا يستعينون برجال الجاندرمة اي الشرطة والدرك الذين وجدوا في القرى مرتعاً خصباً فيعودون الى بيوتهم في كل أوبة محملين ما في القرى من غلال وطيور ومجديبات الخ . واصبحوا بذلك رهنين اشارة المرابين الملتزمين .

ويضاف الى هذا تحصيل ضرائب الويركو وتعداد الاغنام والدواب والتمتع وغيره مما يقوم به محصولا المالية فساءت احوال القرى كثيراً فأصبحوا معرضين دائماً لسوط الجاندرمة لتحصيل الضرائب جميعها ولتحصيل أموال التجار والاثرياء الذين اصبح بإمكانهم تسخير رجال الادارة والجاندرمة لمآربهم وللمشاكل والتهم والافتراءات . قال لي ابن عمي المرحوم محمود آغا النمر الذي قضى مدة كبيرة في تحصيلات المالية (انني اعتقد انه انما قضى على الدولة العثمانية وبغضها للناس سلك الجاندرمة) .

(الزراعة والبنك⁴⁵ الزراعي)

وفي هذا العهد بدأت العناية بالزراعة والزراع فقد قام المجلس البلدي بتجربة زراعة قصب السكر في غور النصرية وأتى بزراع من بيارية يافا وقد نجح .

واسست الحكومة بنكا زراعياً فتحت له فروعاً في لواء نابلس ووجدت لجنة من الوجهاء لكل فرع ففي نابلس تشكلت برئاسة⁴⁶ عبد الكريم آغا النمر وعضوية السادة احمد الجبر وداود الخياط وأمين الخماش ومحمد السايح وقاسم الشافعي ومن طولكرم برئاسة الشيخ قاسم الجلال وعضوية محمود ابو شنب وبدير القاسم . وصار هذا البنك يعطي قروضاً للمزارعين قبيل الحراث الشتوي للبدار . وقد استمر على هذا الى نهاية العهد العثماني . وبعد خروجهم حصلته حكومة الانتداب كدين لها بدلاً من الاستمرار في اسلاف الفلاح . وهذا كاف لحسن نوايا العثمانيين وسوء نوايا البريطانيين . وقد ورد في كتاب ولاية بيروت ان ناتج الزيت في قضاء نابلس بلغ نحو الف طن فاذا قدرنا نصف هذا للاكل ونحوه لعدم الدقة يكون موسم الزيت في القضاء في هذا العهد ثلاثة آلاف طن واذا أضفنا ضعف هذا من باقي جبل نابلس فيكون الناتج الموسمي للزيت هو تسعة آلاف طن أما قطع الشجر في الحرب العالمية الاولى للجيش وللقطار فقد ثبت لي بأنه كان برضى وموافقة اصحابه ولم يكن فحم حجري ولا بترول فاضطرتهم الظروف الى ذلك . وفي عهد الانتداب مع دقتهم بلغت كمية الزيت في هذه السنة اي سنة ١٣٨١ هجري الموافق لسنة ١٩٦٢ ميلادي عشرة آلاف طن وبعد الحرب العالمية الاولى اقبلت البلاد على التشجير لا سيما في قضائي طولكرم وجنين ووادي الشعير من وادي نابلس بدعاية الصحف لا سيما جريدة الكرمل لصاحبها الاستاذ نجيب نصار . اما حكومة الانتداب فلم تساعد المزارعين بل صارت تضرب مواسمهم لتطبيق المادة الثانية من صك الانتداب كما سيتبين .

وتم حسنة واحدة لعهد الانتداب ينبغي الاعتراف بها وهي تطبيق قانون العقوبات المشتركة القاضي بتغريم القرية جميعها اذا وجد شجر مقطوع ولم يعرف فاعلها وهكذا قضت الحكومة على هذا الداء الويل المتوارث⁴⁷ من القديم . فتشجع الناس على التشجير . وقد قضى في عهد الانتداب على نحو عشرة انواع من فواكه وزهور البساتين النافعة منها الانترج والليمون الحلو الاصفر والكباد والخيار الابيض والبطيخ البلدي والمحيسنى والخروب والبرقوق الاصفر والبنفسج والحلزون والعباب ومنذ عهد قريب كتبت لوزارة الزراعة مذكرة لتدارك هذه الانواع فورد كتاب فيه الوعد بتداركه مع شكري وطلب مساعدتي لمأمور الزراعة في لواء نابلس ثم لم يحصل شيء .

⁴⁵ راجع قول كرد علي عن عهد السلطان عبد الحميد في كتابه خطط الشام .

⁴⁶ وبعد هذا الفوج صار لمجلس البنك الزراعي السادة عبد الحليم كنعان (رئيساً) وراغب كمال ومحمد الشرايبي اعضاء

⁴⁷ وجدت قضية من هذا في سجل الحكمة الشرعية بنابلس المؤرخ سنة ١٠٦٨ رفعها عثمان آغا جرجي النمر مما يدل على أنه داء قديم .

(الفصل الثالث)

(المحاكم النظامية)

(روح المحاكم النظامية)

انشأت الدولة محاكم نظامية تتمشى على قوانين وضعية مأخوذة من القوانين الافرنسية لا تمت الى روح البلاد بصلة

(درجات المحاكم وعضويتها)

كانت تبدأ من المحكمة الابتدائية ثم الاستئناف وقد أنشئ في لواء البلقاء مجلس دعاوى يسمى (مجلس تميز الدعاوى) ينظر في القضايا الكبرى وكانت هذه المحاكم تتكون من رئيس واعضاء ويعتبر القاضي الشرعي رئيس الانجمي العدلي أي رئيس المحاكم في اللواء . وقد اوقفت الحدود الشرعية ووضع محلها قانون الجزاء تطبيقه محكمة خاصة باسم محكمة الجزاء يترأسها قاضي نظامي يعرف برئيس محكمة الجزاء . وشكلت محكمة تجارة للنظر بشؤون التجار ثم الغيت . وكان لكل محكمة حقوق او جزاء عضوين منتخبين لمدة سنتين بمعرفة جمعية التفريق وكانت هذه المحاكم في الدور الاول عبارة عن مجالس عرقية وكان التنسيب لها والسير بها لا ينشأ عنه شيء من الشغب او الفساد في اول الامر لان اعضاءها كانوا من العلماء والامراء والشيوخ العقلاء ، الا انها بعد موت الفوج الاول واستفحال امر الموظفين الغرباء وخريجي المدارس النظاميين وظهور الكتل المتنافسة والمتناحرة أصبحت مثلاً سيئاً للظلم والنكيات باسم القانون، لان عضوية هذه المحاكم صار يصل اليها كثير من المرتشين والمتحيزين والجهلة الذين لا يعرفون من القانون شيئاً فينامون في الجلسة ولا يدرون عن الرؤساء ما يفعلون لا سيما في الاقضية .

(اعضاء الدعاوى والمحاكم)

كان اعضاء لتمييز الدعاوى في اول التأسيس يعرفون باعضاء الدعاوى وقد عرفت منهم : محمد افندي النقيب (الحنبلي) ، احمد بك القاسم الشيخ يوسف زيد ، الحاج امين هاشم ، شريف بك طوقان . وفي الدور الذي تلاه كان اعضاء المحاكم في نابلس هم السادة : امين افندي القاسم ، الشيخ عباس الخماش ، الشيخ منيب زيد ، عبد الكريم افندي عبد الهادي امين افندي صلاح ، ميخائيل افندي عبد النور ، حبيب افندي خروبة الشيخ نمر الداري ، بدوي افندي عاشور ، محمد افندي خليفة طوقان ، ابراهيم افندي الخوري ، جريس افندي سروفيم ، ميخائيل افندي ابوليصا وسليمان افندي القره ، ولمحكمة التجارة السادة : احمد زيد ، ومحمود الطاهر وحسن النابلسي ، وعثمان النابلسي ، ومصطفى هاشم .

وفي بني صعب السادة : حافظ عبد الهادي ، ابراهيم الجيوسي ، عبد الرحمن الحاج ابراهيم ، ومحمود العبد الحليم ، والحاج عبدالله الزامل ، وقاسم ابو الصيصان .

وفي جنين السادة : مصطفى العبوشي ، ومحمد الصالح ، وبشارة عطا الله ، وابراهيم الجرار ، وحسن المحمد . وفي جماعين الافندية : عبد الهادي القاسم وعثمان القاسم ، وعمر العثمان القاسم ، وحافظ العثمان القاسم ، وعبد الغني عفانة ، واسعد الاحمد القدومي واسعد السماعيل ابو حجله ، ومحمود المحمد عفانه ، واسعد يعقوب وابراهيم زهدي

وفي السلط السادة : عباس المصطفى ، وعيد اقطيش ، وابراهيم الجابر ، وعواد الراشد وحسين الراشد ، وفياض الحسين .

(محكمة التجارة)

برئاسة السادة: الشيخ احمد الخماش فقاسم عبد الهادي ، فمنيح طوقان ومن اعضائها السادة : عمر الخواجا طوقان ، محمود الطاهر حسن النابلسي ، وعثمان النابلسي ، مصطفى هاشم ، احمد الخياط ، عبد الهادي هاشم ، ثم الغيت وانيطت صلاحيتها لمحكمة الحقوق وشكلت كغرفة تجارة باسم مجلس التجارة برئاسة محمد افندي عاشور ثم ولده بدوي افندي عاشور .

(الفصل الرابع)

(الكتل والشخصيات)

(الاصطدام بين المفتي الشيخ امين وآل عبد الهادي)

بعد موت عبدالفتاح آغا النمر واحمد بك القاسم وسليمان بك طوقان سيطر يوسف افندي السليمان عبد الهادي ومحمد افندي السليمان عبدالهادي على مجلس الادارة سيطرة كبيرة فتصدى لهم المفتي الشيخ امين افندي ابو الهدى يسنده أصهاره آل طوقان برئاسة علي بك وشريف طوقان فرأى يوسف افندي السليمان ان يضرب العمامة والجبّة بمثلها فادخل صهره الشيخ عباس افندي الخماش في مجلس الادارة ليصارح خصمه المفتي فتخوف هذا على مركزه فصار يخلق⁴⁸ على الشيخ عباس التهم الحرجة .



مهرجان عيد السلطان عبدالحميد الفضي في نابلس
ويرى المتصرف غالب باشا في الوسط يحيط به رجال حكومة نابلس ووجهائها

(الجمعية 49 العباسية)

الشيخ عباس بن الشيخ شحاده الخماش هو ابرز شخصيات نابلس بعد الاقطاعيين دخل الازهر الشريف وقضى زمناً في مصر وكان فيها جمهرة من افاضل الرجال كالسيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وجمعيتهم وقد شهد حالة مصر وثورتها العربية وتشبع بافكارها . ولما عاد الى نابلس وجد حكومتها متعطرة متسلطة ووجد الوجهاء

⁴⁸ كان كلما جاء متصرف يختم مضبطة بعشرات اختتام الموتى مملوءة بالطعن بشخصه ويرسلها الى السلطان فترجع للتحقيق الى المتصرف فيعرضها للتحقيق وكان يتهم الشيخ عباس فينفر منه المتصرف والمجلس .

⁴⁹ لقد حامت تهم وشبهات حول هذا الرجل النابه النابغ حتى اصبحت الكتابة عنه من الامور الصعبة جداً الا انني باتصالي بصهره الحاج حسن افندي حماد الرجل المعتدل الرصين والشيخ محمد تفاحة الواقف على احوال عصره وبشيوخ آل النمر المعتدلين والذين كان الشيخ عباس يزورهم ويوقفهم على افكاره فهمت حقيقة هذا الرجل تماماً . فقد شهدوا لي لا سيما آل النمر بانه لم يكن يقصد هدم العائلات وبالعكس كان ينصح ابناء العائلات بالتعلم وبعدم الركون الى املاكهم وميراثهم ويفهمهم ان الظروف قد تغيرت . ومن جهة نسبة الرشوة اليه فقد حدثني شاهد عيان بأن احد اصحاب القضايا جاء الى ديوانه يغريه بمبلغ من المال فقال له قم واتني بجمرة من الموقد فاتاه بجمرة بالملقط فقال له لا بل انتني بها بين اصابعك فقال انها تحترق فصاح بوجه قائلاً : كيف تطلب مني اذا ان احترق كلي بالنار الاخرية وانت لا تتحمل نار الدنيا بين اصبعيك ، اذهب انت ومالك فانا لا اقضي الا بالحق . ثم قام باصلاح ذات البين المتخاصين وضغط على الراشي لينفق على وليمة المصالحة من ماله

لا تهمهم الا منافعهم يضحون بكل شيء في حب عائلاتهم ووجد ان الرشوة متفشية وان الموظفين الغرباء قد استفحل امرهم وعظمت سطوتهم يقربون الادنياء وسامسة الرشوة المفسدين. فتصدى لهم جميعاً دون ان ينقيد بأصهاره آل عبد الهادي بل عمل على الحد من غلوائهم في اول الناس فلف حوله اقاربه وفيهم الشيخ أحمد الخماش المحدث المدرس أعلم علماء نابلس في عهده واول نواب نابلس في البرلمان العثماني ومن آل حماد الذين تخرجوا من المدارس النظامية الحديثة وقد صار يتفاهم مع نخبة من الوجهاء وفي مقدمتهم الحاج عبدالله الطاهر وكتلته وبدوي أفندي عاشور الذي كان يطلق عليه الافندي وآل زيد⁵⁰ الكيلاني واقطابهم وآل الجوهري وعميدهم الشيخ محمد عارف⁵¹، الجوهري وآل ابي غزالة وعميدهم الاسطه⁵² احمد حلمي . وكان متفاهماً وعلى ونام مع كبراء آل النمر لذلك العهد عبد القادر آغا وعبد لكريم آغا وحسين آغا وصالح آغا ونجيب آغا وكذلك أمين افندي القاسم الرجل الحكيم الذي كان يرجع لرايه وكان شريف بك طوقان معتدلاً فلم يبلغ التشدد حداً كبيراً وقد عظم نفوذ وصيت الجمعية وصاحبها حتى قيل عنها الجمعية العباسية والدولة العباسية. الا ان الشيخ عباس عارض في ايجاد صندوق الايتام ومدائنته بالرأى بشده فتضايق منه المتصرفون والولاة فأندروه بالخروج قاضياً شريعاً لاي مكان يشاء فاخترت حمص فبقي فيها الى ان توفي سنة ١٣٢٣ هـ .

(تجديد الجمعية بلقب الحمادية)

بعد خروج الشيخ عباس من نابلس جدد الحاج توفيق حماد كتلتهم وضم اليها كثيراً من الوجهاء والتجار فعرفت بالجمعية لحمادية وقد ضم اليها آل كمال وفيهم عميدهم الحاج طاهر كمال وآل زعيتر وفيهم الشيخ محمد زعيتر ثم الشيخ عمر زعيتر الآتي الكلام عنه وآل العنبتاوي وآل الطاهر وآل التميمي وآل الخياط وآل عبد المجيد وآل العمدة وآل كنعان وآل المصري وآل الشكعة وانضم اليهم الحفاة في وادي الشعير وشيوخهم مسعود الحمدان وعبدالله المصطفى ويوسف المحمود وعبد الرحيم عوايص وانضم الى هذه الجمعية الشيخ عبد الجبار الاعمر من الشعراوية الغربية والشيخ احمد الحمد الله من عنبتا والهناطشة في قاقون وآل الناشف وآل الحاج ابراهيم من الطيبة وغيرهم من مختلف الطبقات. فكانوا نحواً من (٧٢) ذاتاً. واذ وقع الخلاف بين آل عبد الهادي فقد اتصل وتعاون مع الجمعية حافظ باشا وسعيد افندي ابنا محمد الحسين عبد الهادي اللذان سيطرا سيطرة كبيرة في قضاء جنين . وقد ظاهر الجمعية خصم آل عبد الهادي احمد آغا الجبر شيخ المشاريق وانضم اليها ضد آل القاسم في جماعين آل عفانه وآل ابي حجلة والشيخ اسعد الاحمد في جورة عمرة . وكانت هذه الكتلة على شيء من التنظيم فكانت تعول على ثلاثة اشخاص للتنفيذ وهم السادة احمد العمدة⁵³ ومحمد الشكعة وابراهيم رزق المصري . وقد عظم نفوذ آل حماد رؤساء هذه الجمعية في الحكومة حتى صار يقال الدولة حمادية.

(تطور الاحوال بين الجمعية وخصومها)

في سنة ١٣٠٥ هـ مات شريف بك طوقان الرجل الرصين فخلفه⁵⁴ بشير بك طوقان وكان حديد الطبع شديداً في خصومته للجمعية وكراهيته لآل عبد الهادي ولم يكن الحاج توفيق اقل منه في الحدة والشدة كرد فعل لذلك .

50 ظهر في هذا المهد من آل زيد نخبة من الرجال كانوا يطلقون عليهم لقب الاقطاب لانهم كانوا متفاهمين مع بعضهم ولهم شأنهم ومراكزهم فكان الشيخ منيب افندي زيد عضو محكمة ولقب بالافندي والشيخ علاء الدين نائب رئيس البلدية وكان ثرياً له مصبنة ويلتزم بعض القرى والشيخ احمد زيد فكان يرأس الغرفة التجارية والشيخ سيف الدين زيد قاضي التحقيق (مستنطق) والشيخ اسعد مدير ايتام والشيخ ابراهيم ثري وصاحب مصبنة وعبد الفتاح افندي محامي وابراهيم افندي مدير الخزينة العامة في بيروت .

51 وهو اول مأمور اوقاف بنابلس .

52 كان طبيب البلدية وكان له شأنه عند المتصرفين وما كانت تنصب الوليمة حتى يحضر فكان يأتي بابهة اخر الجميع - وكان الكل يحترمه ويوقره .

53 ومن هنا اكتسب هؤلاء الثلاثة المركز والنفوذ ولم يطل عمر العمدة فظهر الشكعة والمصري لاسيما في اخر العهد العثماني وبعد موت محمد الشكعة خلفه ولده احمد الشكعة فسيطر في جبل نابلس ونابلس سيطرة كبيرة وكان جريئاً في بذله واقدامه فهو الذي يستحق لقب زعيم اذ كان يحمل نفسه نابلس وجبلها القوية .

54 كان عمنا بشير بك وفيماً مخلصاً لاصدقائه ومما شاهده انه بعد وفاة والدي نجيب آغا وكان صديقه - يزور الديوان ويطلبني واخي فيجلس واحدا عن يساره وواحدا عن يمينه ويشم رؤوسنا وهو يبكي ويقول ما اطيب هالريجه ويعني اثر والدنا ومن نبه له انه لما مات الشيخ عباس الخماش اتاه الشيخ اسعد العصفور بعوده ويقول له ابشر يا بيبك مات خصمك الشيخ عباس فمد يده الى جيبه كأنه يريد اعطاه شيئاً فقطع واقترب منه فصفحه قائلاً : ((ليس في الموت شماته)) فليعيش كي اخاصمه وهل اخاصم امثالك يا نذل . (وقد طالما تحدث النابلسيون عن هذا النبل)، ومن سياسته انه تفاهم مع السيدين عبد الرحيم وابراهيم الجيوسي واعطى بنتيه للبرقاوي والقبح الا انني اخطئه بعدم تفاهمه مع آل عبد الهادي ولو الى حد اهمال آل جرار لانه تضرر لسماعه لارائهم اذ اتفقوا معه على مهاجمة آل عبد الهادي في نابلس فارسل يشتري كمية من السلاح من بيره في بلاد اليونان فعلمت الحكومة بذلك فعزلته عن قائمقامية جنين . ولما كان رئيساً للبلدية كاد له الحماديون فقلبوا اكثرية الاعضاء ضده فصار يسير بالبلدية بدون قرارات من المجلس فشكوه الى الوالي فحماه عن البلدية . ومن مزايده ان المسدس ما كان يفارق جنبه فكان الكل يرهب جانبه .



(صورة بشير بك طوقان)

وقد اشتدت العداوة والنكاية بين الجمعية وبين عبد الكريم⁵⁵ أفندي اليوسف عبد الهادي الذي أصبح عميد ال عبد الهادي في نابلس بعد موت والده يوسف أفندي السليمان العبد الهادي . حتى ان ال النمر الذين كانوا على وئام مع الجمعية في عهد الشيخ عباس الخماش تركوها تضم من تشاء من صفهم فانقسموا الى فريقين فريق مع الجمعية وهم اسماعيل أغا وعمومته ومن يلوذ بديوانهم من المدينة والقرى وقد استغلت الجمعية ديوانهم الكبير استغلالا افادها واغاظ خصومها . وقام ضدها مع بشير بك والحاج محمد الغزاوي ولقيفه قاسم اغا النمر ورامز اغا النمر ومن لف لفهم من المدينة والقرى وقد اتصلوا بالاتحاديين فضايقوا الحاج توفيق والجمعية الى حد كبير كما سيأتي .

(الغاء قضاء جماعين)

وكان ابرز اعمال الجمعية العمل لالغاء⁵⁶ قضاء جماعين سنة ١٣١٨ مالي سنة ١٣٢٠ هجري وكان القائم مقام على جماعين احمد مختار بك القباني البيروتي الذي كتب تقريراً شديداً ضد ال القاسم وتصرفاتهم وقد صدق التقرير المتصرف وهو شكري بك التركي وكان شاباً متكبراً زار سلفيت فلم يقم ال القاسم بالحفاوة التي كان يأملها ولم ير منهم خضوعاً وتزلفاً فانقلب عليهم وحصل على امر بالغاء قضاء جماعين فلما بلغ الخبر نابلس سارت فيها مظاهرات صاخبة وصاروا ينادون باسقاط ال القاسم وطلب نفيهم . فلما سمع بذلك ال النمر وال عبد الهادي وال طوقان هرعوا الى المتصرف يفهمونه حقيقة نوايا الجمعية فندم وعدل عن نفي كبراء ال القاسم وانقلب على الجمعية وقد انقلب كثيرون ضدها لا سيما ال النمر فال امرها بعد ذلك الى الضعف لاسيما بعد الانقلاب العثماني كما سيأتي .

⁵⁵ كان قائمقاماً على جبلة فلما مات والده استقال وعاد الى نابلس ليترأس قومه فاصطدم مع الجمعية فاستطاعت الكيد له وقلب المتصرف ضده فوقع حجزاً على مخازنه وكان غائباً في الحال تقدم رامز اغا النمر وال شاهين ودفعوا المبلغ في غيابه وفكوا الحجز ولما عاد هاجم المتصرف فأمر بإيقافه (يسوق) فكسر اليسق (التوقيف) وسافر على التو الى بيروت فشكا المتصرف وعزله .

⁵⁶ سيطر ال القاسم على قضاء جماعين سيطرة مطلقة فاصطدموا بكثيرين من شيوخ القضاء فكان هؤلاء يلجأون وينضمون الى الجمعية وبعد الغاء القضاء يقليل توفي شيخا ال القاسم وهما امين أفندي وعبد الهادي أفندي وقاموا من بعدهم بنصفية املاكهم في القرى ولا سيما في ديراستيا فباعوها لال ابي حجلة وفي سلفيت - لال عفانه واحتفظوا بقصرهم في نابلس وانتشروا في البلاد العربية فكان منهم شخصيات كبيرة كعزة باشا في سكة حديد الحجاز ونهاد بك القاسم وزير عدلية الاتحاد السوري المصري وعدد اخر في شرق الاردن كعبد الرحمن بك القاسم وغيرهم مع بقاء مكانتهم في نابلس يمثلهم الوجهاء سليمان أفندي ومحمد أفندي وجمال الأتي ذكره فظلوا ظاهرين لا كما قال عزة دروزه في كتابه العرب والعروبة .

(ظهور خصم عنيد للجمعية الحمادية)

بعد موت شريف طوقان سنة ١٣٠٨ هـ أختلف البيكات طوقان وضعفوا وكذا ال عبد الهادي فانهم انقسموا وقد انضم اليها ابناء محمد الحسين (حافظ باشا⁵⁷ الحسين) واخوه سعيد وضعف ال القاسم بالغاء قضاء جماعين



(صورة الحاج محمد عبده)

وموت رجليهم عبد الهادي افندي وامين افندي فخلا الجو امام الجمعية وسادت سيادة مطلقة الا ان امرها لم يدم فقد ظهر لها خصم عنيد هو الحاج محمد⁵⁸ عبده (المشتهر بالغزاوي) . اذ خالفه شائشية البلدية وبمجرد تظاهر الحاج محمد عبده بالمخاصمة ظاهره جميع المكرهين للجمعية ولما انتهت مدة الرئيس وجدد الانتخاب سنة ١٣٢٣ هـ بذل الحاج محمد عبده الثري اموالا طائلة ففاز هو وبعض اصحابه وحصل على الرئاسة وقد عمل (الغزاوي) الكثير للبلد مما اكسبه الرأي العام فيها فمن ذلك :

انه جلب من الغنم اربعة آلاف راس واوقف الجزارين يبيعون اللحم برأسماله بسبعة قروش ونصف للرطل (اي ثلاثة كيلو) وجلب القمح وباعه برأسماله . وقد انشأ وابوراً للطحن يطحن للفقراء مجاناً ولغيرهم خمسة ارطال بقرش فقضى على الاحتكار والغلاء . وقد ترك البلدية قبل انتهاء المدة وسلمها لحيدر بك طوقان ونظراً لترشيح البيك لمجلس المبعوثان ودخول الحرب صار المتصرفون يعينون رؤساء بالرشوة (والمحسوبية) فعينوا تباعاً السادة : الحاج يوسف التميمي فالحاج حسن حماد فكمال بك عرفات فالحاج طاهر الحجاوي ثم بشير بك الشرايبي فاحمد مختار بك القباني البيروتي فحيدر بك طوقان فالشيخ عمر زعيتر وفي عهد الاخير احتل الانكليز البلاد فاستمر الشيخ عمر في الرئاسة الى ان توفى .

⁵⁷ نال لقب باشا من السلطان لثناء السياح الاجانب عليه اذ آواهم في بيته وأنقذهم من المطر ولما ارادوا الرحيل سالوه عن أجرتهم فقال لهم هذا اكرام على عادة العرب فبلغوا الامر للمراجع العثمانيه فمنحوه لقب باشا .

⁵⁸ هم اقارب آل شعشاعة في غزه كانوا من الاثرياء في نابلس وقد انشأوا دورا ودكاكين ولما كان معلم البناء ابورستم الصابر يبطل دكانا خالفه الشاويشيه (الجلوزه) فارسل الحاج محمد متعهده يقول له هذا داخل الدكان وليس فيه تعدي على الشارع فكان جواب الرئيس الحاج توفيق مضاعفة الجزاء فاعلن الغزاوي العدا .

الفصل الخامس

(حوادث واحداث هذا الدور)

(الخروج من الاسوار)

من ابرز حوادث هذا الدور البناء خارج اسوار⁵⁹ المدينة . وكانت اول دار بنيت هي دار الحاج⁶⁰ عبد الله الطاهر سنة ١٣٠٧ هـ . ثم دار راهبات مار يوسف ومستشفى خريم (الوطني) ودار البط . ثم وقع التنافس بين كبار اثرياء نابلس وهم الحاج ابراهيم عبده وبدوي افندي عاشور والحاج حسن النابلسي بينون الدور العديدة في الجهتين الشرقية والغربية خارج البوابات .

(الضغط على عشائر البلقاء ثم فصلها)

عين خليل بك الاسعد متصرفاً على نابلس سنة ١٣٠٣ هـ . فزار البلقاء وطلب اقامة ميدان سباق لخيول بني صخر والعدوان للشراء من خيولهم لألاي السواري فتهكموا عليه وكانوا يقولون على سمعه - هذا ما هو والي هذا متوالي - وانا راعي البلهاء . ولم يكتفوا بهذا بل شتموه . فأضمرها بنفسه وبرجوعه اصطحب معه الشيخ سطاتم ال فايز شيخ بني صخر والشيخ دياب الحمود وولده علي شيخ عشيرة العدوان بحجة الحاجة الى اجراء صلح عشائري في جبل نابلس . ولما وصلوا نابلس امر بتجريدتهما من سلاحهما وايداعهما السجن . ولما بلغ الخبر لبدو البلقاء تجمهروا ورابطوا على الطرقات الشرقية لمدينة نابلس ثم هجموا يريدون اخراج مشايخهم من السجن فلم يقدروا رغم مساعدة نابلس لهم بالزاد والعتاد . ثم نقلاهما الى سجن (لومان⁶¹) عكا حيث أقاما مدة سنة كاملة .

وقد كان لهذا العمل أثره السيء في نفوس سكان المقاطعات الشرقية فأرسلوا وفداً من الشيخ حسين الصباح من شيوخ السلط والشيخ كايد بن ختلان (شيخ عباد) والشيخ خليفة ابو عرابي الكايد من (مشايخ العدوان) فذهبوا الى دمشق متذمرين مما حصل ومطالبين بفصل البلقاء عن نابلس وقد ظلت المخابرة جارية بهذا الخصوص بضع سنين الى ان نجحت في سنة ١٣٠٩ مالى سنة ١٣١١ هـ وتم فصلها سنة ١٨٩٨ م وجعلت البلقاء لواء عاصمته الكرك تابعة لولاية سوريا .

(الجفاف)

في سنة ١٣٠٧ هجرية توقف المطر فخرج الناس في نابلس الى خلة العامود يتقدمهم المسن الشيخ اسعد الحنبلي امام الجامع الحنبلي وقد خرج الناس خلفه جميعاً حفاة وقد قلبوا ثيابهم بما فى ذلك متصرف اللواء وكبار موظفي الحكومة . ولما بلغوا المكان صلوا حسب السنة وقبض الشيخ اسعد على لحيته وقال ((يارب لا تفشل هالشبية)) واستمر بالدعاء والاستغفارات فجاءت غيمة وهطلت في الحال مطرا سالت منه الاودية فحملوا الشيخ على⁶² رؤوسهم .

(اخراج اليهود من نابلس)

لم يكن يهود في نابلس قديماً لأنها كانت للسامريين ولكن في القرن الماضي تسلل بعض اليهود واستاجروا بعض اماكن في نابلس لا سيما المدارس القديمة - التي بناها الناصر قلاوون فسميت حوش اليهود والدرج المؤدي اليها من سوق السلطان سمي درج اليهود اعتباطاً . وكذا استاجروا بعض غرف في حارة القريون . وكانوا بضع اسر ظهر انهم يرايون ويبيعون الخمر ولا يبالون بالزنا فافسدوا بعض الشبان من نابلس بترددهم على بيوتهم فقامت ضجة فأنذرهم القاضي والمفتي والنقيب والعلماء والامراء فخرجوا الى القدس لا يلوون على شيء حوالي سنة ١٣١١ هـ .

59 كان لنابلس ست عشرة بوابة تقفل عند الغروب ومن تأخر نام خارجها وكان لكل بوابة حراس .

60 وقد هاجمهم للصوص فاضطروا الى اقامة حراس في الليل مدة كبيرة من الزمن

61 استعملت قلعة عكا كسجن بأسم لومان عكا .

62 ومما روى عن بساطة هذا الشيخ ان المتصرف ارسل له هدية خمس ليرات ذهب عثمانية فرفضها وظنها عملة صغيرة نحاسية (سحاتيت) وقال (شوها المتصرف بضحك علي) ولما بلغ المتصرف ذلك امر بصرفها عملة صغيرة ولما قدمت للشيخ قال (هلنيت) هالوقت (متصرف) اي الان متصرف . ففهم انه لم يكن يعرف الذهب .

(الجراد ووقوع جرم)

حوالي سنة ١٣٠٩ هـ زحف الجراد على نابلس في هذه السنة وقيل في التي قبلها وقد كافحته الحكومة والشعب لاسيما المفتي الشيخ امين ابي الهدى الذي ضرب برجله في بطن شخص من عورتا فمات منها . وقام بحل المشكلة مع اهل عورتا عمي المرحوم عبد الكريم آغا النمر .

(سوق طابور نابلس على جبل الدروز)

صار الدروز بقيادة شبلي الاطرش يغيرون على البلاد المجاورة فاعتقلته الحكومة فثار سكان الجبل الشرقي وهاجموا قرى حوران ولا سيما بصرى الحرير . فسأقت عليهم الدولة طوابير كان من ابرزها طابور نابلس الذي حمسه عبد القادر⁶³ آغا النمر للأخذ بالثار من الطرشان لمحاصرتهم نابلس في عهد موسى⁶⁴ بك طوقان فدخل طابور نابلس السويداء وقد انضم اليه اهل بصرى الحرير وغيرهم من الحوارة ولا يزال اهل بصرى يفخرون ويعتزون⁶⁵ بجبل نابلس .

وبعد ان كان الدروز يقولون :

جبل حوران يا العالي جبلنا واتراك من دم العدا جبلنا

كل الجبال خضعت الاجبلنا وعلى الترك مردود النقا

قالوا : (لا بأس غلبونا اولاد عمنا قرعان⁶⁶ جبل النار) وبعد بضع سنين اي سنة ١٣١٣ هـ هب الدروز وباغتوا اهل بصرى الحرير فاعادت الدولة الطوابير بقيادة ممدوح باشا واخضعوهم وأخذوا بثأر بصرى الحرير . ولما ذهبت لزيارة⁶⁷ قبر خالي فياض آغا النمر سنة ١٩٦١ م اراني اهل بصرى المكان الذي خيم فيه طابور نابلس وهم يعتزون بالنوابلسه وقد دام العداء بين الجبلين امدا .

سوق طوابير نابلس الى اليمن والبلقان

لما تدخلت الدولة العثمانية بادارة شؤون اليمن اعطت عدن للانجليز وشاهد اليمنيون من رجالها وجنودها ما أحفظهم عليهم ونفرهم منهم فوقع سوء التفاهم الذي تطور الى عداة فثارت اليمن فسأقت الدولة عليهم طوابير من نابلس وغيرها ، وكذلك حصل في الالبان ، وغيرهم فسأقت الدولة طوابير نابلس الى بلاد البلقان ايضاً فكان شبان نابلس موزعين في اطراف الممالك العثمانية وكانوا يظهرهم شجاعة وصبراً جعلهم مضرب الامثال . الا انهم من ناحية اخرى كانوا يقتلون أو يموتون فلا يعود منهم الا القليل فضعف أمل الآباء والامهات بذرايرهم اذ لم يكن يبقى في البلاد الا من لا يصلحون للخدمة العسكرية وكانت اخبار الجنود وسوقهم ومآسيتهم شغل البلاد الشاغل فقلت الايدي العاملة وقل النسل وعم الخراب .

قضية اراضي طوباس

كان السلطان عبد الحميد يستملك الاراضي الخراب لاسم اولاده فيعمل على اعمارها باسم (جفتلك) اي مزرعة فاستملك قطعتين من هذا النوع من اراضي قضاء نابلس ورأى رجاله وجوب وصل المزرعتين (الجفتلكين) بالاستيلاء على اراضي حامولة الضراغمة في طوباس بدعوى إنها خرابا فسجلوها على السلطان عبد الحميد بقرار من مجلس الادارة ولما كانت مراعي للحامولة فهبت الحامولة المذكورة بارشاد ومساعدة حافظ آغا طوقان وعبد الفتاح آغا طوقان ورفعوا قضية على السلطان عبد الحميد وقد تطورت حسب الاصول حتى بلغت محكمة التمييز فحكمت لهم . ولم

⁶³ وقد انعمت عليه الدولة بالوسام المجيدي وتشريف بنصف ساعة كنس الروضة الشريفة . ولما كان يوم عيد الجلوس في المجلس البلدي ينتظر مراسيم الجلوس في شعبان سنة ١٣١٠ هـ حصل معه انفجار رنوي فمات في الحال .

⁶⁴ راجع عصر موسى بك طوقان في الجزء الاول من هذا الكتاب .

⁶⁵ لما زرت بصرى الحرير سنة ١٩٦٠ اشاروا الى المكان الذي رابط فيه طابور نابلس وهو على بعد ٣٠ كم عن السويداء واروني قبور الشهداء وراء قبر النبي اليسع وكان ثالثهم قبر خالي فياض آغا النمر الذي تحمس وذهب في الحملة الاخيرة سنة ١٣١٣ هـ .

⁶⁶ كان النابلسيون الجنود يحلقون رؤوسهم فيقولون عنهم القرعان اما الدروز فيطيلون شعورهم .

⁶⁷ كان خالي ممن تجند فمات بالكوليرا وقد دفنوه وضابطين وراء قبر النبي اليسع ولما زرت الشيخ محمد الحريري طلب مني ان اسعى لتعمير الجامع الخرب فكتبت للصديق الوزير السابق عبد القادر بك العظم فساعدتهم هو وغيره وعمر المسجد .

نسمع ان احداً من الضراغمة او الاغوات مس بسوء من السلطات او وكلائه او رجاله على حساب هذه القضية وهذا احد الادلة على عدل السلطان عبد الحميد وحلمه .

مرور امبراطور المانيا عن جبل نابلس في زيارته للقدس

نمت روسيا وتفوقت تفوقاً عظيماً فتسلطت على الدولة العثمانية والصين وايران التي كانت تسميها دول الجنوب واصبح هذا الاسم قرين الاحتقار . وكان جل تسلطها على الدولة العثمانية بناء على برنامج وضعوه لاستعادة ملك البزنطيين الذين ورثوا لقبهم واصبحوا يسمون القياصرة .

وقد رأى الصدر الاعظم راغب باشا الكبير الاتصال باعداء الروس فشرع لدولته الاتصال بدولة بروسيا بشخص ملكها فريدريك الاكبر وقد تابع سياسته من بعده حتى ان الحرب بين الدولة العثمانية و ابراهيم باشا المصري حضرها الى جانب الدولة العثمانية مولتة القائد البروسي .

واستمرت سياسة الدولة الى عهد عبد الحميد وقد اصبحت بروسيا تعرف بألمانيا وملكها يلقب بالامبراطور . ولان السلطان عبد العزيز زار المانيا في سياحته ومعه الامير عبد الحميد فقد رأى الامبراطور غليوم الثاني امبراطور المانيا رد الزيارة للسلطين . وقد تكررت زيارته 68 ثلاث مرات وكانت زيارته لدمشق والقدس سنة ١٨٩٨م الموافق ١٣١٦هـ . وقد جاء من دمشق الى حيفا وسار منها الى القدس ماراً عن جبل نابلس فخرج لاستقباله فرسان جبل نابلس اذ ذاك وساروا مع موكبه الى القدس .

ومما حصل انه اعجب بشويند وسرج فرس الشيخ احمد الحمد الله (عنبتا) وكان من الحرير المرصع بالفضة فاهداه الشيخ له وقد اهداه ال ابي غوش في القرية سيفاً عربياً فاهداهم بندقية المانية. وقد نصبوا له قوس نصر على طريق قريتهم وكان عميدهم اذ ذاك الشيخ عبد الله ابو داود ابي غوش اكبر شيوخ جبل القدس وقد كان له نفوذ كبير في متصرفية القدس. وقد كان لهذه الزيارة اثرها في نفوس الشعب فظلوا يتحدثون بها وقد رفع الشبان شواربهم تقليداً لشوارب الامبراطور .

وكان استقباله في القدس رائعاً فقد أمر السلطان عبد الحميد بفتح ثغرة في سور القدس على جانب باب الخليل ليدخل منها وتقدم الموكب خيالة البدو (يتقدمهم العريقات) ثم ناظم باشا والي الشام ومعه خيالة الدرك (الجاندرمه) ثم خيالة القرى من جبال القدس ونابلس والخليل بزعامة ال ابي غوش وكان الاهالي محتشدين بصورة لم تسبق على جانبي الطريق وورائها يهتفون (هوره هوره) وهي التحية بالالمانية فكان هذا الاستقبال مؤثراً وكان الشيوخ الذين ادركناهم يتحدثون طويلاً عنه كلما ذكر وكان له الاثر المغيظ لدى الدول الاخرى .

وقد كتب الامبراطور الى قيصر الروس بعد ذلك يقول : (لولم يكن لي دين حين زرت القدس لاخترت الدين الاسلامي)

(عيد السلطان عبد الحميد الفضي)

في ١٠ شعبان سنة ١٣١٨هـ احتفل بمرور خمسة وعشرين عاماً لجلوس السلطان عبد الحميد على اريكة ال عثمان . وكان متصرف نابلس اذ ذاك علي غالب باشا فاقيم مهرجان بالغ . وقد اهدى السلطان بالمناسبة ساعة لمنازة نابلس التي وضع حجرها الاساسي في العيد الفضي وقد وزعت الاوسمة والرتب وعفي عن المساجين ففتحت السجون فكان يوماً مشهوداً من سلطنة هذا السلطان .

(فتنة مقتل السيد محمد النجيب تفاحة)

في ربيع سنة ١٣٢٣هـ خرج ضباط الجمرك الى بستان البصة للنزهة والغذاء وكان مع احدهم مسدساً ولما كان يعيث به فخرجت طلقة بدون قصد فأصابته السيد محمد النجيب تفاحة مقتلاً وقيل انه حاول اجباره على الشرب معهم فأبى فخرجت الرصاصة - . وكان معهم . فثار ال تفاحة وأزرتهم نابلس فجروا المعتدي واخوانه من ارجلهم حتى السجن وهجمت البلد على السجن والسراى لقتلهم فصدتهم قوتا الشرطة والدرك وقد اهاج البلاد نقيب الاشراف الشيخ محمد رفعت تفاحة ابن عم المقتول فتجمهر الناس امام السرايا وحولها . وكاد يقع مالا يحمد عقباه وتتسع الفتنة لولا تدخل الجيش وتعقل بعض الوجهاء وعملهم على تسكينها . ثم تتبعت الحكومة المهيجين وادبتهم وحاكمت الموظفين وحكمتهم .

68 كانت المرة الاولى سنة ١٨٨٩م الى استنبول فقط فاحتفى به السلطان عبد الحميد حفوة بالغة وكانت هذه الزيارة سبباً في اقالة بسمارك وتنسيق سياسة الدولتين وتخوف الروس وكانت الثانية المذكورة اعلاه والثالثة بعد الانقلاب العثماني لتأكيد استمرار الصداقة بين الدولتين .

(الثارات بين الصقر والغزاوية)

في سنة ١٣٢٣ هـ قتلت حامولة الصقر الشيخ توفيق الحسن من مشايخ الغزاوية⁶⁹ اذ كان يتجاول هو واخو شوحه الصقري وبديهما حربتان قطعنا بعضهما الا ان ضربة الصقري كانت قاتلة لان فرس توفيق تأخرت فلم يكمل الطعنة فتحامل توفيق على جرحه وهجم على الصقري ولكن ضربته لم تكن قاتلة . ومات توفيق من الطعنة فألى الغزاوية على الاخذ بثأر الشيخ توفيق بقتل احد شيوخ الصقر وهم عرسان وعبدالله ويوسف . وقد اعلن الغزاوية فنجان عرسان فشربه عبد جبار من عبيدهم فصار عرسان لا ينام في بيته بل يتوارى كل ليلة في بيت ثم احتال على الغزاوية وارسل يستجير بهم من اقاربه فحضر لنجدته مائتي خيال (فارس) من الغزاوية فاستلموه وخصصوا العبد الفدائي لخدمته . واقطعوه ارضاً وقد زرعوها له وحصدوها ودرسوها وسلموه غلتها وقد اكرموا غاية الاكرام . ثم ارسل لقومه سرا فحضر منهم مائة وستون خيالا يسترضونه فلم يسلموا به الا بعد جهد وقد حملوا له الهدايا وخرجوا معه مودعين الى آخر - حدودهم . وبهذا اكل الزاد . وبعد رجوع عرسان طلب من متصرف نابلس السعي بالصلح فخابر الغزاوية فاشتراطوا ان تكون عن يد ال النمر وطلب الصقر ال طوقان فارسل المتصرف وفداً للصلح مكوناً من المفتي وامين افندي القاسم وقاسم اغا النمر وحافظ اغا طوقان فاجتمعوا بالفريقين في بيسان ثم جمعوهم وصالحوهم حسب العوايد



صورة 70 صادق آغا النمر ابرز شيوخ شبان نابلس في وقته

(اختلال الامن والتدبير الحكيم)

اختل الامن بسبب ضعف الحكومة وكثرة الرشوة فكثرت الجرائم في القرى وصعب القبض على المجرمين وكثرت السرقات في المدينة حتى سرقت دار المتصرف . الا ان الحكومة دبرته بحيث اشركت مع البوليس شيوخ الشبان باسم مساعد بوليس وهم صادق آغا النمر ، فياض افندي الطاهر حسن بك طوقان ، حيدر العنبتاوي ، حسن خضر وكان راتبهم من البلدية.

(الشنق علناً)

كان من أحكم التدابير الشنق علناً فيعلق المحكوم بالاعدام في حبل مدلى من قبة سوق التجار ويبقى اكثر من يوم . ثم نصبت المشائق في ساحة السرايا القديمة وقد اعدم على هذه الصورة عدد من المجرمين القتلة : عبد زنجي وبخيت العقرباوي وحديرة وعطية وغيرهم فكان لهذه الصورة من الاعدام اكبر عامل لتربية المجرمين ومن في نيتهم الاجرام فقللت الجرائم الى حد كبير .

69 تعرف حامولة الشيوخ بالعقوب .

70 وهو الوحيد الذي وجدت له صورة دون رفاقه .

(مهاجمة دار أمين أفندي القاسم)

ولما كان العمال يحفرون اساسات القسم الخارجي من دار امين افندي القاسم هبط التراب على العمال فقتل حسن مسمار ومصطفى الدنيك وجرح اخرون . فحصل هياج على امين افندي القاسم يريدون قتله بحجة انه لم يذبح قربانا وحضر المتصرف ومعه الجاندرمة (الشرطة) فلم ينفذ الناس الى ان حضر عبد الكريم آغا النمر فتعهد بدية المقتولين وتعويض المجروحين فانفض الناس ونجا امين افندي من اصعب ساعة مرت عليه .

(فتنة كنعان باشا بدرخان باشا الكردي)

سنة ١٣٢٣ هـ اتهم ال71 بدرخان زعماء الاكراد بالاتصال بالروس فنفاهم السلطان، من انحاء المملكة ونفى كنعان باشا الى نابلس فاستغل المتصرف وجوده للاتهام والرشوة

(زيارة الاديب المصري عبد الله نديم لنابلس)

وفي سنة ١٣٠٩ هـ زار نابلس السيد عبد الله نديم خطيب الثورة المصرية العربية فحل في نابلس ضيفاً مكرماً وقد صار يتردد على السامريين وكتب عنهم.

(مشاجرة البيكات ومصالحتهم)

وفي العهد الحميدي ايضا وقعت مشاجرة خطيرة بين ابناء درويش بك طوقان وهم البيكات (اسعد وسعيد وعارف وعلي) وبين ابناء عبد الله بك وهم البيكات (بشير وشكري وحافظ) وباقي البيكات وقد حصل فيها جراح . واذ غلب ابناء درويش بك على امرهم هرعوا الى ديوان ال النمر القبلي ونزلوا72 على قاسم آغا النمر خاصة وعلى حي الحبله عامة فأنزلهم في المقاصير في دار الحريم فدامت المساعي للصالح اربعة اشهر . قام بها اكثر رؤساء عشائر جبل نابلس الى ان صالحوهم فلفى سائر البيكات على ابناء عمهم في ديوان ال النمر وقد لفا معهم جمهرة من رؤساء البلاد وبعد تناول الطعام خرج الجميع (بعراضة) ضخمة حتى قصر ال طوقان يهزجون عليك يا دارنا .

الفصل السادس

(التعمير والانشاء)

(انشاء المستشفى الوطني بنابلس)

في سنة ١٣٠٥ هـ اوصى الحاج صالح خريم بثلاث ثروته البالغة (١٥٠) الف قرشاً للمشاريع الخيرية . وقد نصب الشيخ محمد زعيتر73 لتنفيذ الوصية فرأى بناء مستشفى . فاشتري كرمأ في سفح الجبل الشمالي (عيبال) وابتنى بوسطه غرفتان وغرفتان الى جانب الباب فكانت هذه الغرف أساس المستشفى وذلك سنة ١٣٠٦ هـ وقد كتب على باب الاولين الابيات74 الاتية :

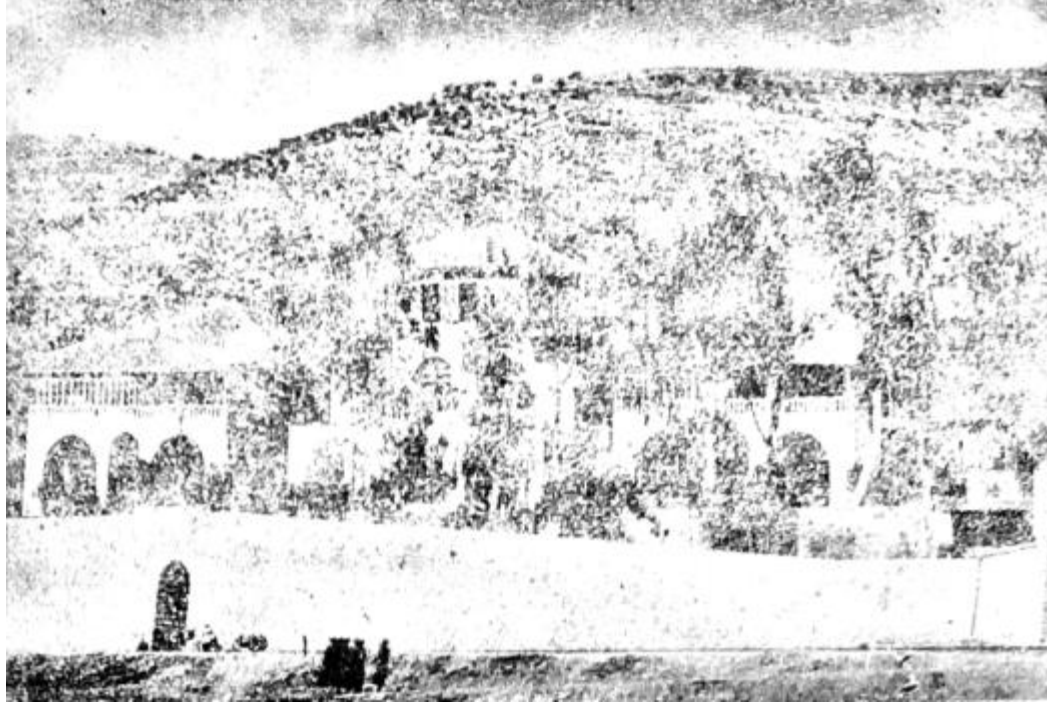
بشرى لنابلس طابت عناصرها	وصح من اهلها جسم لقد نحلا
في عصر سيدنا فخر الملوك علا	عبد الحميد الذي فوق السماء علا
بدا فجر عدل كي نورخها	بصدق لاح مستشفاكم حصلا

71 كانت عشيرة بدرخان عشيرة كبيرة تشكل عدداً من الشخصيات فمنهم القواد والولاة والزعماء الشعبيين وكانوا يهدفون لاستقلال الاكراد جميعا في ايران والعراق وآسيا الصغرى .

72 كان بعض الناس ولا يزالون يتصورون استمرار العداة بين ال النمر وال طوقان على اثر مذابح العهد الماضي . والحقيقة انهم عادوا بعد الصلح اخواناً لا يتفارقون وكانوا يحترمون بعضهم احتراماً كبيراً وكانوا يحلون مشاكل بعضهم

73 ولد الشيخ محمد زعيتر سنة ١٢٥٣ هـ فتعلم ونبه ثم طلب الى الجندية فعين امام طابور فسبق الى اليمن ثم إلى الحرب الروسية فوقع اسيراً وهناك شاهد المستشفيات واثرا فقام بالمشروع . وقد عين مديراً للمكتب الابتدائي بنابلس وفي احد الايام صرف الاولاد بدون سبب ظاهر وبعد ان انصرفوا هبط المكتب فصار النابلسيين فيه اعتقاد الا انه اصطدم بالحاج نمر النابلسي في مزاد اعشار عصيرة فسعى ضده فعزله فرحل الى دمشق حيث توفي سنة ١٣٣٤ هـ . وله في دمشق ذرية .

74 مما يؤسف له ان اسم المؤسس لم يكتب وانهم في البيت الثاني رفعوا السلطان فوق السماء فالهوه مع انه لم يعمل شيئاً وهكذا يكون النفاق الموجد للكفر الذي كان عليه ناس ذلك الوقت .



صورة المستشفى الوطني بنابلس

وكان يسمى مستشفى خريم ثم تشكلت لجنة جمعت الاعانات وبنت ووسعت فسمي المستشفى الوطني



لجنة المستشفى : الجالسون من اليمين : اديب افندي النابلسي ، محمد علي الخياط ، الحاج توفيق حماد ، الحاج طاهر كمال ، عبد الحليم كنعان والواقفون : كمال الدين بك عرفات ، حيدر بك طوقان ، الحاج طاهر الحجاوي

واليك اسماء اعضاء اللجنة التي قامت بجمع الاعانات والزيادة عليه : الحاج توفيق حماد (رئيساً) والاعضاء حيدر بك طوقان نائباً والحاج طاهر كمال واديب افندي النابلسي والحاج يوسف التميمي وعبد الحليم افندي كنعان وكمال بك عرفات وطاهر افندي الحجاوي ومحمد علي افندي الخياط وقد استمرت هذه اللجنة تجمع المساعدات من ذوي اليسار واهل الخير فابنت مما جمعت ثلاثة اجنحة والقسم المجاور للباب وقد وضع المستشفى تحت أشرف وإدارة البلدية واللجنة واذ لم يكن له اوقاف وموارد

وقد فرضت ضريبة الدخولية على كل ما يدخل البلد من الغلال بنسبة الحيوان الذي يحملها فكانت تلتزم بنحو (٢٥٠) ليرة عثمانية ثم تولت الصرف عليه البلدية وعينت لرئاسته الطبيب المرحوم الدكتور نور الدين الكريدي وكان مخلصاً متعاطفاً⁷⁵ في خدمة الناس وتوفي سنة ١٣٣٦ هـ في نهاية الحرب العالمية الاولى .

(الساحة والبركة والمنارة)

لم تكن ساحة في البلدة القديمة وكان المرور امام جامع النصر بطريق ضيقة فرأى متصرف نابلس حوالي سنة ١٣٠١ هـ وجوب استملاك قطعة من البستان المجاور⁷⁶ فاستملك نحو ثلث دونم جعله ساحة انشأ فيها بركة ماء⁷⁷ ثم اقيمت المنارة وراها بتبرعات من الاهالي من اللواء جميعه كبناية القشلة ذكرى بعيد السلطان عبد الحميد الفضي وقد وضعت في أعلاها الساعة التي اهداها السلطان عبد الحميد لنابلس والتي لا تزال موجودة الى الان



مهرجان عيد السلطان الفضي وبناء المنارة برأسة المتصرف غالب باشا

⁷⁵ وقد حزننت نابلس لموته فدفنوه في المستشفى وقبره بارز في الجهة الشرقية منه وقد كتب على شاهدة رأسه باللغة التركية . كريد لي مرسين زاده اوبراتور نور الدين بك روحه فاتحة . وكتب على شاهدته الجانبية الابيات الآتية :
 هذا فقيد العلم والطب من فجعت بموته الناس اشرافاً واصنافاً
 عن فضله ومزاياه حدث فقد جل أخلاقاً واوصافاً
 فكم له نحو مستشفى لنابلس من خدمة جاوزت العد الأفا
 ومد له الحور زفت ارخوه لها بشراك يا نور الدين قد وافى
 وهذا الوصف كله صدق وقد سألت التمرجية وغيرهم ممن كانوا في عهده فقالوا انه كان يطوف على بيوت المرضى الفقراء بدون دعوة يتفقدهم ويعطيهم ثمن العلاج .
⁷⁶ كان يعرف ببستان المحمص (والحدرة) وهو مناصفة بين ال طوقان وال النمر ولما استمكت الحكومة الساحة ابوا قبض الثمن فبني به المتصرف قهوة ودكاكين تجاه الجامع في البستان نفسه بدون رأيهم وبهذا عمر الساحة اذ كانت حاكورة بشعة ثم اتفقوا فاكملوا البناء على ارض البستان فعرف بالسوق الجديد وهو الموجود الان بعد ان اختلفوا مرتين .
⁷⁷ ازيلت البركة مؤخراً .

وقد كتب على بابها الابيات الاتية :
 مأثر الخير بعيد الجلوس أشرفت الدنيا بها كالشموس
 وكان من جملتها ذا البنا لساعة قد جليت كالعروس
 فليحي سلطان الوري غوثنا عيد الحميد الفرد تاج الرؤوس
 في عيده الفضى قد أنشئت ذكرى ليوم فيه طيب النفوس
 منارة قد أسست ارخو بالامن في فضي عيد الجلوس

سنة ١٣١٦ مالي



المنارة - ذكرى السلطات عبد الحميد في عيده الفضى

(قلب زاوية الخضر لمسجد)

كان جامع الخضر الحالي زاوية عميقة ينزل اليها بدرج وتعرف بزاوية الخضر وفي سنة ١٣٠٧هـ أوصى لها السيد أمين عاشور بمبلغ سبعة وعشرين ألف قرش فتولى التنفيذ بدوي افندي عاشور فحولها الى مسجد وسمح الدير بقطعة من ارضه لتصحيحه فبنى الجامع ومنذئذ المثمنة .

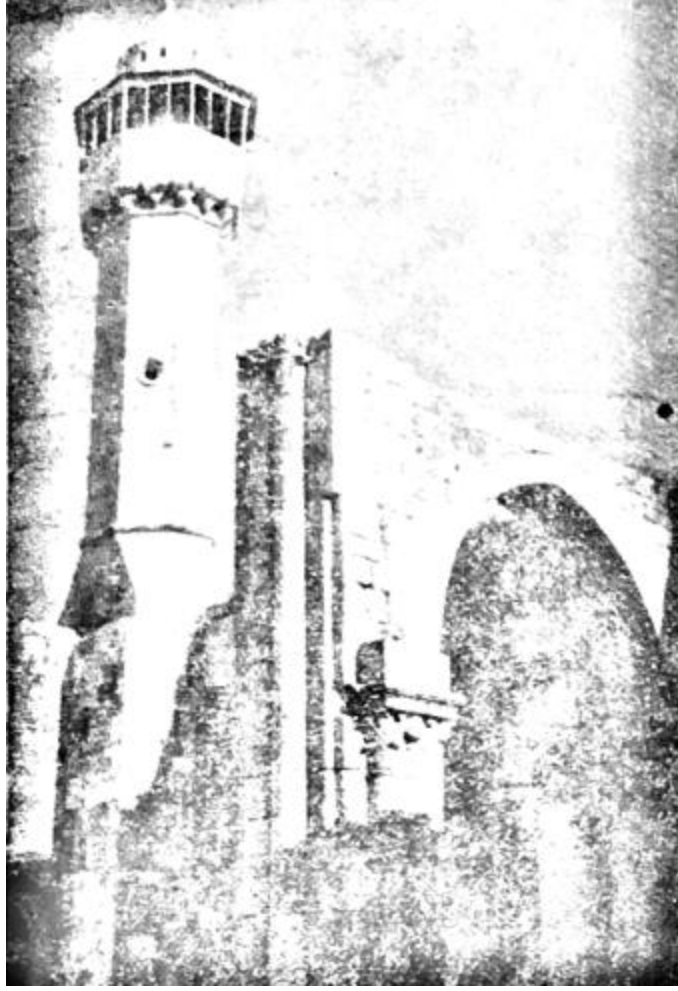
المتصرف صادق باشا وتحويل زاوية رفيديا الى مسجد

في سنة ١٣٠٨هـ زار المتصرف صادق باشا قرية رفيديا بناء على اخبار السيد احمد الناطور . فسأه خراب مسجدها وعدم وجود مدرسة فيها مع وجود أربعة كنائس تقوم الى جانبها مدارسها التبشيرية فقام بمشروع اعمار المسجد وايجاد مدرسة . وقد بدأ التبرع بنفسه فتبرع براتبه لاربعة اشهر وشرع بجمع التبرعات من الموظفين وأثرياء نابلس ومن الحكومة ولما كاد يتم المشروع هبط الجامع فجدد التبرع وأكمل البناء مع منذنة مثمنة رحمه الله تعالى . وقد مات ودفن في نابلس .

انشاءات وتعميرات المتصرف حسين باشا

١٣١٠هـ _ ١٣١٣هـ

لاحظ المتصرف حسين باشا نشاط البعثات الاثرية - وشاع انهم يريدون سرقة قبر النبي يحيى عليه السلام في سبسطية فكتب للسلطان عبد الحميد فأعطاه صلاحية انشاء وتجديد المساجد والمقامات المجاورة للمواقع الاثرية او التي يمر عنها السياح فقام بانشاء وتعمير عدد من المساجد والمقامات اذكر منها ما يلي :



صورة جامع سبسطيه

- 1- جدد بناء جامع سبسطيه ووسعه وانشأ له مئذنة .
- 2- عمر مقام شيخ العماد⁷⁸ على كتف الجبل الشامي (الشمالي- عيبال) الغربي فوق مدينة نابلس ولا يزال .
- 3- مقام الشيخ يوسف في بلاطه .
- 4- مقام مجير⁷⁹ الدين على الطريق الشمالية لنابلس .
- 5- مقام⁸⁰ بدر الغفير .
- 6- جامع التينة بنابلس مع مئذنة مئذنة .
- 7- مئذنة مئذنة لجامع البيك (العين) .
- 8- عبّ طرقات لواء نابلس .

⁷⁸ هو عماد الدين الصمادي وقد افطعه صلاح الدين ثلث الجبل الشامي (الشمالي - عيبال) (له ثم على ذريته) وقد قام بالتولية ال الهكاري كما ظهر لي من كتاب والي الشام الموجه لعمر آغا والمنشور صورته في الجزء الثاني ربما كان السيف الدين ومن نسله عائلة خضر (خمخوم السركجي بنابلس) وهم الذين يتولون على هذه الاوقاف اذ بيدهم حجة على رزق غزال .

⁷⁹ مجير الدين هو احد المجاهدين الذين استشهدوا في هجوم التتار على نابلس وليس ابن عماد الدين .

⁸⁰ بدر الغفير هو صاحب المدرسة التي ذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته والتي أصبحت في اول هذا القرن محكمة شرعية ثم حولتها دائرة الاوقاف الى دكان بجانبها مقام الشيخ بدر الان هذا وهو ليس والد عماد الدين.

انشاء المدارس

كانت دور المدارس من اهم انشاءات هذا الدور ففي سنة ١٣٩٧ هـ انشئت مدرسة ابتدائية على ظهر سوق خان التجار لجهة الشمال عرفت بالمكتب⁸¹ الابتدائي (او مكتب الخان) . ثم انشئت مدرسة اخرى في القسم الغربي من تل الملطون جوار المستشفى الوطني للقسم الثانوي عرفت بمكتب الرشدية وذلك سنة ١٣١٨ هـ وكانت قبل هذا التاريخ في دار بجانب السرايا القديمة والساحة . وهاتان المدرستان انشئتتا بتبرعات ومساعدات عامة من الشعب ومن لم يقدر على الدفع اشتغل بنفسه وقد هدمت في أيامنا لبيع ارضها وبنيت مدارس اخرى بتمنها حسب رأي المجلس البلدي برئاسة السيد حمدي كنعان وزال هذا الاثر الشعبي .

اصلاح جامع الانبياء

في سنة ١٣١١ هـ قامت السيدة فاطمة عاشور باصلاح اروقة جامع الانبياء وابنتى الحاج ابراهيم عبده مؤذنته الحالية . وكان قد بنى ليوانه الحاج حسن فخر الدين الاخرمي في سنة ١١٧٦ هـ .

انشاء مرآة ودبوية في طولكرم

حوالي سنة ١٣١١ هـ بنيت سراية طولكرم (حيث المجلس البلدي) او دبوية للعتاد والجنود ثم استعملت مستشفى ولا تزال



(منظر شارع طولكرم الرئيسي)

⁸¹ هذا اصطلاح تركي يستعمل بدلا من كلمة مدرسة .

تجديد القسم الغربي من مسجد الجامع الكبير الصلاحي في نابلس

اصله كنيسة جستنايس يتصل بدير⁸² لجهة الجنوب حوله صلاح الدين الايوبي الى جامع بحق الفتح فسمي الصلاحي في سنة ١٣٢٢ هـ تداعى القسم الغربي من الجامع الكبير فهدب اثرياء نابلس فتبرعوا لتجديده فهدم واعيد بناؤه فوجدوا في الدعامات أعمدة فأقيم السقف عليها فظهر القسم الغربي ابهى وافضل من القسم الشرقي القائم على الدعامات فتحمس الاثرياء لاسيما الحاج محمد عبده الغزاوي لهدم وبناء القسم الشرقي فثار اصحاب الوظائف من الائمة والمدرسين بحجة إنقطاع رواتبهم فالغى المشروع وبقي المسجد بحالته الحاضرة قسم بأعمدة وقسم بدعامات وما يزال هذا المشروع قيد الاتمام ففي الدعامات اعمدة يمكن ان يقام عليها السقف فيصبح جميعه باعمدة .



(صورة القسم الغربي)

انشاء مستشفى الارسالية وعيادة الراهبات

في سنة ١٩٠١م اسست الارسالية البريطانية في الجهة الغربية من نابلس على قطعة ارض اشتروها من ال ابي غزالة . وكانت تعمل للتبشير⁸³ بالبروتستانتية فتمذهب بعض ابناء الطوائف المسيحية الاخرى بالمذهب البروتستنتي واخيرا تنازل لهم البريطانيون عنه وتولى ادارته الدكتور جميل طقطق لاسم الوطنيين خاصة .

وفي سنة ١٩٠٤م انشئت عيادة الراهبات ماريوسف في الجهة الشمالية من نابلس جوار المستشفى الوطني تعني بمعالجة العيون والأذان وغيرها من المعالجات البسيطة ثم انشئت بجانبها مدرسة بنات ابتدائية واصبحت الان ثانوية وفي الحرب العالمية الاولى اشتغل الراهبات في المستشفى الوطني .

⁸² والذي أستعمله الصليبيون كمصح وحوله المسلمون الى زاوية بحي العقبة ثم استعملت لتعازي الحارة فخربت فعمرها ال الخياط لانها لاصقة لدارهم ولا تزال،

⁸³ ظهرت دعوتها للتبشير فيحصل شغب في البلدة كانت نتيجة نقل الدكتور رايت وتعيين الدكتور فلتشر فاعوق التبشير وعمل للتفاهم وصادف قيام ال عاشور بتحويل زاوية الخضر الى مسجد والحاجة الى تصليحه بقطعة من الدير سمح بها الدكتور فلتشر فزال بذلك الشغب . وتوفي الدكتور جميل طقطق سنة ١٩٥٤ .



(صورة مستشفى الارسالية الانجليزية بنابلس)



الدكتور فلشر مؤسس المستشفى الانجيلي



الدكتور جميل طقطوق



مكتب الرشيدية (المدرسة الغزالية) _ وقد باعها البلدية

بناء منڈنة جامع الساطون ورأس منڈنة جامع الخضر

واعمار جامع زواته .

لم يكن لجامع الساطون منڈنة وفي سنة ١٣١٥ هـ جمعت تبرعات من اثرياء نابلس فأُنشئت منڈنة لهذا الجامع باثني عشر وجها وهي نادرة وتمثل 84 كثرة الاضلاع . وفي نفس السنة بنيت صنوبرة منڈنة جامع الخضر وكانت هدمت بقنابل مدافع ظاهر العمر حينما هجم على 85 نابلس . وقد بناها قيم المسجد الشيخ طاهر شرف من ماله الخاص . وقد عمر الحاج توفيق حماد جامع زواته .

تجديد جامع عنبتا

هو جامع قديم صار تجديده سنة ١٣٢٥ هـ بتبرعات من عنبتا وفي سنة ١٩٣٨ م بنيت منڈنته بتبرعات من البلد ومن المجلس الاسلامي وقد قامت بذلك لجنة مكونة من السادة : حافظ الشيخ محمود ، والشيخ محمد العورتاني ، والمختار ذيب ابوريا ، والحاج مصطفى اليوسف .

بناء جامع برقين سنة ١٢٨٣

قام ببنائه الحاج ياسين جرار واسس مكتبته .

84 لا يوجد لها مثيل في بلادنا الا جامع فاطمة خاتون في جنين وقد بناها المعلم احمد سعيد الصروان .

85 راجع الجزء الاول

(الباب الثالث)
الانقلاب العثماني
(الفصل الاول)
احوال الدولة العثمانية
المسألة الشرقية

منذ مالت الراية العثمانية عن اسوار فيينا وشعرت دول اوروبا بضعف هذه الدولة فصارت تتآمر لمهاجمتها واقتسامها وصارت دولة روسيا تشن عليها كل عشرين سنة حربا شعواء وبنتيجة الحرب تفرض عليها غرامة ثقيلة . وكادت تتداعى وتقتسمها الدول الاوربية بل اخطرتها بالتقسيم الا ان تنافس تلك الدول فيما بينها حال دون ذلك . وقد تخوفت دول اوروبا الغربية من توسع دولة روسيا فقرروا صدها فاتفقوا مع الدولة العثمانية ففتحت لهم المضائق فهاجموا روسيا في شبه جزيرة القرم فغلبوها واضطروها الى طلب الصلح فعقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦م وقرروا فيه اعتبار الدولة العثمانية من الدول الاوربية .

الا ان روسيا لم تنتظر كثيراً بل شنت عليها حرباً اخرى فكسرت جيوش الدولة العثمانية وتقدمت جيوشها حتى بلدة استافنوس في ضاحية استانبول العاصمة . وقد وقع السلطان على معاهدة جعلت دولته منطقة نفوذ لدولة روسيا فهبت الدول الغربية وتنادت الى مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م سنة ١٢٩٤هـ الذي لعب فيه بسمارك دوراً لفت لالمانيا انظار دول العالم.

ولما وجدت روسيا نفسها محرجة لجأت الى الاساليب السرية باستمالة العناصر التي تتكون منها الدولة لايجاد مفاصد تتخذها ذريعة لتقسيم الدولة وقد قابلتها الدول الاخرى بالمثل . وكانت جميع الدول حاصلة وتحصل على امتيازات تخولها التدخل في ادارة الدولة وحماية العناصر التي تميل لهذه الدول . وبهذا اصبحت الدولة العثمانية في اسوأ حال من تدخل الدول الاجنبية في شؤونها بواسطة سفرائها وقناصلها واصبحت معرضة للثورات من العناصر التي اخذت تنمر في جميع انحاءها من السلاف والارمن والبلغار والاكرد والعرب والأتراك انفسهم .



الشعار العثماني

(حكام نابلس لهذا العهد)

لم يكن الجنس التركي متحكماً إنما كان الحكم عثمانياً تشترك فيه جميع عناصر الدولة من عرب وأتراك وجركس وأكراد والبان وأرمن وروم ويهود فكان أكثر الحكام (المتصرفون) الذين تولوا الحكم في نابلس لاسيما في البداية عرباً فضياً بك مصري وسعيد باشا دمشقي من أكراد الصالحية وعزيز بك دمشقي من آل العظمة وحسين بك بيروت من آل الاحدب وهولو باشا دمشقي من آل العابد ، وهكذا كانت الحال مع سائر الموظفين في الدوائر وكانوا جميعاً يمتزجون مع أبناء البلاد لانهم عرب أو يتعربون واكفاء لان الدولة العثمانية كانت تحسب حساب نابلس فلا تعين لمتصرفيتها الا اهل الكفاءة والمقدرة .

(دهاء السلطان عبد الحميد)

في سنة ١٢٩٣ هـ وصل السلطان عبد الحميد الى أريكة آل عثمان ودولتهم على جانب عظيم من الفقر والضعف يذهب معظم ميزانيتها غرامة لروسيا ونفقات لآخامد الثورات والدسائس والمشاكل التي تخلفها الدول المتنافسة والعناصر المالية لها . وهي في نفس الوقت تحت الاشراف الدولي . ففي سنة ١٨٧٧م دعا السلطان فور جلوسه الى مجلس شورى من كل ولاية عضو وسن دستوراً . ولما ثارت الحرب الروسية العثمانية فوجيء بخيانات كبيرة في الإدارة والجيش وتعب هو ورجاله من تنبه العناصر المتمردة فاعتقد كنتيجة لذلك ان إدارة هذه الدولة تحتاج الى حزم مطلق فبدل رجال مجلس الشورى (شوراي دولت) بخبراء من رجالات الدولة المتقاعدين وصار يتدخل في كل شأن من شؤون الدولة حتى لم يبق لمجلس الوزراء أي عمل مستقل فبعد أن كان مجلس الوزراء (الصدارة العظمى) يتعرف بشؤون الدولة كما يرى وكان السلطان عبد العزيز لا يهتم الا بقصوره أصبح هذا السلطان دائم السهر لا يغفل عن شيء واصبح يقطع جانباً كبير من ميزانية الدولة لنفقات ادارته الخاصة التي ينفقها دون علم الوزراء يدفعها لأمرأه البلقان لاستمالتهم عن روسيا . فلم يكن هذا السلطان كما يصوره مؤرخو الغرب أو الترك بل كان داهياً أريباً استطاع ان يقف بدولته مدة ثلث قرن بين العواصف الدولية واستطاع ان يوقف الحروب على دولته



صورة السلطان عبد الحميد في شبابه

وقد استغل التنافس الدولي الى حد كبير . وقد اثبتت الحوادث التي تلت خلعه انه كان قديراً⁸⁶ وانه رجل الساعة ولوانه تأخر على عرشه حتى وقعت الحرب العالمية لاستغل الموقف استغلالاً كبيراً . كان يدفع لملك الصرب راتباً وكان هذا يخاطبه بالوالد وكذلك كان يفعل مع غيره من رؤساء دويلات البلقان كأمر الجبل الاسود ليضمن هدوهم فلا يعملون لبرنامج روسيا وكان يهب الهبات السخية لسفراء ايطاليا فيغريهم بالتهويل لدولتهم اذا هي هاجمت ليبيا (طرابلس - برقة) . وقد اوجد جيشاً عرمرماً من الجواسيس للسهر على كشف الدسائس الاجنبية فالتقطوا له كثيراً من الارمن والسلاف وغيرهم متلبسين بجريمة الخيانة فيرسل سراً من يقبض عليهم ويرمونهم في بحر مرمرية . وفي نفس الوقت كان يعمل للاصلاح فصار يشتري قطعاً للاسطول ويكون طوابيراً في الجيش ويحض الاهالي على بناء المدارس والتكنات وقد طبع مجلة الاحكام الشرعية (القانون المدني العثماني) وبمجرد انتهاء آخر اقساط الغرامة الروسية صار يعمل للجيش والاسطول والمعارف والطرق وقد مد سكة حديد الحجاز .

وتم سياسة اخافت الدول الغربية فقد احيا فكرة الخلافة الاسلامية فاجتذب اليه رجالات العالم الاسلامي فأصبحت عاصمته تعج برجالات الاسلام . اللاجئين والهاربين من اضطهاد الدول الاجنبية كجمال الدين الافغاني والشيخ طاهر الجزائري وخير الدين باشا التونسي وغيرهم وقد عمل كل ما يستطيع لاستمالة الشعوب الخاضعة له والخارجة عن حكمه على السواء.

وقد اتصل بالامبراطور غليوم الثاني فزاره ثلاثة مرات مع انه لم يزره قط فاشغل الدول الاوروبية ايما اشغال. واعظم ما اثار الدعايات ضده الصهيونيون فانهم عرضوا عليه مبالغ من المال على ان يمنحهم وطناً قومياً في فلسطين فأبى وتنبه لهم فاعطى أمراً بعدم تسجيل الاراضي على اسمهم وذلك في سنة ١٣٠٨ مالي وفق ١٣١٠ هـ وهذا مسجل⁸⁷ في سجلات دائرة الاراضي في القدس . فاقاموا الدنيا واقعدوها ولما شكلت جمعية الاتحاد والترقي اندس فيها كثير من اليهود الدونما اي المنافقين الذين ابطنوا اليهودية واطهروا الاسلام وما زالوا يعملوا حتى خلعه .

(العمل للانقلاب العثماني)

ان السياسة الاسلامية والصلة الالمانية اثارَت شكوك الدول الاوروبية فخافت على مستعمراتها فصارت صحف لندن وباريس وفيينا وروما وغيرها تكتب الاعمدة الطوال التي يوافيها بها مراسلوها عن بذخ السلطان وموكبه العظيم يوم الجمعة وعن قصوره وما بداخلها من العظمة والخدم والاعوان فتعلق هذه الصحف بما تشاء . وكانت تنشر ايضاً عن الاغراق في مرمرية وهم يعتبرونها مظالم دون ان يجدوا لها اي مبرر ودون ذكر الدسائس التي تنتج عنها الخيانات . لقد اثرت هذه الحملات في الشبان الذين يدرسون في جامعات اوربا فتخوفوا على الدولة من حملات الدول وكانوا شاهدوا ما عليه ادارة تلك الدول من النظام الحديث فهبوا يطالبون باعادة الدستور وتطبيق النظم الغربية . وقد اوجدوا لهم في الجيش انصاراً فأسسوا جمعية باسم (جمعية الاتحاد والترقي) وانشأوا لها فروعا في جميع انحاء الدولة العثمانية وفي سنة ١٣٢٤ مالي اغتالوا شمس الدين باشا احد رجال السلطان المخلصين فأشار عليه المفتش الثاني بضرورة إعلان الدستور فأعلنه فابتهج الجميع لذلك وزينت المملكة . وقد ابقاو الصدر الاعظم كامل باشا في دست الوزارة الا ان جماعة السلطان تخوفوا وقد فقدوا نفوذهم فهبوا يدعون الى الحكم بالشريعة المحمدية وطلبوا الغاء الدستور ، فاضطرب الاتحاديون انصار الدستور ونسبوا ذلك للسلطان فاستعملوا القوة وتقدم جيشهم بقيادة محمود شوكت بسرعة فائقة ودخل استانبول فاحمد الفتنة وجددوا الانتخابات البرلمانية فوجدوا مجلساً مالياً لهم فوافق بالاجماع على خلع السلطان فاعلنوا خلعه واجلسوا اخاه السلطان محمد رشاد .

وقتل هؤلاء محمود شوكت فألغى الجمعية والحزب وحكموا وقتلوا بعض رجال الائتلاف . وقد كانت نابلس تتأثر بهذه الاحداث كانها العاصمة لانها تتصل بالعاصمة برقياً فتعمل على منوالها كما سيأتي .

⁸⁶ قال السيد جمال الدين عنه (لو وزن باربعة من عظماء عصره لرجح عليهم) وقد قال لي عبد القادر بك التل الافغاني مايلى لما اجتمعت بروتيرغ صاحب المشروع للتفاوض بخصوص ارضنا المجاورة للمشروع سألته عن السلطان عبد الحميد بوصفه سفير دولة النمسا في عهده فقال (اسمع يا عبد القادر بك لم ينبغ في الشرق الادنى منذ مائة سنة رجل اخر يوازن هذا السلطان ولن يظفر الشرق بمثله خلال القرن الاتي)

⁸⁷ ان هذا الرفض من السلطان عبد الحميد هو الذي كشف جانباً من اخلاصه وحسن نواياه فجعل النشء الجديد يكبره رغم تأثره بدعايات الغرب ضده وستكشف الايام عن عظمة هذا السلطان وحسن نواياه جميعها كما يشهد بذلك السيد جمال الدين الافغاني في خاطراته . على ان صفة الجبن التي رماه بها الافغاني ليست صحيحة لان نهايته ونهاية دولته دلت على انه كان على حق في تخوفه ولو عاش الافغاني الى ما بعد الانقلاب لرجع عن هذه التهمة .



(صورة للسلطان محمد رشاد)

(الفصل الثاني) (الانقلاب في نابلس) (اعتقاد النابلسيين بالسلطان عبد الحميد)

ان سرعة المخابرات بالبرق وتنظيم البريد وتيسر المواصلات وطول المدة وتردد رجالات نابلس على العاصمة العثمانية عرفت النابلسيين بالسلطان عبد الحميد معرفة مع المبالغت فهو الذي يضحك على الدول وهو الذي يوازن بينها وهو الولي صاحب الاسرار والكرامات الذي يجتمع كل ليلة جمعة بالرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم فيعطيه التعاليم اللازمة وهو صاحب الفراسة التي تقارب علم الغيب الى غير ذلك من الاعتقادات التي وجدت في ادمغة رجال العهد الحميدي والتي نقلها اليهم رجالهم الذين زاروا العاصمة فمكثوا بها زمناً . وفي مقدمة هؤلاء الشيخ امين افندي أبي الهدى المفتي الذي طلبه السلطان بعد مصادماته⁸⁸ مع الضباط العسكريين فابقاه سنة في ضيافته في العاصمة فاطلع عن كتب على احوال السلطان وسمع كثيرا ممن يطلعون على احواله فعاد الى نابلس يتحدث في ديوانه عما

⁸⁸ كان المفتي يراقب الضباط والموظفين في رمضان فاذا تحقق عدم صيام احدهم جلده بيده غير مبال بزيه العسكري فشكوه للسلطان فطلبه . وكان مهابا جسيما جهوري الصوت مرتجلا خطب على منبر جامع السلطان خطبة الجمعة الاولى في وصوله للعاصمة فاعجب به السلطان اعجابا شديداً فآكرمه وانعم عليه .

سمع ورأى . وكان ثلاثة من ضباط جبل نابلس في درس السلطان الخاص وهم محمود بك السيريسي وحامد بك اسليم (نابلس) وياسين بك الفارس الطلوزي والآخر اعظمهم⁸⁹ شأنًا اذ كان السلطان يرسله بالهدايا والمراسلات السرية الى الملوك كملك الحبشة وامبراطور الالمان . فكان هؤلاء الثلاثة يزورون اهلهم كل بضع سنين يقضون وقتًا مناسباً يتحدثون فيه عما يشاهدونه من احوال السلطان وتصرفاته وابهته.

وقد زاره نقيب الاشراف الشيخ رفعت تفاحه الحسيني مرات اسمعه في أولها قصيدة مديح رائعة فاعطاه خمسين ليرة عثمانية ذهباً فحولها حالاً للمصالح الخيرية فدهش السلطان من انفة نقيب اشراف نابلس التي قلما توفرت في ذوي العمائم في عهده . فكان سيادة النقيب من اكبر دعاته . وكذا الشيخ منيب هاشم القاضي المفتي العالم والشيخ عبد العزيز اسليم مفتش الانساب .



(صورة السلطان عبد الحميد في كهولته)

⁸⁹ كان اذا جاء الى نابلس استقبال استقبالاً كبيراً من الحكومة والشعب والمدارس . وفي أخريات الحكم الحميدي ارسله السلطات معتمدا مراقبا الجنوب ثم خرج وسافر الى استانبول بعد اعلان الدستور فلما خلع السلطان ناله ما نال رجال السلطان من المطاردة والاضطهاد والاذلال وقد عاش الى اخريات عهد الانتداب البريطاني .

فقد زار العاصمة مراراً ووقف على الكثير من تصرفات واحوال السلطان عبد الحميد فكان يدافع ويحتج له فكان يقول لمن ينسبون اليه الاغراق في مرمرة - (نحن العرب نصف الدولة العثمانية فاين حصتنا من غرقى مرمرة). وكان آخر الدعاة وأقدرهم اسلوبا الشيخ احمد الخماش أكبر مدرسي المساجد في نابلس فقد زار العاصمة حينما انتخب عضوا في مجلس الامة العثماني فعاد يتحدث عن افتتاح المجلس ودعوة السلطان لهم⁹⁰ في قاعة حولها خمسمائة قلطق (كرسي منجد) وبين كل عضوين فسحة لجلوس السلطان وقد طاف المجلس كله يجلس يحدث الاعضاء ويسألهم عن احوال بلادهم وما يطلبون لها فعاد يحدث الناس عن لطف السلطان وتواضعه وابهته. هذا الى ما كان ينشره الدعاة والموظفون من الامور المقبولة وغير المقبولة وبهذا اصبح للنابلسيين به اعتقاد عظيم وقد خصصوا له المدائح التي ينشدونها في المهرجانات الرسمية وغير الرسمية . ويكتبون الانشاءات بأسمه .



صورة الشيخ احمد الخماش

وقد حدث شيء عملي كان دعاية بنفسه فقد كان له مزرعتان احدهما في غور نابلس والاخرى في غور بيسان وبينهما نحو تسعين الف دونم مراعي لطوباس فقام وكلاء السلطان بتسجيلها على السلطان لوصل المزرعتين فتكون مقاطعة كبيرة . فأقام اصحابها وهم عشيرة الضراغة في طوباس قضية على السلطان بتشجيع ومعاضدة الوجييين الاخوين المتصلين بهم وهما حافظ آغا طوقان وعبد الفتاح آغا طوقان واستمرت المحاكمة وأخذت جميع درجاتها حتى التمييز وقد حكم على السلطان ولم يمس احد من الضراغة ولا من الاغوات بأذى .

(رجال الانقلاب في جنوب سوريا)

اتخذت جمعية الاتحاد والترقي في القدس مركزاً سرياً ومنه نشرت فروعها وكان العمل يجري بمنتهى التكنم والحذر وقد اعتمدوا على كامل بك الالباني⁹¹ احد اساتذة المدرسة الاعدادية في القدس وشخص آخر يدعى امين بك كان يشغل وظيفة موزع بريد⁹² ثم ظهر انه شقيق طلعت باشا وزير داخلية العهد الدستوري فيما بعد . وسامي بك الحلبي قومندان (قائد) الجاندرمه في القدس ولم ينضم اليهم في القدس سوى الشيخ موسى أفندي البديري استاذ الدين في المدرسة الاعدادية في القدس والسيد شريف اصبوح من معلمي القدس .

90 ثم اعتزل وقد عرض عليه الانكليز رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية فرفض حينما زاره السكرتير العام دوسي .
91 الالبان انضموا في كل مكان لان بلادهم كانت مركزاً رئيسيا للحزب وكان نيازي بك الالباني احد زعمائهم من ابرز رجالاته
92 اعتمدوا موزعي البريد ووظفوا أوثق الناس ليضمنوا سلامة المراسلات.



صورة الاستاذ شريف اصيوح

(الفرع الاتحادي في نابلس)

وقد اعتمدوا في نابلس على عبد الرحيم افندي الالباني مدير المدرسة في نابلس وعلى أحمد حلمي (باشا) عبد الباقي الالباني مدير البنك الزراعي بنابلس وعلى حسني بك القائمقام العسكري (رئيساً) وامين بك الصقولي قائد سوق الرديف في نابلس وقد انضم اليهم من نابلس - الحاج محمد عبده وحيدر بك طوقان ، وعبد الفتاح افندي ملحس (احد معلمي المدرسة الاعدادية) و رامز⁹³ آغا النمر وراغب أفندي شاهين والسيدان سعيد السايح وعثمان ملحس .

(اعلان الدستور في نابلس)

لما وردت اخبار اعلان الدستور الى نابلس ابى المتصرف امين افندي الترتي اعلانه فأعلنه رئيس البلدية الحاج محمد عبده بتشجيع الضباط الاتحاديين له وقد اقاموا المهرجانات والزيارات . وحالا افتتح الاتحاديون ناديهم باسم (القلب⁹⁴) وصاروا يترددون عليه واصبح مقر الاعمال السياسية واصدار الاوامر .

(الحركة الرجعية)

ما كادت تصل الاشارة بتشكيل جمعية الشريعة المحمدية⁹⁵ ضد الدستور حتى هب النابلسيون على اختلاف نزعاتهم ينادون بسقوط الدستور وحياة السلطان وهرع الجميع الى ديوان ال النمر الكبير يقسمون يمين الولاء للسلطان عبد الحميد معلنين سخطهم على جمعية الاتحاد والترقي لاعنين قطبيها انور ونيازي . وقد تزعم هذه الحركة الحاج توفيق حماد وجمعيته لانها ضد خصمهم الحاج محمد عبده الذي ظنوا انه تورط متوقعين الفتك به وبأنصاره فكان الامر بالعكس .

(تدابير الاتحاديين)

كانت الوزارة الاتحادية قد تخلت عن مراكزها لتحل محلها وزارة ائتلافية إلا انها عجزت عن كبح جماح اضداد الدستور فعاد الإتحاديون الى ثورتهم معتمدين على الجيش فاسقطوا الوزارة وحلوا البرلمان وشكلوا وزارة اتحادية ودعوا الى انتخابات جديدة تضمن الاكثرية بجانبهم وصاروا يقبضون على جماعة السلطان في كل مكان ليتمكنوا من خلع السلطان .

⁹³ وقد كان مفتشاً عاماً لفروع الاتحاد في جنوب سوريا وكان تقريره فوق المتصرفين والوالي

⁹⁴ كان هذا النادي اول نادي فتح في البلاد وقد اشترك بالمجلات واهمها الهلال وانشا مكتبة وكان باشراف رامز آغا النمر اكبر اعضائه وقد حفظ كتبه وختمه

⁹⁵ اسسها كامل باشا الصدر الاعظم واغلق نوادي الاتحاديين فكان ذلك سبب تجدد ثورتهم .

(اضطراب نابلس)

كرد فعل لما فعله الرجعيون دعى الاتحاديون الى التطوع فتوافد الشباب الى النادي (القلب) الاتحادي لتسجيل اسمائهم للتطوع وهم يفهمون انه للجهاد العام ولما ساروا هتفوا وحيوا السلطان قائلين (يادار يا دارنا عبد الحميد يا عزنا عبد الحميد يا منصور وبسيفك هدينا السور) فترجمها الحاج توفيق لضباط (القلب) فامتنع لونهم الا انهم رغم هذا ابرقوا للعاصمة يقولون تطوع في نابلس ستين الف شاب وقد بدأوا الزحف الى العاصمة . وبالفعل ذهب خمسة من شبانهم الى القشلة وتقلدوا بنادق وهم ظاهر افندي عبده والاستاذ عبد الفتاح ملحس وصائب افندي التركي مامور النفوس وراغب افندي شاهين والسيدان سعيد السايح وعثمان ملحسن وقد ساروا مشياً على الاقدام ولما وصلوا جنين تلقوا برقية التوقف فعادوا ادراجهم الى نابلس بحالة رثة اذ تلطخت ثيابهم بالوحل الذي يرشق عليهم من الناس فاستقبلهم صبيان نابلس بالسخرية المعهودة (أحوا أحوا) فكان صائب أفندي التركي يستفسر من أخوانه عن هذا اللفظ بالتركية (ندرى حاحو حاحو) اي ما معنى احو احو فيفهمونه.

(خلع السلطان)

استفتى الاتحاديون شيخ الاسلام الموالي لهم وحصلوا على قرار اجماعي من مجلسهم بخلع السلطان بعد سنة من اعلان الدستور وقد داسوا صورته بأرجلهم وأهانوا رجاله وانصاره وكل من له به صلة واعتقلوا السلطان نفسه ونقلوه الى سلاطيك⁹⁶

اما في جبل نابلس فانهم قبضوا على صالح افندي الركابي قائمقام طولكرم وارسلوه محفوظاً الى دمشق واهانوا صورة السلطان وكانوا قبضوا قبل ذلك على من أثاروا⁹⁷ الاضطراب . وقد جاء لتسكين الاضطراب اربعة طوابير نظامية .

(لجنة التحقيق وقرار ناظم باشا الوالي)

لما بلغ الاتحاديون ما حصل من الاضطراب في نابلس والتظاهر مع السلطان عزلوا المتصرف امين بك التريزي وعينوا فتحي سليمان باشا احد اقطابهم وأرسلوا معه اربعة طوابير نظامية لتهدئة الاحوال ثم ارسلوا لجنة تحقيق مكونة من ثلاثة من رجالهم الموثوقين وهم : نعيم بك، واسعد بك، وضيا بك فسمعوا شهادات تعدد من الرجال الحيايين والموظفين فوضعوا تقريرهم الخطير الذي أظهر حقيقة جبل نابلس وقد أوصوا بابعاد موظفي العائلات الثلاث من جبل نابلس جميعه وهم ال طوقان وال حماد وأل عبد الهادي وقد او صوا بمعاكستهم ومن ذلك الحين انقلبت الحكومة ضدهم وحرّم عليهم التوظف في جبل نابلس الا ان القرار لم ينفذ بحرفيته لان فتحي باشا قد نقل . وعين مكانه ضيا بك المرتشي وصديق ال حماد .



صورة ناظم باشا

⁹⁶ الا انه لم يطل بقاءه فيها فان الحرب البلقانية اضطرتهم الى اعادته الى استانبول فبقي فيها الى ان توفي اواخر الحرب العالمية الاولى
⁹⁷ وهم الحاج توفيق حماد ، وحافظ باشا المحمد عبد الهادي ، والشيخ عمر زعيتر والحاج حسن افندي حماد والحاج عبد الهادي القاسم عبد الهادي وقد اعتقلوهم في بيروت الى ان خلع السلطان وهدأت الاحوال فاعيدوا لنابلس مراقبين معاكسين ايضاً

(الفصل الثالث) اثارة العناصر والدسائس ضد الاتحاديين انقلاب سلمي

كان الانقلاب العثماني وخلع السلطان موضع اعجاب المنصفين في العالم اذ لم تسفك فيه دماء . الا ان هذا لم يرق في اعين الطامعين فصاروا يثيرون العناصر التي اعتادت التمرد . فاثاروا الالبان والاكرد واليمن وعسير والدروز والكرك .

نقمة العثمانيين وبطش الاتحاديين

استبشر العثمانيون بالانقلاب وعلقوا الامل الكبار على الاتحاديين وعلى برنامجهم الاصلاحى الذي اعلنوه والذي عملوا على تنفيذه بالحوال . ولما ظهرت حركات التمرد هاجت الممالك العثمانية وماجت وهبت تشجع الجيش على البطش بالتمرديين . وقد وقع في بلادنا مثل هذا الهياج .

(الفصل الرابع) (اصلاحات واعمال العهد الدستورى) الاصلاحات العامة

كان الاتحاديون مفكرين متتورين قد درسوا احوال الدولة الداخلية دراسة صحيحة فعملوا كل ما فيه اصلاح اسباب المفساد ومن ذلك.

١ - الغاء نظام التزام القرى الذي كان من اهم اسباب ارهاق القرويين وقد بدلوه بنظام التخمين من قبل الخبراء وتحصيل قيمته كسائر الضرائب⁹⁸.

٢ - الغاء نظام انتخاب اعضاء المحاكم النظامية الذي كان عن طريقه يعين اعضاء غير اكفاء واصبح اعضاء المحاكم يعينون من ذوي الكفاءات والمؤهلات القانونية .

٣- تحليف الموظفين على عدم قبض الرشوة .

٤- الغاء نظام القرعة والاستثناءات وقد عمموا التجنيد فشمّل أهل الإنساب . قال انور باشا ان الذين قاموا بالجهاد الاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فذرائعهم احق الناس بالجهاد.

٥ - الضرب على ايدي العابثين بالامن وانقاذ الدوائر من تسلط الزعماء وارباب النفوذ من الوجهاء والمشايخ .

٦- اصلحوا المعارف وعنوا ببرنامج التعليم .

٧- اصلحوا الجيش وكل ما يتعلق به .

٨ - نادوا بالاقبال على التجارة والمهن والصناعات لاضعاف عبادة الوظيفة الى غير ذلك من الاصلاحات التي تقدمت معها الدولة تقدماً كبيراً .

الا انهم كانوا يجهلون الطرق التي كان يتبعها السلطان في سياسته الخارجية .

اثر الاصلاح في جبل نابلس

عين الاتحاديون فتحي باشا متصرفاً لنابلس وكان من كبرائهم⁹⁹ فقام بتطبيق الاصلاحات العامة والمحلية فقد ضرب على ايدي المتزعمين وقام بإنشاء عمارات كثيرة كما سيتبين في هذا الباب وقد عني بالطرق والمعارف واستمر الامر بعده كذلك لولا حدوث الحرب العالمية الاولى.

⁹⁸ ثم استبدله الانكليز بالتخميس اي التقدير لكل خمس ووضع المعدل

⁹⁹ كان يحمل رتبة بالا اي مرشح الولاية وكان رفيق صف للسلطان محمد رشاد وكانت طلباته لا ترد .

وكان يراعي العادات والتقاليد¹⁰⁰ وقد ظهر بمظهر شعبي فكان يحضر الحفلات والاجتماعات ويحادث من يصادفهم اثناء مروره فأحبه النابلسيون وقد مكث في نابلس نحو اربع سنين تبدأ من سنة ١٣٢٩ هـ . وقد انتعشت نابلس في عهده في كل شيء وكذلك اللواء جميعه وقد كانت شخصيته سبباً في اظهار اثر الانقلاب .

عضوية مجلس المبعوثان (النواب)

لما قبل السلطان عبد الحميد باعلان الدستور امر بارسال شخصيات من كل لواء فاتفق جبل نابلس على الشيخ احمد¹⁰¹ الخماش . وبعد حل هذا المجلس واعادة الانتخاب فاز حيدر¹⁰² بك طوقان

(الشعرات النبوية)

حصل حيدر بك طوقان في استانبول على ثلاث¹⁰³ شعرات نبوية هي المحفوظة في جامع الحنبلي¹⁰⁴ ويتولى امر فتحها شخص من ال¹⁰⁵ البيطار بنابلس . وفي الدورة الثالثة فاز الحاج توفيق حماد وفي هذه الدورة وقعت الحرب العالمية الاولى ثم انتهى الحكم العثماني .

(عضويات مجلس العموم)

شكل في هذا العهد مجلس في الولاية باسم مجلس العموم كان يشترك فيه اربعة اعضاء من كل لواء¹⁰⁶ من ألوية ولاية بيروت ينتخبون من مجلس الادارة . وقد اشترك في دوراته المتكررة عن لواء نابلس : توفيق افندي عبد الهادي والحاج حافظ آغا طوقان والحاج حسن افندي حماد و ابراهيم افندي القاسم عبد الهادي ورامز آغا النمر وسليم افندي الاحمد عبد الهادي والشيخ عمر افندي زعيتر وكامل افندي هاشم وعبد الرحمن افندي الحاج ابراهيم (طولكرم) وعبد الرحيم افندي حنون (طولكرم) ونافع افندي العبوشي (جنين) وشكري افندي القره ومخايل افندي كساب (من المسيحيين) وكان اعضاء لواء نابلس مثال الجرأة والنشاط وقد حصلوا على مطالب قيمة للواء نابلس كتعبيد الطرق وتحسين احوال المعارف والضرب على ايدي المرتشين من الموظفين والمتغطرسين من المتزعمين . وكانت مصادمات اعضاء نابلس لا سيما حافظ آغا طوقان ورامز آغا النمر مع رئيس المجلس الشيخ محمد الجسر لا تنقطع فيضطر الوالي الى التدخل ففي احدى المرات صاح رامز آغا النمر بوجهه فقال له الوالي بالتركية (بن خليفه بناهي) أي ممثل الخليفة فاجابه رامز آغا النمر (بن خليفة اوغلي) اي انا ابن الخليفة . فلم يحر جوابا .

100 كان السيد محمد الشكعه اتهم بتهمة اخلال بالامن فاختلف في دار النمر الكبيرة فبلغ ذلك فتحي باشا فجاء وباغت ديوان ال النمر وشاهد الشكعة بعينه فقال انني لا اقبض عليه في ديوان ال النمر ولكن يكفي فلينتقل الى جهة اخرى فانتقل ولكنه لم يتمكن من القبض عليه ونقلت محاكمته الى حماة فتبرأ وظهر .

101 ولد في نابلس سنة ١٢٦٦ هـ وقد درس في نابلس واكمل دراسته التشريعية في مدرسة النواب (القضاة الشرعيين) في استانبول فعين قاضياً شرعياً في حوران ثم في فزان (ليبيا) ثم نقل الى اللاذقية ثم عاد الى نابلس فاستقر بها وتولى التدريس في جامع النصر وبعد عودته من استانبول بعد حل مجلس النواب صمم على العزلة في قرية عقابه حيث توجد له اراضي واملاك وبقي على هذه الحال من الانقطاع عن الناس الى عبادة الله تعالى الى ان توفي سنة ١٣٣٨ هجرية . وقد عرضت عليه رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية فابى .

102 هو ابن علي بك طوقان كان كاتباً في البنك الزراعي ثم صار رئيس كتاب للمجلس البلدي بنابلس ثم عين رئيساً للمجلس المذكور ثم فاز بعضوية مجلس المبعوثان سنة ١٣٢٧ هـ بمساعدة المتصرف فتحي باشا ثم اعتزل الاعمال السياسية الى ان توفي سنة ١٩٥٢ م . وقد كانت لي به صداقة وقفت منها على مستواه فهو دمث يعتبر في الذروة من المثقفين بين ابناء عصره كما ابنت ذلك في تأبينه وقد كان مثال الاعتدال وحرية الضمير .

103 اما وضعها في الجامع الحنبلي فلان السلطان محمد رشاد تبرع بعمارتها .

104 جعل شرف فتحها كل سنة في ٢٧ رمضان لرئيس كتاب المحكمة الشرعية بموجب براءة سلطانية لان القاضي معرض للنقل واذ كان رئيس الكتاب اذ

ذاك الشيخ رشيد البيطار فقد تولى امرها طيلة وجوده في نابلس ثم نقلت لاخيه الشيخ نسيب البيطار ثم للسيد نبيه البيطار فتولت فيهم .

105 كانت خمسة ألوية : وهي بيروت وطرابلس الشام ونابلس وعكا وصيدا .

106 لم اتمكن من معرفة اعضاء كل دوره فجمعتهم جميعاً للدورات جميعها .



صورة رامز آغا النمر عضو مجلس عموم الولاية لسنة ١٣٣٤هـ

(الفصل الخامس)

(حوادث واهداف)

الفتنة بين الاحفاد والشقرات

خرج العريف (الاونباشي) الجاندرمة عبد الخالق العساف العراقي على رأس مفرزة من الخيالة لتعقب بدوي محمد الصالح من سبسية لارتكابه جرم القتل فاحاطوا به وبداره ليلاً ثم دق باب الدار وناداه باسم صديقه مصطفى ابو العفانة من بيت ايبا وبمجرد خروجه من الباب قبض عليه وكان بيد بدوي خنجرا قطعنه به فاسترخى وفر بدوي ولم يبال بالعيارات النارية التي اطلقت خلفه . اما عبد الخالق فانه مات من الطعنة ووتر به اقاربه في عرابه فهبوا يضايقون الحفاة اقارب بدوي ياخذون جمالهم ودوابهم وانعامهم . وتجمع هؤلاء يدافعون عن انفسهم فانتسع الشر واصبحت بين الحفاة في وادي الشعير وبين الشقران في الشعراوية واصبح هؤلاء يتجنبون المرور عن وادي الشعير فكانوا يدورون من جبع شرقا الى الشرق حتى طلوزة وينزلون الى نابلس . ثم تحولوا الى نابلس فاطلق الشقران النار على فارس افندي المسعود (عميد الاحفاة) بقصد القتل فجاء خمسون خيالا من الحفاة الى نابلس لمهاجمة ال عبد الهادي رؤساء الشقران . واصبح انصار¹⁰⁷ كل من الفريقين يتحركون وكادت تصبح اهلية كتلك التي كانت قبل نصف قرن لولا ان تداركتها الحكومة والعقلاء فتوسطوا للصالح الذي تم في حفل كبير بلفية على عرابية بوجه عبد الكريم افندي اليوسف عبد الهادي والاميرين دريعي (المسعودي) وضامن البركات المسعودي وقد كلفت الصلحة عرابية مبلغاً كبيراً وابت عرابية اخذ الدية .

عريضة جالود ومجيء الوالي

في ١١ كانون اول سنة ١٣٢٨ مالي الموافق محرم سنة ١٣٢١ هجري الموافق سنة ١٩١١م قام عبد الكريم افندي اليوسف بتسجيل اراضيه في قرية جالود فعارضه ال الحاج محمد فيها . فاستعان بالحكومة فخرج رمزي بك قومندان (قائد) الجندرمة بمفرزة من الخيالة فقبض على المعتدين وزعيمهم احمد الناصر ولما مروا بهم تحمس اقاربهم وخلصوهم واهانوا رمزي افندي ومن معه فعداوا ادراجهم . وقد اتهم الوجهاء من ال الحاج محمد وهم : المشايخ

¹⁰⁷ وقد ناصر الحفاة بشير بك طوقان وآل جرار وانتصر لآل عبد الهادي جميع الشعراوية .

الحاج صالح الصباح وصالح العبد الفتاح وسعيد الصباح ومصطفى الناصر وديب المحمد . ولما بلغ المتصرف ازبد وارغى وصار عبد الكريم افندي يهدد بالاستعانة بالشقران فهده قاسم اغا النمر بالدويكات وتوتر الامر . الا ان مجيء الوالي في دورة تفتيشية هذا الاحوال وقد عينت لجنة تحقيق مكونة من اسماعيل اغا النمر وشكري افندي القره وحافظ بك طوقان وقد ادين المذكورون الا ان الوالي عفا عنهم .

الثورات والحروب وأثرها المحلي

كان الناس يخشون حدوث حرب اهلية يستغلها اعداء الدولة الا ان حدوث الانقلاب وخلع السلطان حال دون حدوث حرب اهلية وحمل الشعوب العثمانية على التفاؤل والمسرة وقد أقيمت المظاهرات والافراح في جميع انحاء الدولة . الا ان هذا لم يدم اذ ان الامراء والبيوت التي كان السلطان عبد الحميد يتفاهم معها عادت الى التمرد والانتفاض فانفجرت الثورات في عسير واليمن وبلاد الاكراد والالبان . ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد هجم الطلبان على طرابلس الغرب باعتبارها حصتهم من افريقيا . ولم تمض سنتان حتى هبت دول البلقان وهي اليونان والصرب والجبل الاسود والبلغار وهاجمت ولايات الروملي السبعة واكتسحتها . فقال صاحب جريدة الحمارة : شويللي صار ييوا الروملي طار ييوا¹⁰⁸ . ثم استرد العثمانيون تراقية الشرقية وهي شتالجة وادرنه . لقد كانت هذه الاخبار تنزل على نابلس ولواءها نزول الصواعق فعلاوهم الهم والقلق ومن ذلك العهد تأكد بعيدوا النظر منهم المصير الذي رأيناه من استعمار البلاد العربية وقد ختمت الاحداث بالحرب العالمية وزوال الدولة العثمانية .



(صورة الشيخ وجيه زيد)

¹⁰⁸ لوقوع الخلاف بين دول البلقان .

ارشاد الفلبين

طلبت اميركا مرشداً للفلبين فوق اختيار الدولة على الشيخ¹⁰⁹ وجيه زيد الكيلاني فذهب وقضى مدة من الزمن هناك فنجح في مهمته .

ثم عاد الى العاصمة فأرسلوه الى اميركا للدعاية لدول الوسط في بداية الحرب ثم عاد الى الفلبين على نفقته فمكث هناك يرشد للدين الاسلامي الى ان مات وكان شيخ اسلام الفلبين وقد خلد ذكره مع اسلام تلك البلاد .

الدفاع عن العرب في اميركا

لما صدر قرار الرئيس منرو الاميركي اميركا للاميركيين ليمنع الملونين من الهجرة الى اميركا لاسيما الجنس الاصفر زجوا العرب معهم فرفع الدكتور شبلي¹¹⁰ القرة قضية سنة ١٩١٤ م على حكومة الولايات المتحدة وأثبت خطأ النظرية وان العرب من البيض لا من الملونين وكسب القضية رافعاً هذه الوصمة عن العرب .

وصول السيارة الاولى

كنت ورفقائي اطفالا في الجهة الغربية من شارع دير اللاتين (الدوار الان) فشاهدنا فارساً يثب بفروسه حتى يصل رأسه سقف الزقاق وهو يقول : ((اصحوا من اللي وراي)) وبعد قليل شاهدنا عربية تسير بدون خيل فكانت اول سيارة¹¹¹ . ولما ذكرنا ذلك لاهلنا لم يصدقونا والجميع يقول كيف تسير عربية بدون خيل او رجال تجرها ولم يصدقوا حتى وقعت الحرب وصار القواد يأتون بسيارات بدون خيل ولما استعملت السيارات للاجرة جن اصحاب العربات فربطوا في طريق طولكرم الحبال الغليظة في شجر الزيتون لا يقاها فقطعتها ثم وضعوا احجاراً في طريقها فرفعها السواقون فلم يروا بدا من شراء مثلها والعمل بها بدلا من العربات .

استشهاد نجيب السعد في الحرب الطرابلسية البرقاوية

هو نجيب بن سعد باشا العلي وجيه عشيرة البطاينة احد مشيخات منطقة اربد¹¹² السبعة وصارت اربد قضاء من اقصية حوران ولهذا عرف نجيب بالهوراني . ففي سنة ١٩٠١م دخل مدرسة العشائر التي اسسها السلطان عبد الحميد لتعليم ابناء العشائر في استانبول وتخرج منها برتبة ملازم ثاني وعين في دمشق ثم ترقى فاصبح قائداً لقوات المجانة في العقبة . ولما نشبت الحرب في طرابلس الغرب ضد الطليان تطوع مع من تطوع . وقد اظهر شجاعة فائقة كانت موضع دهشة واعجاب السنوسيين حتى انهم زوجوه باحدى بناتهم . وقد باغته الطليان بجيش مكون من بضعة الاف فقاومهم بثلاثمائة مقاتل وردهم على اعقابهم . كان نجيب بك قائداً الا انه كان يغامر فجرح مرتين واستشهد في الثالثة فحزن عليه السيد احمد السنوسي كثيراً والى امد بعيد رحمه الله رحمة واسعة .

(زيارة العلامة جرجي زيدان لنابلس)

في سنة ١٩١٣م زار العلامة جرجي زيدان نابلس وخص بزيارته قصر كافل قلعة الكرك جدنا اي الامير يوسف جرجي النمر . فسأله ابناء عمي من اين علم بهذا فقال انه علم بذلك من رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي وبهذا تنبهوا لها وسافر الى دمشق محمود آغا النمر ومنيب آغا النمر ونسخاها وقد قال لي قيم مسجد الشيخ عبد الغني انهما مكثا في ضيافتهم ثلاثة عشر يوماً .

(الفصل السادس)

(انشاءات وتعميرات هذا الدور)

(الهمة والانفداع)

بالرغم من قصر المدة فان ما انشيء في هذا الدور يعادل ما انشيء في العهد العثماني جميعه فقد حصل تعاون بين الشعب والحكومة وعلى رأسهم السلطان ووزرائه . فانشئت معاهد وعمرت مساجد كما سيتبين .

¹⁰⁹ ان الشيخ سيف الدين زيد نزل في استانبول فساعد الشيخ وجيه فصار معلماً لابناء السلطان محمد رشاد فعرف واتصل بالسلطان وشيخ الاسلام .

¹¹⁰ هو من آل القرة بنابلس تخرج من جامعات اميركا ونال شهادة الحقوق بدرجة دكتوراه ثم اشتغل بالمحاماه هناك وبكسبه هذه القضية ذاع صيته .

¹¹¹ كانت هذه السيارة للحاج مسعود الادهم وأولاده قبل الحرب العالمية الاولى.

¹¹² كانت اربد تابعه لجبل عجلون وكان جبل عجلون يحسب من البلقاء ولذا اثبت هذه الترجمة

(تجديد الجامع الحنبلي)

في سنة ١٣٢٩ هـ ظهر تداعي مسجد الجامع الحنبلي لدرجة لم يعد بالامكان معها الصلاة وكان لدى متوليه¹¹³ وناظره مبلغاً حسناً قد توفر من غلة اوقافه في السنين الماضية فشرعا بعمارته ثم تشكلت لجنة من السادة : حيدر بك طوقان وحافظ بك طوقان والشيخ عارف الجوهرى والحاج يوسف التميمي والحاج طاهر كمال وكمال الدين افندي عرفات وبدوي افندي عاشور اميناً للصندوق فجمعت التبرعات لاتمامه¹¹⁴ وقد استحصل المتصرف فتحي باشا على مبلغ ٣٠٠ ذهبه من السلطان محمد رشاد بالذات وقد سقط المنبر حين وضعت الشعرات¹¹⁵ النبوية فأعيد بناؤه مع المئذنة في السنة التالية اي سنة ١٣٣٠ هـ .

(توسيع المستشفى الوطني)

وفي هذا العهد ايضا تجدد جمع المساعدات لاضافة وزيادة ما يحتاجه المستشفى الوطني وقد ساعد المتصرف فتحي بك على جمع المساعدات وقد زيد في اثائه وخدمه وكان ذلك سنة ١٣٢٨ هـ وقد اتى له بطبيب قدير مخلص هو الدكتور¹¹⁶ نور الدين بك المرسيني .

(انشاء الرشاديتين)

وقام المتصرف سليمان بك بانشاء مدرستين احدهما في الجهة الشرقية والاخرى في الجهة الغربية سميتا بالرشادية الشرقية والرشادية الغربية سنة ١٣٢٩ هـ وبمجرد الانتهاء منهما اثنتا شكلت لهما هيئات تعليمية واديرتا للتعليم الابتدائي فحلت أزمة التعليم في المدينة سنة ١٣٣٠ هـ .



صورة الرشادية الغربية

¹¹³ كان المتولي السيد عبد الرحمن الصدر والناظر الشيخ محي الدين ابي غزالة

¹¹⁴ وقد وجدوا أعمدة في الجهة الشمالية أقاموها عليه وقد اتوا بالبقية من اطراف البلدة ومن سبسطية

¹¹⁵ وضعت في صندوق تم في الخزانة الموجودة بجانب المنبر

¹¹⁶ تأسس للشفاء مكان صدق على تقوى من الله تبارك

بعصر ملكنا المولى رشاد محمد من عليه الله بارك

تشارك بالقيام به رجال فيا طوبي لمن في الخير شارك

ويا راجي الشفا بشارك ارح بمستشفى لنابلس مبارك

وكانت تديره البلدية ثم احتله الجيش العثماني ثم البريطاني ثم اعترضت البلدية فشكلت لجنة برئاسة حاكم اللواء كيش روش وعضوية سليمان بك طوقان والحاج شافع عبد الهادي فاتفقوا على ان تديره دائرة الصحة وتدفع الحكومة للبلدية اجرتة مع ادخال الفقراء بطلب البلدية .

(انشاء حديقة المنشية)

وجد سليمان فتحي بك المتصرف ان ليس لنابلس حديقة عامة فقام بانشاء حديقة وصالون المنشية وذلك سنة ١٣٢٩ هـ ولم تكتم حتى صار يتردد عليها جمع الوجهاء وكبار الموظفين وقد اصبحت ملكا للبلدية ولا تزال وقد كانت تؤجر مقهى ثم حولها المجلس البلدي الحالي الى مكتبة عامة .

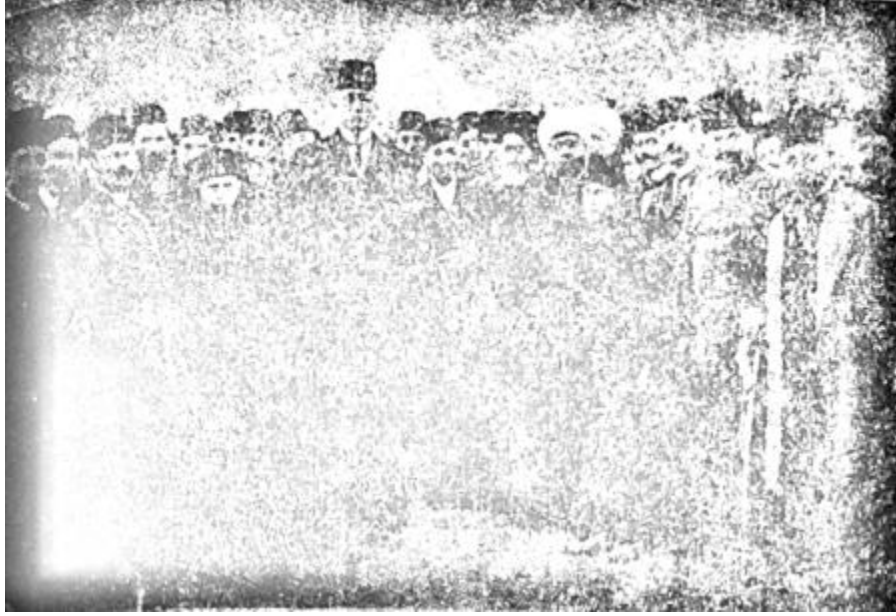
صورة افتتاح المنشية ويرى في الصحيفة الآتية في الوسط فتحي باشا وعن يمينه شرف بك فالشيخ منيب هاشم فالشيخ عارف الجوهرى فحيدر بك طوقان فعبد اللطيف افندي سلطان مدير التحريرات فالشيخ محمد تفاحة فكمال بك عرفات ومحمد توفيق افندي رئيس محكمة الجزاء فحافظ آغا طوقان فالشيخ عبد الرحمن صالح عبده فرشيد افندي مامور الجفتك فراغب افندي شاهين فالشيخ صديق زيد وعن يساره الشيخ رفعت تفاحة نقيب الاشراف فعارف افندي الحسني مامور الطابو فالحاج محمد عبده الغزاوي رئيس المجلس البلدي فرامز آغا النمر فقاسم افندي عبد الرحمن عبد الهادي فعبد اللطيف افندي السعيد عبد الهادي فزكي افندي عبد الهادي.



افتتاح المنشية (الحديقة الرشادية)

(افتتاح خط ومحطة سكة حديد الحجاز)

كان من أجل اعمال السلطان عبد الحميد¹¹⁷ القيام بمد خط حديدي بين دمشق والمدينة المنورة وكان التصميم إيصال الخط لمكة المكرمة فصنعاء الا ان الاشراف اثاروا القبائل فمنعوا مد الخط الى مكة فرؤى مده في سورية الجنوبية على ان تكون وارداته منفعة للخط الحجازي فمدت شعبة الى نابلس وانشئت له محطة شرق جامع الانبياء في اراضي ال النمر فوهبها لخطر النبي صلى الله عليه وسلم وقد حصل الافتتاح بحضور الوالي بكر سامي باشا وحوله ال النمر¹¹⁸. وقد كان لهذا الخط اثره التجاري فقد صارت نابلس تستورد كثيراً من بضائعها المستوردة من دمشق بدلا من بيروت .



والي بيروت بكر سامي باشا وحوله آل النمر

(انشاء غرفتين للمدرسة الاعدادية)

وقد انشئت غرفتان في الجهة الشرقية من المدرسة الاعدادية مساعدة فتحي بك المتصرف ايضاً . وقد هدمتا مع المدرسة .

(تعبيد طرق اللواء)

وقد عني فتحي بك بتعبيد الطرق الرئيسية في لواء نابلس جميعه وكانت تسمى الشوسة وذلك بالحاح اعضاء المجلس العمومي لاسيما لجرأة رامن آغا النمر وحافظ آغا طوقان كما مر .

الفصل السابع

¹¹⁷ دفع السلطان عبد الحميد مليون ذهبية من ماله الخاص وتبرع شاه العجم (ايران) مبلغ خمسين ألف ليرة ذهب وتبرع الخديوي بحديد وخشب الخ . قيمته نحو اربعين الف ليره وجمعت تبرعات من مسلمي الهند ومن جميع انحاء العالم الاسلامي وابتكر السلطان طريقة لجمع المساعدات وهي بيع رتب وأوسمة تضم اثمانها للتبرعات كما انه طبع طوابيع اضافية باسم سكة حديد الحجاز وهذا جميعه قد توقف بمجرد خلعه اذ امتنع المسلمون عن تقديم آية مساعدة .

¹¹⁸ كانت ارض المحطة جميعها لال النمر ولما حضر الوالي تكلم لجمع مساعدات لدفع الثمن فرفض ال النمر ذلك ووهبوا الاراضي لخط الحجاز اكراماً للنبي الاعظم وسجلت بقيم اسمية على الخط الحجازي . وقد تصور الوالي بين ال النمر . وسمح لهم بركوب القطار الى المدينة مجاناً . وقد قام بالزيارة رشيد آغا النمر ومنيب آغا النمر .

الاحوال قبيل الحرب العالمية الاولى

حدود جبل نابلس

كان لواء نابلس يشمل السهول الساحلية المعروفة بسهل سارونة وكان حده الجنوبي نهر العوجا وقضاء اللد وحدود منطقة سلفيت الحالية الى أغوار اريحا . ومن الشرق نهر (الشريعة) الاردن ومن الشمال سهل بيسان ونصف مرج ابن عامر ويسير خطه الى الغرب حتى عتليت

النفوس والسكان

جاء في كتاب¹¹⁹ ولاية بيروت (ان نفوس مدينة نابلس (٢٩٠٧٢) تسعة وعشرون ألف واثنين وسبعين نفساً وبما ان سكان المدينة يساويون ربع الجبل فان مجموع سكان القضاء والمدينة يكون (١٢٠) ألفا وبما ان قضاء نابلس يساوي نصف سكان الجبل فيكون مجموع سكان جبل نابلس قبيل الحرب العالمية هو ربع مليون نفس). ان قرى قضاء نابلس تبلغ (١٠٥) قرية. وكان مجموع قرى الجبل تبلغ (٣٠٠) قرية . ومجموع دور مدينة نابلس (٢٢٢٤) دارا . وكانت جميعها في المدينة القديمة سوى دور ال عاشور والنابلسي وعبد (الغزاوي) ولم يكن في سفوح الجبل الشمالي سوى دور الرطوط والبط وصلاح وعناب والعثمان طوقان والمستشفى الوطني .

(المتاجر والشراء)

جاء في كتاب ولاية بيروت : انه كان يوجد في نابلس ٢٩ مصبنة منها ٢٣ مصبنة كبيرة وستة صغيرة (معمل) وهي تصنع في الموسم (٤٠٠) طبخة ويقدر محصول الزيتون العام في قضاء نابلس (١٥٠) ألف افة باعتبار ان الموسم يبلغ مائة ألف جرة كل جرة ١٥ اقة . وفي مذكراتي للواقفين على الاحوال الماضية قدروا ان ثروة الاسر الثرية في الدرجة الاولى وهم ال عبده والنابلسي وعاشور كانت تبلغ نصف مليون بنتو (دينار افرنسي) نقداً ومثلها املاكاً وان ثروة باقي التجار تبلغ مثلها اي مليوني ليرة فرنساوي .

(المعارف والمدارس)

كان في نابلس قبيل الحرب العالمية اربع مدارس ابتدائية للذكور وثلاثة للاناث وكان في كل من جنين وطولكرم مدرسة ابتدائية للصف السادس وكان في مدينة نابلس مدرسة ثانوية واحدة للواء جميعه تعرف بالمكتب الاعدادي . وقد اصبح في كل قرية مدرسة اطفال عين لها شيخ يقوم بها وبالوظائف الدينية بالقرية . وقد اكد لي الاستاذ شريف اصبوح مفتش المعارف بأن تأسيس مدرسة في كل قرية يعود فضله للعهد العثماني وليس لعهد الانتداب . وكانت بعثات مدينة نابلس واللواء تدف الى الازهر الشريف والى دار العلوم بمصر والى الجامعات العالية في بيروت واستانبول وقلائل وفدوا الى جامعات باريس . وقد بلغت نسبة طلاب لواء نابلس في جامعة استانبول العثمانية أعلى نسبة بين ألوية الدولة العثمانية جميعها البالغة نحو مئتي لواء .

(الانتاج الزراعي والصناعي)

ان الانتاج الزراعي والصناعي لجبل نابلس قبل الحرب العالمية هو يقارب ما ذكرت في باب الاقتصاد من الجزء الثاني . ومن المنتجات المرسله لمعرض لندن يتبين انه كان لها منتجات صناعية وقد شاهدت كثيراً منها بعيني الشعور الشعبي والسعادة الخيالية بالرغم عن عدم رضا الناس عن الانقلاب السياسي السابق الذكر الا انهم من الناحية الاجتماعية والاقتصادية كانوا في بحبوحة وشعور بالسعادة لا يوصف لقد ادركت هذا العهد ووقفت الى حد ما على احوال الشعب فيه.

لقد كان رطل الطحين باقل من قرش. وكان كيلو اللحم يصل نحو ثلاثة متاليك اي أقل من قرش رسمي ، وقس على هذا الكسوة وكذا الاجور وغيرها أما عيشة الناس ومسرتهن وصلاتهم ببعضهم فوضع لا يصدق فقد كانت السهرات والنزهات لا تنقطع وقد مر في الجزء الثاني وصف سعادتهم الخيالية اذ قد استمرت حتى هذا العهد .

¹¹⁹ كانت العادة ان خريجي جامعات استانبول العثمانية المعروفة بدار الفنون يتمنون لاجل الوظائف في اقاليم ودواوين (مكاتب الولاية) . وقبل الحرب العالمية كلف والي بيروت الخريجين السبدين رفيق التميمي وبهجت الحلبي بالقيام بجولة في ولاية بيروت وتقديم تقرير مفصل عنها فأخذ السيد رفيق التميمي الناحية الجغرافية والتاريخية والآثرية والمعارف والزراعة والتجارة والاحوال الدينية واخذ بهجت الناحية الاحوال الروحية والاخلاقية والاجتماعية والصحية والاسلحة والاداب والصنائع والطوائف والمؤسسات الاجنبية فكان هذا التقرير مرجعاً في مسائل كثيرة فرأيت ان اخذ بأرقامه مع التحفظ دون الاخذ بأراء صاحبيه لان فيها أخطاء كثيرة سيأتي الكلام عنها وهذا ما حمل اهالي نابلس على مقاطعته وتحرم نابلس على صاحبيه لا سيما السيد رفيق التميمي الذي لم يقبلوا عذراً في اخذه النواحي المذكورة لاعتقادهم بأن النواحي التي كتبت عنها السيد بهجت الحلبي انما كان دليله فيها السيد رفيق وانها لا تتم الا بموافقة . وقد اكملت الارقام المتعلقة لجبل نابلس من تحقيقاتي لان ما كتبه انما اقتصر على مدينة نابلس دون القضاء والجبل .

(الباب الرابع)
(الحرب العالمية الاولى)
(الفصل الاول - اوائل الحرب)
اعلان الجهاد العام

امتلا العثمانيون غيظاً مما كانوا يرون ويحسون من دسائس الدول الأوروبية المستعمرة ومن شكواي المسلمين في البلقان والمغرب والقفقاس وغيرها . وكانوا ينتظرون بفارغ الصبر وقوع حرب بين الدول الأوروبية كي يسترجعوا ما سلخ عن الدولة العثمانية من المقاطعات .

فأروا ان المصلحة تقضي بالانضمام الى دول الوسط لانها تستولي على مقاطعات اسلامية . وان دول الحلفاء هي التي تشكل الخطر على الاسلام والمسلمين . وقد اعلن الجهاد واخرج العلم النبوي من سراي (طوب قيو) في استانبول وعم الخير في جميع انحاء الممالك العثمانية لاعلان ذلك في كل مكان . ان الذين خطأوا الاتحاديين بدخولهم مع دول الوسط متحاملون لان الدخول مع الحلفاء كان خطراً لان روسيا من الحلفاء ولو كسبت الحرب دول الوسط لقاتلوا اصاب الاتحاديون والحقيقة ان جميع الشعوب العثمانية المخلصة كانت ناقمة على الحلفاء وفرحت لاعلان الدولة الحرب ضدهم ولكنه الفشل يقلب الادمغة .

والناس من يلق خيراً فائولون له ما يشتهي ولا م الخاطيء الثكل

اعلان الجهاد في نابلس

اعلن الجهاد الاسلامي بحماس عظيم في نابلس وقد قاموا بمظاهرات حماسية بالغة ، فأتوا بجمل كبير الى قصر ال النمر الكبير ووضعوا عليه السجاد الفاخر وقد زركشوا رأسه ورقبته واصبح كجمل المحمل وقد اعتلاه شيخ الشباب سليم قندح المصري وبيده السيف فكان يبدأ مديحا ودعاء اسلامياً والجميع يردون عليه وهو : (يا ناصر الحق المبين انصر امير المؤمنين ، يا ربنا بالبقرة¹²⁰ وبالرجال العشرة خرب ديار الكفرة حتى يموتوا هالكين . يا ربنا بالفاطحة وبالرجال الصالحة تجعل امورنا ناجحة وانصر امير المسلمين وانصر لنا سلطاننا وافتح لنا فتحاً مبين) . وبمرور الجمل عن باعة الكنافة والفساتق والساكر كانوا يعطونه كيباً مما عندهم . وقد دامت المظاهرات النهار جميعه وفي اليوم التالي تقدم الشباب لتسجيل اسمائهم للجندية وتقدم التجار بالمساعدات والهيأت وطلبت الدواب فتقدم اصحابها لتسجيل دوابهم من الخيل والبغال والحمير يقدمونها للجيش . وصار كل انسان يقدم ما يستطيع واصبح الناس فرحين يتحدثون عما سيصير متى تم النصر كاسترجاع طرابلس الغرب وولايات المغرب ومصر والرومي والقفقاس الى غير ذلك .

(الاحوال في اول الحرب)

استمر سوق الرجال وتجنيدهم من جميع درجات التجنيد فخلت البلاد من الشبان ولم يبق سوى الشيوخ والنساء والاطفال وقلت الايدي العاملة فتعطلت الاعمال جميعها واصيبت بشلل عام . وقد وضعت الحكومة يدها باسم جيشها على الغلال وجميع اصناف المؤن والحاجيات التي بلغت حداً فاحشاً من الغلاء واخيراً انقطع الكاز فعاد الناس الى الانارة بالسيرج وزيت الزيتون بالعوامات والسرّج . وقد عجزت الحكومة عن تنظيم التموين فاصبح التعويل على السوق السوداء وصار السكر والارز يقل تدريجياً وصار الناس في نابلس يأكلون خبز الشعير والذرة . وقل القماش تدريجياً حتى لم يعد في الاسواق شيء وعادوا الى طبخ الصابون بالقلي لا سيما في السنتين الاخيرتين من الحرب وقد جلبوه من طرابلس الشام . وكان متعهدوا الجيش يشترون اللحوم والخضار للجيش فقلت كثيراً .

كان الناس في هذه البلاد يصرفون معظم اوقاتهم في الاحاديث المحلية والشخصية الا انهم بعد الانقلاب اصبحوا يهتمون بالاخبار الخارجية كثيراً . ولما وقعت الحرب العالمية زاد اهتمامهم لان ابناءهم اصبحوا منتشرين في جميع انحاء المملكة بل تجاوزوها اذ بلغوا مملكة رومانيا وبلاد القفقاس وظل الناس ترتفع معنوياتهم¹²¹ وينفءلون امداً كبيراً

¹²⁰ اي بسورة البقرة .

¹²¹ وقد زار نابلس الامير شكيب ارسلان فنزل في بيت الحاج حافظ آغا طوقان ومر بها الامير فيصل ضيفاً على الحكومة وكان بصحبته سيد سادات المدينة وعطا باشا الابوي ونسيب بك البكري وفوزي بك وبعض وجهاء الشام .



صورة الشريف الملك فيصل بن الشريف حسين حينما زار نابلس

الفصل الثاني شدة الحرب وويلاته التراجع والصمود

ظهر فشل الحملة في مصر وأصبح الجيش العثماني في تراجع مستمر حتى وقفوا على خط غزة - بئر السبع فتهدمت معنويات الناس هنا وفي كل مكان ثم فوجئوا بأخبار هجوم الحلفاء على المضائق ثم انكسرت جبهة غزة- بئر السبع وانسحب الجيش الى ما وراء القدس تاركا النصف الجنوبي من فلسطين للحلفاء واستقرت جبهة القتال بين جبلي نابلس والقدس سنة كاملة وقد وجدت ثلاث جبهات وهي : جبهة طولكرم وجبهة نابلس وجبهة ما وراء الاردن . وقد صمدوا الى ان اعلنت الهدنة فانسحبوا وهم في أسوأ حال .

الهجرة الى نابلس

اخذ الاسطول البريطاني يقذف حممه على المراكز العسكرية ومعامل الالمان في يافا وغزة والمستعمرات ففرع اهل الساحل وصاروا يهاجرون الى الداخل جبراً¹²² لا سيما نابلس فقد نزل فيها مهاجرون من غزة ويافا واللد والرملة وكان بإمكانهم نقل اثاث بيوتهم ومصاعهم لقد انتفعوا بنقدهم وحلي نسائهم ونزلوا في بيوت عامره وعاشوا كأهل نابلس وقد فتحوا كثير أمن الحوانيت واشتغلوا في شتى الاعمال والمصالح . وقد ساعدتهم الحكومة باقصى ما تستطيع واستقبلهم اخوانهم في نابلس استقبالا حسناً.

التنكر للعرب واضطهادهم

اغتمم الاتحاديون فرصة الحرب فصمموا على ضرب خصومهم وقتل الدعوة القومية العربية فاتهموهم بموالاته الاجانب والاستنجاد¹²³ بهم والتأمر معهم وانهم اصبحوا خطراً على الجيش وراء جبهة القتال وقد اطلقوا يد قائدهم احمد جمال باشا الكبير قائد الجيش الرابع الذي لقبه

¹²² وكان السيد كامل عسقلان من خيالة الجاندرمة (الشرطة) يعمل على ازاخه الناس من الشوارع في يافا فاصيب بشظية قتلتته فكان اول من استشهد في تلك الحرب

¹²³ حينما اعلنت الحرب فتشت الحكومة مكاتب قناصل الدول المعادية فوقعت على مكاتبات في القنصلية الافرنسية بدمشق من بعض اعضاء من الذين اندسو بين صفوف القوميين العرب على اختلافهم يعرضون فيها التفاهم مع الدول الأجنبية اذا احتيج الى ذلك فاتخذت هذه المراسلات ذريعة للمحاكمات والاعدام وقد نشر احمد جمال صور هذه المكاتبات في كتاب بعنوان ايضاحات وزع مجاناً وما يزال الناس في حيرة ولكن الحاج حسن حماد قال لي بوجود بعض الخونة في صفوف العرب ممن يستخدمهم الاجانب لمصالحهم . وقد اقرروا على بعضهم وكانت اعترافاتهم عن انفسهم وبعضهم امام محكمة عالية من الامور المخجلة . ولما جاء الشريف فيصل ليشفع عند جمال باشا حال الشيخ بدر الدين الحسيني دون الشفاعة ولم يكن الشقيري الذي افتاه كما توهم البعض ومذكرات جمال المذكورة توضح ذلك فقد جاء في الصحيفة ٣٧٠ من الترجمة (كشفت محاكمة عبد الغني العريسي عن عدة حقائق خطيرة الشأن فلاح لي ان الوقت قد حان لاستخدام الوثائق المهمة التي ضبطت في القنصلية الفرنسية في دمشق في اوائل الحرب) ولقد كانت اعترافات عبد الغني العريسي صبيانية يندى لها الجبين . ولان القنصلية البريطانية قد احترقت اوراقها فلم تضبط فحج المتصلون بها من المحاكمات والاعدام



صورة جمال باشا

العرب بالسفاح¹²⁴ فشكل محكمة عسكرية في عالية و امر بالقضاء القبض على جميع رجال اللامركزيين العرب وغيرهم من دعاة القومية وقد اصاب جبل نابلس عدداً وافراً فاعدم شنتاً السيدان سليم الاحمد عبد الهادي ومحمد الشنطي ومنهم من مات من الرعب وهم السيد عبد الغني عبد الهادي والسيد عبد الحفيظ الحمود الحسن (القليلي) . ومنهم من اختفى ونجا وهو الحاج حسن افندي حماد ومنهم من لم يحاكموا وقد عفي عنهم بعد اعلان الثورة العربية في الحجاز وهم الشيخ نمر الداري وكامل افندي هاشم وابراهيم افندي القاسم عبد الهادي وعبد القادر افندي اليوسف عبد الهادي ولديه احمد وسعيد وابو الطيب العساف العربي والحاج مسعود العارضه العربي واكتفوا بنفيهم لبلاد الاناضول. ومن اسباب الاضطهاد والتنكيل مقاومة سير الورق النقدي فابعدوا من اجله الى بلاد الاناضول وهم الحاج عبد السلام القمحاوي والسيد عمر غزال . وكانت الدسائس في الجيش والنشرات على الجنود كعرب تغري كثيرين على **الفرار¹ من الجيش** فكانوا يقتلونهم رمياً بالرصاص وكان الشراء بالورق النقدي من الامور المغيظة اذ ان الورق النقدي نزلت قيمته كثيراً نحو العشر بالنسبة للذهب والفضة فاخذت الحاجيات من الاسواق وكان الجنود والضباط يتكلمون بالباعة والتجار بسببها

(ويلات الحرب)

زحف الجراد على البلاد في اواسط الحرب في وقت الربيع فأكل الزرع والشجر ولم تقو الحكومة والاهالي على مقاومته . فازداد الغلاء وقلت المواد الغذائية ففتشت الامراض الجلدية ثم التيفوس والكوليرا والملاريا فكانت هذه الامراض تحصد الناس حصداً . ولعدم وجود فحم حجري فان القطارات صارت تحرق حطباً كثيراً من اشجار الزيتون لا سيما في نابلس وما حولها وكذلك الجيش فانه كان يكسره لاجل وقوده واذ لم يكن المطاط متيسراً فان عجلات السيارات لا سيما النقل كانت حديدية فكانت تحفر الاخاديد في الطرقات لا سيما في الشتاء فصار الجيش يسخر الاهالي لتعبيد الطرق ولحمل المؤن (الارزاق) للجيش الى مسافة محطة وراء جبهة الحرب فياتي الجنود من الجبهة ويحملونه.

وقد قلت الغلال حتى اكل الفقراء قشور البرتقال وقشور البطيخ وعجنوا النخالة والشعير والذرة. ولما نقلت جبهة القتال بين القدس ونابلس هاجر سكان القرى الموجودة على خط القتال وهي : اسكاكه وياسوف والساوية واللبين وفرخة وعمورية وخربة قيس وتفرقوا في البلاد حتى ان بعضهم نزلوا في حوران يشتغلون بالزراعة هناك بالاجرة. فسبحان مغير الاحوال.

(الفصل الثالث)

(نهاية الحرب)

(صبر الاتراك وجدهم)

كان رأي فولكنهاين كبير القواد الالمان الانسحاب من البلاد العربية جميعها والوقوف على جبال طورس الا ان انور باشا وزير الحربية العثمانية رفض هذا الرأي بشمم قائلا : (ان تراب فلسطين جبل بدماء الصحابة والمجاهدين مرتين

¹²⁴ ولم ينظر له كسفاح اذ ذاك بل تكال له المدائح فمن ذلك قول : احنو الرؤوس ورددوا النظرات هذا جمال مفرج الكربات وقول الآخر يا جمال أنت للدين جمال الى غير ذلك من الاقوال لانه استطاع ان يبرر اعماله اذ ذاك.

فبينغي ان يسقى من دماء الاتراك العثمانيين للمرة الثالثة) فاستقال فالكنهاين وعين بدله ليमान ساندرس وطلب منهم امداد الجبهة بالعتاد والسلاح¹²⁵ والذهب فأمدوه وقد صمد الجيش التركي صموداً عجيباً لاسيما في الشتاء الاخير من الحرب فقد تعطلت وسائل النقل. وكان الجنود يقضون الاسابيع وليس لديهم من الغذاء الا (القسماط) اليايس وبعض التين الناشف وكانت ملايسهم رثة للغاية وقد هزلت دوابهم وفكتت بهم الامراض وبالرغم من هذا جميعه فانهم صمدوا حتى آخر الحرب . ورغم مرور اربع سنين فانهم لم يتذمروا . وان موقفهم هذا واجب التسجيل بماء الذهب في جهاد الاسلام .



صورة فولكنهاين

(جبهات القتال وقوادها)

في اواخر الحرب اصبحت بلادنا خط قتال لثلاث جبهات جبهة طولكرم وقائدها جواد باشا ومقره طولكرم والجبهة الوسطى وقائدها فوزي باشا ومقره نابلس ثم نقل وحل محله مصطفى كمال¹²⁶ باشا.



صورة مصطفى كمال باشا في الحرب العالمية الاولى

¹²⁵ ضرب الالمان للاتراك كميات من الليرات الذهب في اواخر الحرب كي يتمكنوا من شراء المؤن (الارزاق) ولما غادروا البلاد دفنوا الشيء الكثير من الذهب في اماكن يعرفونها وقد كتبوها مع خرائط معهم فعاد كثيرون منهم بعد الحرب والهدوء واستخرجوها ولا تزال دفائن كثيرة مطمورة في التراب .

¹²⁶ هو كمال اتاتورك (أي ابو الترك) وهو الذي قام بالنهضة الاخيرة وقد اتجهت إليه انظار العالم الاسلامي الا انه بعد ان فاز وتمكن اُدار للمسلمين ظهر المجن

والجبهة الشرقية ما وراء النهر وقائدها جمال باشا الصغير ومركزه السلط وكان القائد العام للجبهات الثلاث ليمان ساندروس الالماني وقد جعل مركزه المستشفى الوطني وبجانبه اركان حربه وقد دهنوا ظهر المستشفى بالهلال لاختفائه عن الطائرات الانكليزية . لقد اهتم القواد بالجبهة الشرقية ليؤمنوا حركة الالتفاف وقد وضعوا فيها ايسل رجالهم فتمكنوا من كسر الانكليز وصدهم مرتين رغم احتلالهم السلط وبلوغهم تلال عمان كما سيأتي .

(الصراع المرير)

ان الفرقة العثمانية الثالثة ضابقت اللواء الاسترالي الرابط في شرق الاردن وكسرت له لان قبيلة بني صخر التي كان يامل مساعدتها لم تساعد¹²⁷ . فغنموا مدافعه وسلاحه فانسحب الى غرب الاردن وظلت الحالة حسنة الى ان تم الانكسار الاخير .



صورة مثقال باشا الفايز



صورة عصمت باشا

(مقاومة غارات الطائرات الانكليزية)

أن اتخاذ نابلس مقراً لقائد الجبهة الوسطى وللقيادة العامة واران الحرب جعلها عرضة لغارات الطائرات الانكليزية بصورة دائمة الا انها لم تتمكن من الكشف لاضطرارها على البقاء مرتفعة فان الالمان وضعوا مدفعاً مضاداً للطائرات في مغارة الانكشاري في كرم راهبات مار يوسف إي جوار مركز اركان الحرب ووضعوا مدفعاً اخر في مغارة بيبوض عابد المقابلة للقتلة (السجن اليوم والتي بنى فيها راشد آغا النمر داره) ومدافع رشاشة في السرى وفوق بلاطه . وكانت الطائرات الالمانية اذا شعرت بها خرجت لمقاتلتها وكان فيها طياراً ألمانياً اعرجاً ماهر¹²⁸

¹²⁷ حدثني مثقال باشا بن الشيخ سطام الفايز شيخ بني صخر عن ذلك فقال و ان بني صخر لم يميلوا الى الثورة العربية وقد جاءني الضغمي رسول من طرف الشريف فيصل وعرض علي عشرة الف دينار انكليزي ذهب فرفضتها قائلاً نحن عرب بدون ذهب الا اننا مدينون للدولة العثمانية بالولاء ولهم علينا الفضل فلن ابوق (اخون) . وقد رد الانكليز عن السلط ولما عاد الاتراك ارادوا هدم السلط لان السلط اعتدت على الاتراك فشفع بهم مثقال باشا فقبلوا شفاعته واعطوه لقب باشا وقد استمر على ولائه وعونه للاتراك وقد انسحب معهم حتى بلغو حلب وقد ساعد جميع الاتراك الذين تخلفوا وقد ابلى الاتراك في هنا الموقف بلاء حسناً حين ردوهم عن السلط فكان القائد جمال باشا الصغير على حصانه مكشوفاً وقد استنهض هم المتطوعين الذين كان منهم شبان من نابلس وقد وعدهم بالعفو عنهم فاكمنوا الفرسان الانكليز واصلحهم نارا عند الجبهة قرب صويلح .

¹²⁸ لم يكن طيران قوي ولكن كانت ثلاث طائرات اهديت من الالمان مع طيارها لهذه الجبهة .

وكان من تلك المصادمات ان اسقط طائرتين واسقطت طائرته ايضاً في اراضي الجبهة الشرقية من نابلس ولما وصلا الى الارض وخرجوا سالمين تصافحوا واخذ الانجليزي اسيراً ثم قتل الاعرج في مصادمة اخرى ودفن في جنين.

العمل للتفاهم مع اهل البلاد

شعر الترك بخطأهم بعد الثورة وهرب شبان العرب من الجيوش العثمانية وشعروا بدهشة وقد تخوفوا من انتفاض اهل البلاد وراء جبهة القتال فنقلوا جمال باشا الى القفاس وتركوا الكلمات القذرة¹²⁹ وعملوا على التفاهم مجدداً فدعوا وجهاء لواء نابلس الى اجتماع عند القائد فوزي باشا فافهمهم نوايا الحلفاء وطلب منهم تجديد الحماسة للجهاد فوافقوه، وسارت المظاهرات في شوارع نابلس وانتهت في شارع المستشفى حيث يقيم فوزي باشا القائد . وصار يطلب علماء ووجهاء نابلس فيجتمعون به ويطلب دعاءهم ويبلني جميع مطالبهم وبعد ان انكشفت نوايا الحلفاء بعد زوال الحكم الروسي القيصري جاء القواد وجمعوا الناس بالجامع الكبير واعلموهم عن وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو وجميع ما يببته الحلفاء فلان الناس وصاروا يتعاونون مع الجيش والحكومة وقد كان لهذا أثره الحسن حين الانسحاب.

(تشكيل طابور المجاهدين)

وقد تطوع كثير من الفارين وسجلوا انفسهم من جديد باسم طابور المجاهدين الذي تولوا تدريبه لقائد اسمه صلاح الدين بك مع معاون شعبي هو صادق آغا النمر باسم قائد جميع منطقة نابلس وقد منحوه وساماً مجيداً من الدرجة الرابعة فكانا يدربان المتطوعين ويكوّنان منهم جنوداً لردف جبهة القتال. وقد علموا طلاب المدارس نشيداً للتوفيق بين العرب والترك وهو :

ترك وعربه ايكي قرداش وطن ايكيست آوى

اي ان العرب والترك اخوان والوطن بينهما معاً . فكان لتشكيل هذا الطابور ولهذا النشيد اثرهما في انتعاش النفوس وازالة سوء التفاهم بين القوميين بصورة غطت على الثورة والقومية العربية إذ قنع الناس بالخطر وان الترك اخف وطأة من الحلفاء. ولم يكن أثر للثورة العربية يذكر في نابلس. ولم يطل الامر فقد كسرت جبهة البلغار فوردت الاوامر بالانسحاب من فلسطين وسوريا .



(صورة صادق آغا النمرو على صدره الوسام)

¹²⁹ كان اول استعمال الكلمات القذرة ضد عزت باشا العابد مستشار السلطان عبد الحميد حين خلعه . اذ كان السلطان عبد الحميد قرب العرب والالبان والاكرد لانه اساء الظن بقومه الاتراك الذين حملوا عمه السلطان عبد العزيز على الانتحار اوهم نحروه وقالوا انه انتحر وكذا هم جننوا اخاه مراد فكان تقريب المناصر مغيباً للاتراك فاستعملت الكلمات القذرة في استانبول بقولهم (بيس عرب) اي العربي القذر عزت باشا ولانهم صاروا يطلقونها فقد اجتمع الطلاب وتذكروا الامر وفوضوا احدهم السيد عبد القادر العظم بالرد عليهم فخفت الوطأة. الانهم في الحرب بعد ظهور اللامركزية واتهامهم العرب عانوا يقولون حين ذكر العرب (بيش ملت) اي الامة القذرة ولكنهم حين شعروا بخطئهم تراجعوا وتركوها ولكن بعد فوات الفرصة وبعد ان كان الحسين بن علي قد تحالف مع الحلفاء واعلن الثورة واصبح تراجع صعباً .



صورة الشريف (الملك) حسين بن علي

(اسباب الانكسار)

كان الامير فيصل يعمل في اطراف البلدية واخيرا احتل درعا وانحاز صبحي الايوبي في جبهة طولكرم لجيش الحلفاء فشعر قواد الترك بالخطر واتفقوا على الانسحاب فقاموا بهجوم (تعرض) لتغطية انسحابهم ووضعوا في مؤخرة الجيش في جبهة طولكرم نخبة من فرق الفدائيين لعرقلة تقدم الجيش المعادي ومباغتته فاطهروا من البسالة ما ضم الى مفارهم صحيفة لا تمحى يجب ان نعترف بها لاننا نحن الذين كان يجب ان نعمل هذا ولا نخدع انفسنا بمواعيد الحلفاء فنقصي نصف قرن في عذاب ونكد . بينما عاد الاتراك الى بلادهم فحموها واجبروا الحلفاء على الاعتراف بدولتهم ولم يقتصر على هذا بل اصبحوا قلباً لحلفين حلف بلقاني شمل دول ؛ اليونان ويوغوسلافيا ورومانيا وحلف اسلامي شمل الافغان وايران والعراق .

(انسحاب الجيش العثماني)

في ايلول سنة ١٩١٨ كان ينزل عندنا ضيف اسمه زكي بك البغدادي احد ضباط اركان حرب الفرقة التاسعة عشر التي كان اخي احمد آغا النمر من ضباطها والتي كانت ترابط في جبهة القتال . نزل زكي بك عندنا لتمضية دور النقاهاة وكان قد اودع عندي امانة من رواتبه ليرات ذهب عثمانية ومجديديات فضية فطلبها وقال اودعك الوداع الاخير لقد الغي باقي اجازتي واسر لك هذا الخير سرا وهو اننا سنقوم بعد اربعة ايام بتعرض عام في الجبهة تغطية للانسحاب . وبعد ثلاثة ايام حلقت الطائرات الانكليزية وضربت نابلس حول الاماكن العسكرية . فلم تصب الا القليل اذ اختفوا بين البيوت وكان رئيس اركان حرب الجيش رفعت بك وزميله قد خرجا قبل ذلك من ديواننا وكانا في طريقهما الى مقرهما فاخترقا في بستان المشمش¹³⁰ ولم يصابا باذى .

وفي ليلة اليوم التالي الموافق ١٩ ايلول سنة ١٩١٨ الموافق ليلة ١٣ ذي الحجة ١٣٣٦م سمعنا دوي مدافع الجبهة طوال الليل كالطواحين فأجهشنا¹³¹ بالبكاء ولم ننم حتى الصباح . وفي الصباح الباكر مع شروق الشمس داهمت نابلس الطائرات البريطانية تلقي قنابلها على علو منخفض وصارت ترمي قنابلها على خط السكة الحديدية وما على جانبيه - وكان الجنود يأخذون بالانسحاب - فقتلت بعضهم - وهدمت قسماً من المدرسة الإعدادية وهي إلى الغرب من مقهى الكوكب وهشمت باب مصبنة الاغوات طوقان .

¹³⁰ هو موضع قهوة الكوكب اليوم ملك ابناء بدوي آغا النمر .

¹³¹ ذ كان اخي في جبهة القتال وقد وصل بعد يومين بلباس حراث اخذه من احوال العائلة ال عبد الجليل الحاج محمد في بيت دجن وهو منسحب مع الجيش.

وبعد ذهابها ركب مصطفى كمال باشا قائد الجبهة الوسطى على الخيل الى قرية عصيرة في الجبل الشمالي تاركا ادارة الجيش لعصمت باشا وبعد ان استراح قليلا سار الى طلوزة ومنها الى طمون حيث نزل على الشيخ خليل الجوهري وقد شوهد وهو يبكي ويقول : أه فلسطين لليهود - وقد صحبه من طمون حسن خليل المصطفى الجوهري ويونس المصطفى ابي حسان من طمون لدلالته على الطريق عبر الاغوار الى جبل عجلون ومنها سار الى حوران . اما جيشه فانسحب على اثره . وعند الغروب وصل لنابلس جيش طولكرم وهو الجناح الايمن للجيش وما زال انسحابه متواصلا طوال الليل الى ظهر اليوم التالي .

كنت في تلك الساعة في الجهة الشرقية ابحث بين انقاض اللاسلكي الالماني المحروقة ولم اكن اقدر الخطر فكانت الطائرات تحوم فوق الجنود فتجمعوا تحت المدفع المضاد الموضوع في مغارة ببيوض تجاه القشلة وقد اضطروا للتوقف لشدة فتك الطائرات الانكليزية بهم في طريق وادي البادان وسهول¹³² سالم وبيت دجن . واخيرا وصل القائد جواد باشا واركان حربه في سيارة مكشوفة فوقفت في الجهة التي بنيت فيها دار السيدين ناصر وامين الطاهر وصوب منظاره الى الجبل فارتبك هو ومن معه لانهم شاهدوا جنود الجيش البريطاني بين الصخر فوق كروم عاشور في الجهة القبليه فأمر فصيلة من الفرسان للكشف فوجدوهم انكليز فامر المدفعية باطلاق نيرانها فوق وقع سوء تفاهم بين جيشي جبتي نابلس وطولكرم فصاروا يطلقون العيارات على بعضهم الى ان تفاهموا - اذ ارسل لهم الشيخ عمر زعتر رسولا من عنده يفهمهم بأن الانكليز لم يدخلوا بعد، وانهم يضربون بعضهم . وتبين انها سرية انكليزية سارت في الجبال بينما كان جيش نابلس يسير في طريق القدس الى البادان . اما سكان نابلس فقد لزموا بيوتهم فخلت الشوارع من الناس .

(دخول جيش الحلفاء الى نابلس)

لقد كان يوم الاحتلال البريطاني رهيباً جداً فقد تعرضت نابلس لمدافع جيش جبهة نابلس وقنابل الطائرات ولازال اذكر سقوط القنابل من الطائرات ثم سكنت المدافع والطائرات وصعدنا على ظهور البيوت فشاهدنا خيالة الاسترالية الفدائيين يعدون بسرعة وبأيديهم السيوف وبعد نحو نصف ساعة دخل جيش الحلفاء وفي مقدمته فرقة من الجنود المغاربة يبيرانسههم . ثم جنود استرالية وهكذا وفي اليوم التالي اي يوم ٢٠ أيلول دخل جيش القدس من الجهة الثانية وكان خليطاً من شعوب مختلفة لاسيما الهنود .

وبمجرد الهدوء صار الجنود والموظفون الترك يسلمون انفسهم للاسر وكان منهم الجرحى وقد جمعوا الموظفين الغرباء واخذوهم اسرى.

اما ابناء البلاد من الجنود فقد اختفوا في القرى ولبسوا ملابس عربية وعادوا الينا وتخلصوا من الاسر . ولم يحدث شيء حين الانسحاب سوى مقتل سعيد الصروان وشريف الحاج حسين الشريف نتيجة لسوء تفاهم حصل بينهما وبين الجنود من اجل المتاع دفاعاً عن دار الشريف وتضايق الجنود . وقد هاج الناس فهدهم الحاج توفيق اذ لم يهتدوا للفاعل . وكاد يقع شيء من الصدام مع الجنود جهة المحطة فتداركت الامر مع آخرين .

وقد انسحب بعض الضباط العرب مع الجيش التركي واستوطنوا في بلاد الاتراك ولم يعودوا وهم : السادة اسماعيل حقي بن الشيخ صالح تفاحة وقد ترقى واصبح قائمقاما عسكريا وعبد الرحيم وشاكر ومصطفى ابناء السيد عباس تفاحة ورشدي افندي العبد الكريم عبد الهادي (وقد توظف في ديوان محاسبة الجمهورية التركية) . والسيد راشد عارف الحنبلي الذي توظف مدير مدرسة والسيد هاشم ابن الشيخ سيف الدين زيد والسيد غالب بن الشيخ منيب زيد . واحمد بن سعيد البكر من زيتا الجماعين .

¹³² لقد امتلات هذه الطرقات والسهول بقتلى الجنود من قنابل الطائرات وقد انتنوا اذ بقوا عدة ايام حتى دفنهم .

(الباب الخامس)
(الاحتلال والانتداب)
الفصل الاول
(الاحتلال)
(أيام الاحتلال الاولى)

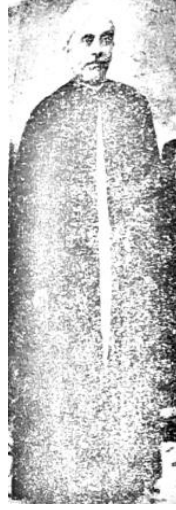
اشتغل الناس بنهب ما تركه الجيش التركي في مداخله وقد لعب الصبيان بالقنابل اليدوية التي ظنوها مدقات او فيها مال فانفجرت فقتلت وجرحت كثيرين من النساء والاولاد والرجال . وقد هرعنا الى القشلة بعد انفجار آخر قنبلة فشاهدت منظرأ مروعاً من مقطوع اليد الى مقطوع الرجل الى مقتولة توسدت عتبة المدخر . وقد تفجرت قنابل كثيرة في المدينة والقرى كانت تقتل الواحد والاثنين والثلاث . فاضطرت حكومة الاحتلال الى توظيف فرقة تطوف في البلاد لتفجير القنابل .

وفي الاسبوع الاول خرج المختفون من الجنود والموظفين وسلموا انفسهم فارسلوا الى مصر زمرا . وأخذت تصل المؤن والحاجيات والكساء التي حرمتها منها امدا طويلة لاسيما الرز والسكر والبتروال الذي هبطت اسعاره هبوطا اودى بثروات كثيرة .

(تشكيل الحكومة البلدية)

كان الشيخ عمر افندي¹³³ زعيتر رئيس البلدية حين انسحب الاتراك فوكله المتصرف حقي بهيج . ولما دخل الانكليز فوضه القائد البريطاني تشكيل الحكومة على انه رئيسها فعين الحاج نمر افندي حماد مدير تحريرات (اي رئيس ديوان المتصرفية) وعين الشيخ رشيد البيطار (رئيس كتاب المحكمة الشرعية) قاضياً شرعياً وهو الذي شكل المحكمة وقام مصطفى بك البشناق مقام رئيس الصحة وقام شاكر افندي الجوهري بتشكيل دائرة المالية وشكل شريف افندي اصبح ادارة المعارف وقام الشيخ نمر الداري بتشكيل المحاكم النظامية وقد شكل السادة فايق عنبتاي وزهدي العنبتاي وجميل كمال دائرة الامن . وقد دامت هذه الحكومة شهراً واحداً ثم حضر مستر كن الحاكم العسكري وجلس مكان الشيخ عمر فعاد الشيخ عمر الى المجلس البلدي وطبقت الاحكام العسكرية.

133 بانتهاء مدة المجلس البلدي في الحرب لم تجر انتخابات بل صاروا يعينون الرئيس تعييناً مؤقتاً فتولى رئاسة البلدية تسعة اشخاص في اربع سنين وهم الحاج يوسف التميمي وكمال الدين عرفات والحاج طاهر الحجاوي والحاج حسن حماد وبشير بك الشراي واحمد مختار القباني (البيروتي) ومصطفى بك البشناق وحيدر بك طوقان فالشيخ عمر زعيتر الذي حصل الاحتلال البريطاني في عهده فأثبتت انه رجل الساعة. وقد كان ذكياً فاضلاً قاوم الانكليز في كثير من المواقف لاسيما رخص المسكرات وحفلات الرقص الخ . وكان يدافع عن المواطنين وكانت يده بيد رجال الجمعية لاسلامية المسيحية وقد عدل سياسة جمعيتهم السابقة فاستطاع ان يفاهم مع نخبة من رجال العائلات ذات النفوذ والمناوئة لجمعيتهم لا سيما اسماعيل اغا النمر والحاج حافظ اغا طوقان ويوسف افندي الحسن عبد الهادي وابراهيم افندي القاسم عبد الهادي . فكان لمرونته اثرأ طيباً في جمع الكلمة في جبل نابلس وكانت روحه عالية فكان يفخر ويشجع من يظهر جسارة ضد الانكليز سرا وعلنا ومن الامثلة ما حصل معي انه في سنة ١٩٢٢ لما شاع خبر هجوم اليهود من جهة الخضيرية على طولكرم ليلا سارت مظاهرة مسلحة بالعصي والسلاح الحديدي تريد نجدة طولكرم ولما وصلنا الشارع الغربي ((الشويتره) وصل الشيخ عمر زعيتر ومعه الحاكم البريطاني وقد رجعا من طولكرم ولم يجدا شيئا فوقفت السيارة ووقف الشيخ عمر يخطب ويقنع الشباب بان الحالة في طولكرم هادئة ولم يهاجمها اليهود فوقفت على مرتفع من الطريق وقلت لهم لا تصدقوه فانه يقول هذا ارضاء للحاكم الانكليزي الجالس بجانبه بدون برنيطة فصاح من هذا فذكروا اسمي وأمر السائق بالسير مظهراً الغضب وتوقعت ان يقبض علي في اليوم الثاني او ان يأتي الى مدرسة النجاح فيسبب لي تكديرا . الا ان الامر كان بالعكس فقد زار ديواننا وقال لابن عمي اسماعيل اغا النمر اهنيك بابن عمك الطالب النابه فقد رفع رأسي امام الحاكم الانكليزي وذكر له ما حصل مني .



(صورة الشيخ عمر زعيتر)

(السلطة العسكرية)

قبضت السلطة العسكرية على زمام الادارة العليا بعد ان تم تشكيل الدوائر المحلية وعرف رئيسها بالمدير العام وكان يتلقى الاوامر من القيادة العليا في مصر (اي من الجنرال اللنبي) . وعرفت فلسطين ببلاد العدو المحتلة وقد قسمت الى اربعة الوية وهي : لواء القدس ، واللواء الجنوبي (ومركزه غزة) واللواء الشمالي ، (ومركزه حيفا) ولواء السامرة¹³⁴ (ومركزه نابلس) . وقد عين حاكم عسكري لكل لواء ولكل قضاء عين لهم مستشارون من العرب ممن يعرفون اللغة الانكليزية ممن صحبوهم من مصر فعين مساعدون لحاكم نابلس العسكري السادة : محمد علي الطاهر وموسى ناصر ووديع عيساوي ثم السيد جمال الحسيني (باسم المستشار العربي) . وكانوا ممن خدعوا ثم انقلبوا يكرهون الانكليز .

(ابعاد اعداء الحلفاء)

دخل الجيش البريطاني ولديه معلومات بالاشخاص الذين يعملون ضده مع الجيش العثماني وقد اصغوا لبعض وشايات حين الاحتلال فقبضوا على الشيخ سعيد الكرمي والشيخ رفعت تفاحة وعبد الفتاح اغا طوقان والشيخ عبد الغني عفانه (سلفيت) وفايق افندي العنبتاوي والشيخ مصطفى ابي السعود (رفيديا) والشيخ صادق صالح الاحمد (عظموط) ورضى افندي القاسم واحمد الرشيد (صير) والحاج حامد الجوده وولده خضر (عراق التايه) وقد ارسلا الى مصر حيث اعتقلوا ثلاثة عشر شهراً ثم اعيدوا بشفاعه عزه باشا العابد¹³⁵ هم وغيرهم كالشيخ اسعد شقير والشيخ سعيد الكرمي والشيخ اسماعيل الخطيب من عين كارم. ما عدا الشيخ رفعت تفاحة فانه كان يتهم على بريطانيا في المعتقل فأبوا اطلاقه ما لم يكفل بكفالة مالية بألف جنيه فكفله الحاج محمد نمر النابلسي فأطلقوه . ومما هو جدير بالذكر ان الشيخ سعيد الكرمي تصدى للمبشرين فافحمهم وقد تصدوا للمعتقلين يكرسون عليهم لاجراهم .

¹³⁴ ثم اعدوا اسماء التوراة لمقاصدهم فسموا اللواء الشمالي لواء الجليل وكان اسمه لواء صفد واللواء الجنوبي لواء الد (قضاء يافا سابقاً) ولواء نابلس لواء السامرة ولم تعترض الهيئات حتى شكلت حزب التقدم العربي فنهت الى هذا الامر على غير جدوى .

¹³⁵ هو رئيس ديوان المايين للسلطان عبد الحميد اودع امواله في مصر قبل خلع السلطان وقد نصحه السلطان بالخروج من الأستانة بعد اعلان الدستور فهرب خلسة على باخرة انكليزية الى مصر فاسس هناك جمعية سياسية تعمل ضد الاتحاديين وأصبحت له مكانة هناك امكنته من مساعدة كثيرين ومن القيام بأعمال كثيرة



صورة الشيخ سعيد الكرمي

(اعمال المجلس البلدي وتلاعب الانكليز)

بعد انتهاء الحكومة الشهرية ابلغ الانكليز الشيخ عمر عزمهم على توسيع صلاحيات المجلس البلدي بحيث يشمل صلاحيات مجلس الادارة لتقديم المشورة الى الحاكم العسكري . وقد ضم اليه على هذا الاساس السادة : الحاج حافظ آغا طوقان والحاج حسن حماد وفريد افندي العنبتاوي ويوسف الحسن عبد الهادي وجميل افندي التميمي وكامل افندي هاشم والقس الياس مرمورة . الا ان وعدهم بتوسيع الصلاحيات لم ينفذ فانسحب الذين اضيفوا وبقي الاعضاء السابقين¹³⁶ الى ان اجريت الانتخابات الاتي الكلام عنها . ولم يكتف الانكليز بهذا بل صاروا يضايقون المجلس. لاسيما في عهد الحاكم جون هيرد الذي صار يبلغه التعليمات المتواصلة التي تجعله العوبة بيده . ولكن المجلس لم يكثرث فصمد صموداً كان موضع اعجاب البلد . فمن ذلك رفضهم الترخيص بالمسكرات وقد اتهموا الشيخ عمر بتقديم بيانات كاذبة فوقفت معه البلد الى ان ردت القضية عنه . وقد قام المجلس في هذا الدور بتحسين الانارة بتبديل القناديل بلكسات وكذا بتحسين التنظيفات والحالة الصحية مع الحد من تسلط طبيب الصحة وقد انشأ المجلس عدداً من السبلان وأنشأ دباغة ومسلخ في الجهة الشرقية وغير ذلك من الاعمال .

(تساقط الثلوج واصابات الانفلونزا الخطرة)

في شتاء سنة ١٩١٩ سقطت ثلوج كثيرة زاد ارتفاعها عن المتر في بعض الاماكن وقد عطلت السير فلزم الناس بيوتهم مدة اربعة ايام مما لم يسبق ان عرفناه في هذه البلاد وقد اصيب الناس على اثره بالامراض الصدرية (الانفلونزا) التي اودت بحياة كثيرين . وقد تشائم الناس في هذه البلاد من المحتلين لهذه المصيبة .

¹³⁶ كان الاعضاء الباقون هم الذين مر ذكرهم في الانتخابات الاخيرة في العهد العثماني وهم : عمر افندي الجوهري واسماعيل آغا النمر والشيخ مطيع عبده والشيخ سليمان الصمادي وأحمد افندي الشكعه والشيخ نور الدين العكر والحاج عبد الرحيم التميمي .

(الشعور العام في عهد الاحتلال)

أخذت اسعار الغلال والحاجيات والملبوسات تنزل وتعود الى اثمانها الاصلية وتمتع الناس بما حرموا منه طويلا . واخذ الجنود من شبان البلاد يعودون الى اهلهم فاقبعت الافراح المتواصلة التي اتصلت بالزواج بالعشرات واشتغل الناس باعمار البيوت وانشائها . وكان الناس يأملون حكما عربية فكانت الاناشيد القومية تنشد بحرارة في المدارس والنوادي ولم يكن شيء من الضغط ابدا الا ان بعض الحكام الانكليز اتوا بشذوذ كانت موضع السخرية فكان بعضهم يجمع بعض الفلاحين وينثر عليهم الملابس والنقود ويأخذ صورهم وهم يلتقطونها ويرسلونها الى الصحف في لندن وغيرها . وبعضهم منع دخول قوافل البطيخ اذا كان في عنق الجمال اجراس لاسيما (هو جون هبرد) الذي امر بذبح الديوك منعاً لصيحتها في اوقاتها . وظهر الحكام الانكليز كبراً وانانية في مقابلاتهم وكانوا ينقطعون في حدائقهم مع نسائهم وكلابهم ولا يردون الزيارات الا نادراً فحضر الشعب بالاحتقار فبدأ حقه على المحتلين .

(ارسال بعثة من طلاب نابلس الى الازهر الشريف)

تخوف النابلسيون من الحكم الانكليزي الصهيوني لا سيما على الدين ان يفرض علماؤه فدعا وجهاء نابلس الى اجتماع في بيت الشيخ احمد البسطامي وتذكروا بالامر فقرروا ارسال بعثة من طلاب نابلس على نفقتهم فوقع اختيارهم على الطلاب المشايخ الاتية اسمائهم : عبد الحميد السائح ، رامي مسمار ، شبيب الخماش ، رشيد زيد الكيلاني ، حسن الحبش وقد تخصص هؤلاء بطلب العلم . وبعد نيل شهادة العالمية ساعد الحظ الاول والثاني والشيخ عبد الله غوشه من القدس فدخلوا مدرسة القضاء الشرعي اما باقي المبعوثين وهم المشايخ محمود الحبش وصبري كنانة وزكي العفوري فقد تخصصوا لحفظ القرآن وعلم القرآن والحقيقة ان هذه البعثة ضرورية . وقد اظب من بعثها على دفع ما تعهدوا به وكان يقوم بالجمع والارسال الشيخ احمد البسطامي ولم يرسل الناس غيرهم سوى الشيخين محمد البسطامي وراضي الحنيلي على نفقة والديهم واصبح الجميع ورثة علماء نابلس حتى الان .

(الفصل الثاني)

الانتداب الفلسطيني

فرض الانتداب

كنتيجة لمؤتمر الصلح في فرنسا وضعت البلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية تحت الوصاية والارشاد باسم الانتداب فأعطيت فرنسا انتداب سوريا ولبنان واعطيت بريطانيا انتداب العراق وجنوب سوريا وخصصت لجنة في عصبة الامم باسم لجنة الانتدابات . وكان هذا سنة ١٩٢٣ اما هذه الشعوب فقد طلبت الاستقلال فان لم يكن فوصاية امريكا هذا حينما جاءت لجنة برئاسة كراين الاميركي قبل انتهاء مؤتمر الصلح للاستفتاء . لقد كانت صيغ انتدابات لبنان وسوريا والعراق تختلف عن صيغة انتداب فلسطين اذ شمل هذا على المادة الثانية وهي (وضع فلسطين في حالات سياسية واقتصادية تساعد على بناء وطن قومي يهودي) اي التمهيد والمساعدة على تنفيذ وعد بلفور الوزير البريطاني بايجاد وطن لليهود في فلسطين . ووضعت الحكومة المنتدبة دستوراً لفلسطين ينص على ادارة مباشرة كأنها مستعمرة بريطانية فانهارت آمال عرب فلسطين وايقنوا أنهم قد ابتلوا بشر مستطير فهبوا يناضلون ويجاهدون فقامت نابلس بقسط وافر من هذا الجهاد افردت له بابا خاصا سيأتي الكلام عليه .

الحكومة المدنية

لم يطل الحكم العسكري اذ في سنة ١٩٢٠ نظمت حكومة مدنية يترأسها مندوب مدني تعينه وزارة المستعمرات . وقد عين مدنيون لرئاسة عموم الدوائر ومنهم يتشكل مجلس تنفيذي يتعاون ويتشاور مع رئيس حكومة فلسطين الذي لقب بالمندوب السامي البريطاني وعين حكام مدنيون للالوية والمقاطعات جميعها . وبذلك انتقلت الادارة من الحكام العسكريين الى الحكام المدنيين والغيث الاحكام العسكرية وسنت قوانين مدنية قد أحكم وضعها لتهيء البلاد لبناء الوطن القومي سيأتي الكلام عليها . لقد شعر الناس بوقوعهم بقضية شديدة اذ اختلف الحكم البريطاني الشديد عن الحكم العثماني الذي كان ببساطته وضعفه اشبه بالحكم البدوي . وقد عينت السير هربرت صموئيل اليهودي البريطاني أول مندوب سامي لفلسطين فتضايق العرب جداً وهي نكاية بريطانية خلعت من قلوب العرب كل ميل لهم . الا انه كان حليما فلم يبطش ولم يضطهد كما تخوف العرب بل صار

يتقرب اليهم وقد اسدى لهم نصائح لو اتبعوها لتجنبوا اكثر الفساد الذي دب بينهم . ولما انتهت مدته وجد انه افاد قومه اليهود بهدونه وحكمته فوائد جمة ومع هذا أسف العرب عليه لانه كان افضل ممن اتى بعده من المندوبين الانكليز الذين اظهروا هم والحكام الانكليز من الكبرياء والصلف ما حمل العرب على بغضهم واستحلال دمائهم كما يظهر من التحول الذي حصل ضدهم منذ سنة ١٩٣٠ من شبان نابلس ثم سائر فلسطين كما سيأتي. لقد دخل هربرت صموئيل البلاد بحراسة شديدة ولما خرج خرج آمناً مطمئناً دون حراسة .

(الفصل الثالث)

ادارة 137 الانتداب السينة

اساليب الانهاك بدلا من الانعاش

خرجت سوريا الجنوبية من الحرب العالمية الاولى بحالة يرثى لها للأسباب التي مر ذكرها فكانت بحاجة الى الاسعاف والانعاش من عامة الوجوه الا ان حكومة الانتداب سلكت مسالك خبيثة لانهاك قواها فبدلا من القروض صارت تحصل ديون البنك الزراعي كأنها وارثة للدولة السابقة وبدلا من تخفيف الضرائب والاعفاء من بعضها ابقت ضرائب الحرب وجددت تقدير الضرائب اضعافا مضاعفة فبعد ان كانت ٤ في الالف أصبحت ضريبة مدن ٩ في المئة من أصل الاجارة وهي ٦ في المئة من ثمن الارض حسب تقديرهم العالي ، وبدلا من ان تظهر انها متمدنة اكثر من الدولة العثمانية سنت القوانين الشاذة التي جعلت الناس يترحمون على الدولة السابقة التي كانوا ينعتونها بالضعف فباسم العطف على الحيوانات شكلوا جمعية في كل بلد برئاسة الحاكم الاداري باسم جمعية العطف على الحيوان تغرم اصحاب الحيوانات الغرامات المتواصلة . ولقد اخذت قبضة الانتداب تضيق يوما بعد يوم . فبعد ان كانت ضريبة الجمرك ١١ في المئة في العهد العثماني بلغت نحو ٢٦ في المئة في العهد الانتدابي. وقد ضيقوا على العرب سبل الاستيراد فاضطر كثيرون الى الاستيراد من التجار اليهود ومن المهربين عبر الاردن.

(سياسته الأفقار)

ان المادة الثانية من صك الانتداب الفلسطيني نصت بكل وقاحة على وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية تساعد على بناء الوطن القومي وهذا جميعه طبق على جبل نابلس بالدرجه الاولى لان غيرها من الساحل والقدس لا يمكن تطبيق تلك المواد القاسية عليها بحذافيرها لان فيها يهود . ولقد كانوا يضربون مواسم البلاد فيفتحون ابواب الاستيراد حينما ينتج موسمها فيضطر الفلاحون الى بيع غلالهم رخيصة . وحينما تحتاج البلاد الى استيراد من الخارج للبذار او نحوه فانها تضيق الاستيراد كي يضطر الزارعون الى الشراء بأثمان باهظة فاضطر المزارعون الى التداين من الأثرياء والتجار وبعد ان أصبحت أموال هؤلاء ديونا على القرويين سنت قوانين التقسيط المنخفضة التي ساعدت على التتكر وعدم الدفع بالكلية ، فأفلس كثيرون من اصحاب الثروات بهذه الطريقة .

(سياسة التجهيل)

بلغ طلاب لواء نابلس اعلى نسبة بين ألوية الدولة العثمانية وكانوا ينتشرون في ارجاء ولايات هذه الدولة العثمانية البالغة نحو مئتي لواء . ولما احتل الانكليز لم يجد ابناء لواء نابلس سبيلا سهلا للتعليم العالي كما كان الامر قبل فلا مكتب سلطاني ولا جامعة دار الفنون يغشونها بربع قسط او بنصف قسط او مجانا بل جل من كان يذهب منهم تلميذان في كل سنة لدار المعلمين في القدس ولا سبيل الا بالذهاب للجامعة الاميركية او لجامعة لندن التي تكلف مبالغ باهظة. ثم اذا عاد الخريج لم يفتح امامه اي باب فقد اختصرت الوظائف فمن ستة عشر محصلا للمالية الى اربعة وبهذا اتجه ابناء العائلات الى الصناعات والحرف التي لم تلبث ان ضربت في الصميم بما يرد من الخارج ولهذا اصبح امام ابناء نابلس وجبلها باب واحد وهو الهجرة الى الخارج الى حيفا ويافا والقدس ثم الى اميركا والسعودية ومصر وسوريا والعراق ومؤخرا الى الكويت . فكان عجباً ان ترى الهجرة اليهودية الدافقة تعشش في البلاد بينما ابناء البلاد في هجرة دافقة ينشدون العيش خارجها . لقد بلغ سكان نابلس ١٧ الفا بعد ان كانوا في اول الحرب العالمية الاولى ٢٩ الفا مع انه كان المفروض ان يتضاعف العدد لا ان يتناقص .

137 ظلت نابلس مركز لواء حتى سنة ١٩٢٣ فنزلت الى مقاطعة حتى سنة ١٩٣٧ فاعيدت مركز لواء .

(التجريد من السلاح)

لقد كان السلاح مباحاً في عهد الدولة العثمانية لأن البلاد متصلة بالبادية المسلحة ولكن حكومة الانتداب منعت التسليح وفرضت الغرامات القاسية على من يوجد عنده سلاح فكان هذا السلاح ذو حدين لضعاف الرجولة والمقاومة ولابتزاز الاموال عن طريق الغرامات .

وكانت اموراً كثيرة غير ممنوعة ومن السهل تهريبها الا انها في عهد الإنتداب اصبحت الشغل الشاغل ، خذ مثلاً الدخان والتبناك فقد اصبح سبباً لتخريب بيوت كثيرة . ولما قامت في نابلس شركات دخان فرضت عليها رسوماً باهظة اضطرت اصحابها الى بيعها للشركات التي ظهر مؤخراً انها يهودية .

(الصف البريطاني)

كانت نابلس احياناً مركز لواء وبعضاً مركز قضاء وكان الحكام من الانكليز وكذلك قواد الشرطة والكونستبلات كانوا بريطانيين وكانوا يأتون بهم من مستعمرات افريقيا يعاملون اهالي نابلس ووجهاتها معاملة سيئة ما خلا بضعة اشخاص يتخذونهم ملاقط استعمار . لقد كان الحكام على جانب عظيم من الصلف فكانوا اذا سمحوا لشخص بمقابلتهم اعطوه دقائق فاذا انتهى الوقت ادار الحاكم او العريف وجهه عنه وكثيراً ما ياتي الكاتب او المساعد فخرجه ممقوتاً دون ان يصل الى نتيجة . هنالك قاعدة اصبحت معروفة عند الصغير والكبير ان الموظف الذي تكثر منه شكوى الناس يترقى . ولهذا فإن كثيراً من الموظفين ترقوا من نابلس لانهم قدروا ان يمقتوا اهالي نابلس ويضجرونهم فيشكونهم واخيراً صارت نابلس تعالج مثل هؤلاء الموظفين بالتاديب السري مهما كلف الامر لاسيما الكونستبلات ورجال الامن البلديين الذين يتسلطون على السواقين وعلى اصحاب المقاهي ، فكانوا يؤذونهم ثم لا يجدون من يشهد بهذه الطريقة وغيرها ادبوا الموظفين الصغار ايما تاديب . اما الكبار فصاروا يكيدون لهم لاسيما في الحالات الخاصة التي تفتح فيها الاذان لاسيما ايام الثورات والاضطرابات وبالاغتياال واطلاق النار على بيوتهم فيغادرون البلاد وقد قطعت انياط قلوبهم .

(إفساد القرى)

عينوا راتباً شهرياً للمخاتير ووقعوا المنافسات بين حمایل (عشائر) القرى حتى اصبحوا في قتال وشجار دائم حتى لقد قدر معدل ما يقتل في كل قضاء عشرين شخصاً اي حوالي (٦٠٠) قتيل سنوياً . ولكل من هؤلاء قضايا وقد اوقفوا العمل بالقضاء العرفي وتركوا الناس على بعضهم فلا تقام المصالحات بينهم . والدليل على تعمدهم كونهم دعوا الى المصالحات بعد اعلان الحرب العالمية الثانية ليتمكنوا من ايجاد متطوعين لأن شيوخ القرى احتجوا على عدم التطوع بان الحمایل تحتفظ بشبابها للمشاجرات الدائمة .

(الفصل الرابع)

(حوادث واحداث عهد الانتداب)

(تشكيل المجلس الاسلامي وسوء استغلاله)

كانت الحكومة العسكرية تدير الاوقاف والمحاكم الشرعية ولما شكلت الحكومة المدنية روعي تسليم المسلمين ادارة اوقافهم ومحاكمهم الشرعية . وقد سن قانون للمجلس الاسلامي نص على انتخاب اعضاء اربعة عن كل لواء عضو ، ونص على ان تكون الرئاسة لرئيس علماء المسلمين في فلسطين وهذا ينتخب بموجب نظام خاص يسن فيما بعد . وقد اجتمع الناخبون الثانويون¹³⁸ في العهد العثماني فانتخبوا السادة : الشيخ محمد مراد من اللواء الشمالي والحاج سعيد الشوا عن اللواء الجنوبي وعبد اللطيف بك صلاح عن لواء نابلس والسيد عبدالله الدجاني من يافا واجتمع العلماء فانتخبوا الشيخ موسى البديري فالشيخ خليل الخالدي فالشيخ حسين الدين جار الله ثم الشيخ محمد امين الحسيني سنة ١٩٢١ م . اذ ذاك ثم اعطت الحكومة الاول والثاني والثالث وظائف وعينت الرابع ثم لم يسن نظام لانتخاب الرئيس ولم يستقل من الافتاء رغم الحاج طلاب الاصلاح . واتخذ البيت الحسيني من المجلس الاسلامي معقلاً ضد خصومهم والتشهير بهم ولايجاد مناصرين¹³⁹ .

¹³⁸ كانت انتخابات مجلس المبعوثان في العهد العثماني تجري على درجتين وكان ناخبوا الدرجة الثانية يعرفون بالتانويين وهم ينتخبون عضوا المبعوثان
¹³⁹ صاروا يوظفون للمحاكم الشرعية ودوائر الاوقاف من يوالونهم ومن يعاهدونهم تحت القسم بأن يسيروا معهم على الخير والشر .

(التكتل والانقسام)

نشأ عن هذا الوضع كتلة موالية للحاج امين الحسيني وعائلته عرفوا بالجلسيين وكتلة مناوئة كانت تطالب بالاصلاح ثم تطورت الى المعارضة باستغلال المجلس عرفوا بالمعارضين وقد كان هؤلاء اغلبهم هيئات البلديات وانضم اليهم كل من ينقم لمصلحته على الفريق الاخر . كان بعيدوا النظر كالشيخ منيب افندي هاشم مفتي نابلس قد نصحوا بترك هذه المؤسسة تديرها الحكومة ولا يشغلوا بها عن قضية البلاد . وكان هربرت صموئيل المندوب البريطاني قال لاجتماع المجلس بعد الانتخاب : (هذه جوهرة لكم ان احسنتم ادارتها فلكم وان اساتم فعليكم) . وكان ما تنبأ به العقلاء فقد كان المجلس الاسلامي سبباً لانقسام العرب في فلسطين بصورة صعب معها كل توفيق وكل اصلاح . لان جماعة الجلسيين عن طريق وظائف المساجد ودوائر الاوقاف واعلام النبي موسى والنبي صالح وغيرها من المصالح قد لفوا حولهم كثيراً من النفعيين المولعين بالشر والفساد فكانوا يتحرشون بكل من يطلب اصلاح او يناوئ هذا الفريق . وكان الفريق الثاني يقابلهم ثم يفاجئون بعضهم بالمهاجمات حين الانتخابات والاجتماعات والمؤتمرات في كل موقف مما يفسد كل عمل . وقد كانت القدس والخليل ونابلس من أهم ساحات التهجم والانقسام على حساب الجلسية والمعارضة لان فيها علم النبي موسى الذي يقوم بمهرجاناته لفيف من الشبان الشعبيين فكان هذا سبباً لتشعب الخلاف ووصوله وتغلغله في جميع طبقات الشعب فحال دون وحدة نابلس للقضية . وكان قوام الفريقين في الجمعية¹⁴⁰ السابقة منقسمة على نفسها . وقد انضم الى الفريقين جميع الدعاة ومرتزة الانقسام المنحطين الذين كانوا يعملون للتفرقة عامدين وقد قال لي شخص من صميم ابناء تلك الجمعية وانا اسعى للاتحاد (اياك ان تسعى لازالة الخلاف لاننا لا قيمة لنا اذا اتحدوا) . وكان يسعى للتفرقة عامداً جاهراً ومثله كثيرون من الشبان الذين كان يؤمل ان يعملوا للوطنية .



صورة علم النبي موسى ورجاله

¹⁴⁰ بالرغم عن كل ما اصاب البلاد فانهم لم يتركوا الاساليب العدائية حتى انهم صاروا يعاملونهم كأجانب منا حملهم على التمسك بالحكام والحاكمين للحد من سلاطنتهم لان اساليبهم كانت في منتهى الخبث اتهم بالخيانة لاوهي سبب . ومقاطعة وتحامل الا انه ككل باطل فقد انكشف وسقطو لكن بعد خراب البصرة اي ضياع قضية البلاد

(موقف الحكومة)

اما الحكومة ومن ورائها فقد وجدوا في المجلس الاسلامي غاية ما يصبون اليه هدفهم من ايجاد التفرقة بين العرب فأبوا ان يتدخلوا بحجة إنها مسألة اسلامية محضة . الا انها اضطرت الى التدخل وتعيين لجنة مكان الرئاسة بعد خروج الحاج امين من البلاد سنة ١٩٣٨ وقد اتخذت الحكومة تصرفات المسلمين - وهم الاكثرية العربية- في المجلس الاسلامي حجة على عدم تسليمهم معارفهم كاليهود ، والعرب انفسهم كانوا يحجون بعضهم بهذا وكل طلب فلم يقبلوا ولم يتفقوا على طلب اي حق لهم من الحكومة فكان وجود المجلس الاسلامي بهذا الوضع أسوأ ما ابتلى به عرب فلسطين في عهد الانتداب وهو دليل واضح على سوء نوايا الحكومة المنتدبة وعلى تأخر عرب فلسطين لانها تعمدت عدم سن قانون لرئاسة المجلس طيلة عهد الانتداب وقد ظهر من اقوال ومذكرات المندوبين وغيرهم ذلك .

(انتخاب المجلس البلدي في نابلس)

مات الشيخ عمر زعيتر سنة ١٩٢٤ م وفق سنة ١٣٤٣ هـ فقام مقامه بالرئاسة عمر افندي الجوهري اكبر الاعضاء سناً ثم دعى الحاكم البريطاني للواء السامرة سبعين وجبهاً من وجهاء مدينة نابلس وابلغهم تعيين لجنة مؤقتة تقوم مقام المجلس البلدي وهم سليمان بك عبد الرزاق طوقان رئيساً وعضوية كل من حافظ آغا طوقان والحاج عبد الرحيم النابلسي واحمد افندي الشكعة وعزة دروزه وجرجي افندي عبد النور والقس مرمورة والكاهن توفيق السامري . ثم اعلن اجراء انتخابات فترشح للرئاسة الاستاذ عادل زعيتر يعضده صهره عبد اللطيف بك صلاح واخواله آل حماد واشياهم وترشح ايضاً سليمان بك عبد الرزاق طوقان يعضده الفريق الاخر الذي كان يناوي الشيخ عمر وجماعته وبنتيجة الانتخاب فاز سليمان بك طوقان والحاج عبد الرحيم النابلسي واحمد افندي الشكعة وعفيف افندي عاشور وعبد الرحيم افندي التميمي والحاج طاهر المصري . وقد استمروا بعد ذلك ولم يعد انتخابهم حتى نهاية عهد الانتداب بسبب اضطرابات سنة ٢٩ والفوز بالتزكية سنة ١٩٣٥ ثم الثورة فالحرب والقضية بعد الحرب . وقد تقلص نفوذ المجلس البلدي ولم يعمل للبلد سوى هدم الدير وازالة التل بمساعي نعيم بك عبد الهادي ثم مشروع الكهرباء بعد ان انيرت جميع البلاد ثم ساءت النوايا بقصد هدم البلد القديمة فنقلت حصة الخضار الى سهل عسكر لمنفعة بعضهم وهدمت المدرسة الغزالية بفكرة تجارية وهي المدرسة التي بنتها البلد .

(انتخابات المجلس الاسلامي الاعلى)

انتهت مدة اعضاء المجلس الاسلامي فاجريت انتخابات جديدة في سنة ١٩٢٥ وكانت هذه الانتخابات في نابلس شديدة، اذ تشكل حزبان حزب الاهالي الديموقراطي لعبد اللطيف بك صالح واصهاره ابناء الشيخ عمر واخوالهم آل حماد وحزب اخر باسم الحزب الوطني وهو يضم سليمان بك طوقان وحافظ آغا طوقان وباقي اعضاء المجلس البلدي الجديد المار ذكرهم ومرشحهم أمين بك التميمي وقد انقسم جبل نابلس بين هذين الفريقين فكانت انتخابات شديدة مريرة اثرت في جريان احوال البلاد تأثيراً كبيراً حتى سنة ١٩٤٤ اي بعد عشرين سنة حينما قمت ادعو لحزب التقدم العربي الفلسطيني فوجدت ان الناس ما يزالون يحسون بالالم من تلك الحزبية . وقد فاز الحزب الوطني على الحزب الديموقراطي بصوت واحد فرفع عبد اللطيف بك صلاح قضية في المحكمة العليا مدعياً عدم قانونية الانتخابات . الا ان الحكومة رأت تعيين أمين بك التميمي تحاشياً من اعادة الانتخاب ولانها والحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي كانا كارهين لعبد اللطيف بك صلاح لمواقفه الصلبة . وقد تلاشى الحزب الديموقراطي وانقسم الحزب الوطني الى الفريق البلدي والفريق المجلسي هذا يتصل بالحاج امين الحسيني والاول يتصل براغب بك النشاشيبي رئيس بلدية القدس وانقسمت البلد بينهما انقساماً كانت له اضراره .

(الزلزال الكبير)

قبل عصر اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٣٤٦ هـ الموافق لليوم الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٣٧ شعرنا بهزة ارضية لم تلبث أن صارت دفعا من اسفل الى اعلى وقد دامت تسعين ثانية هدمت نحو ستمائة دار وقتلت نحو خمسين نفساً وجرحت مثلهم .



صورة خرائب الزلزال

وقد حدث فيها فواجع واحوال عجيبة توجب الاعتقاد بالقضاء والقدر على اشد الناس جحودا من ذلك انني كنت في عليية في الطابق الثالث فلم اخرج حينما شعرت بالهزة ولكنني حينما اشتدت شعرت كأن شخصاً حملني واخرجني ولم اكد اخرج حتى هبطت العلية على جهاتها الاربع وقد نزل السقف على ارضها ونزلت كتلة العقد الكبير على المكان الذي كنت اجلس فيه . وبعد ذلك نزلت فاسعفت شقيقتي اللتين اصببت احدهما باصابات خطيرة .

وهذأت دار جيراننا (الجاموس) الى ان نزل جميع من فيها ثم هبطت دون ان يصاب احد من سكانها بأذى وكانوا نحو خمسين نفساً .

ومن العجب ان زهية بنت يوسف جاموس زوجة فارس جوهر رجعت لتأخذ بنتها فسقطت عليها الدار ونجت الطفلة في سريرها . ومنها ان آل العكيك كان عندهم اقاربهم من آل منكو ضيوفا من عمان وبنت منهم اتت من مصر لقضاء عطلتها المدرسية فقتل الرجال ثمانية ونجت النساء في الغرقة المقابلة . وبعد أيام قتل شاب اخر بهدم ولم يبق من العائلة الا شابين . ومنها ان صبيّاً لعبد الكريم الشنتير خرج يملأ شربة (مشربة) فهبطت عليه قنطرة (زقاق) فقتلته ووجدت المشربة سالمة وفيها الماء . وهبطت ثلاثة طوابق في دار ابي عرب العقد على طفل في المهد فأخرج الطفل على مهده سالماً بعد ايام .

وقد استولى الفزع والذهول على الناس فمنهم من قادوه كالاعمى وهو معدود من الشجعان ومنهم صيدلي ظل يركض وبين اصابه شيء من السفوف مسافة بعيدة لم يفتحها . ولم ينم احد تلك الليلة وجميعنا بتنا تحت السماء وكثير من الناس لم يناموا تحت عقد ابداء . وقد ترك كثيرون دورهم وحوانيتهم مفتوحة . وقد اصبحت العائلات بلا¹⁴¹ ماوى او تركت بيوتها وقد ظلوا نحو شهر في الخلاء ثم بنت لهم البلدية¹⁴² خصاص من الحصير ثم بيوت من الزنك ثم من الحجر جوار رجال العامود الشهود ولا تزال تسمى حارة المنكوبين في الجهة الجنوبية الشرقية .

¹⁴¹ ان البيوت التي بنيت حديثاً في الجبال لم تصب فأخذ اهلها معارفهم فكان نصيب اسرتنا النزول في دار الحاج مسعود ابي صالح، قد اكرمونا غاية الاكرام طيلة وجودنا

¹⁴² توالى التبرعات من انحاء البلاد العربية ومنها ما أنفق على المنكوبين والباقي انفق لاسكانهم .



صورة حي المنكوبين - والشارع

وقد اشتغل الصغير والكبير وفي مقدمتهم شباب النادي العربي لرفع الانقاض ورفع الجثث التي بقي بعضها بدون دفن ونبش ثمانية ايام ، وقد بذلت الحكومة والبلدية جهودا جبارة ، وكان المندوب السامي البريطاني يتصل¹⁴³ بنابلس دائماً وقد زار نابلس مرارا للوقوف على احوال منكوبي الزلزال . ولم يقف الامر عند هذا بل ان المطر عند نزوله في الشتاء هدم بعض الدور على من فيها .



صورة الشباب يشتغلون في انقاض الزلزال

¹⁴³ وقد اصيبت القدس والد والرملة بهذا الزلزال الا ان اصابتها لم تكن تذكر بالنسبة لنابلس .

(الازمة الاقتصادية والهجرة)

حصل عقب الزلزال جذب قضى على الانتاج الزراعي وقد انضم هذا الى النكبة فحدثت في البلاد ازمة اقتصادية خانقة قضت على كثير من التجار بالافلاس اذ قد ضاعت ديونهم . وبدلاً من ان تساعد الحكومة الفلاح كانت تضرب مواسمه اذ تبيح الاستيراد حين نضوج غلته وتمنعها في وقت البذار. وقد نتج عن هذه الازمة هجرة متواصلة من نابلس وقراها الى حيفا ويافا وعمان والقدس وسائر بلاد الله . وقد اقفلت الحكومة ابواب التوظيف بوجه ابناء البلاد وشددت في منح اجازة المحاماة ورفضت قبول شهادات الجامعة السورية فقل الاقبال على التعليم العالي الى حد كبير . ولما اقبلوا على الصناعات وجدوها كاسدة لان الحكومة لم تكن تحمي الصناعات المحلية من مهاجمة المنتوجات الخارجية . ولم تفرض الا ضريبة واحدة على صنف واحد هو الاحذية¹⁴⁴ لان اليهود اشتركوا مع العرب هذه المرة فقط في الاحتجاج .

(نكبة السيول)

انبتق صباح اليوم الاول من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هـ الموافق لليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة ١٩٣٥ عن امطار متواصلة وشديدة لم يسبق ان رأيناها . وبعد نحو ساعة فاضت سيول عظيمة على نابلس القديمة غمرت دور ودكاكين الطابق الاول بالحجارة والاتربة التي جلبتها وقد بلغ ارتفاعها في بعض الاماكن نحو المترين وبعد الهدوء ظهرت جروف واسعة في بطون الجبال وقد خسرت نحو مائتا عائلة في نابلس متاعها ومؤها ولم تقع خسارة في النفوس وبعد نحو شهر ازيلت الاتربة جميعها ولم يقتصر الامر على المدينة بل شمل القرى¹⁴⁵ فأضر بأراضيها واشجارها ضرراً بليغاً وبيعض اهلها .

وقد عنيت الحكومة بمكوبي السيول فساعدتهم بعض المساعدات لاصلاح اراضيهم . وقد ساعدت البلدية من اصيب في المدينة ايضاً .



من صور السيول

¹⁴⁴ لقد قمت وبعض الشبان الوطنيين بتأسيس جمعيات لعمال الاحذية في سنة ١٩٣٠ ثم عقدنا مؤتمراً لها في القدس وانتخب المؤتمر لجنة تنفيذية لتنفيذ المقررات وهي طلب وضع ضريبة عالية واللجنة هي : الاستاذ جميل وهبة (رئيساً) جورج منصور (اميناً للسر) احسان النمر (المؤلف) ونديم دلال مساعدان وقد نجحت دون غيرها لانها بمطالبها اتفقت مع مطالب عمال الاحذية اليهود .

¹⁴⁵ من غريب ما حصل ان خليل الحصان الرفيدي كان نازلاً في بستان القرة ولما حصل السيل خرج يرد الماء فلم يقو فصعد على شجرة فخرجت زوجته وابنتها تنفق فساقيهما السيل ميتتان حتى قرية شوبكه حيث دفنتا. ومن العجيب ان ابراهيم الحصان والد خليل وعمره ١١٨ سنة صعد الى سدة البيت فنجا ولم يصب باذى . وكذا ولده خليل فانه نجا وتزوج وكون عائلة جديدة .

(احوال ادارة المعارف) (التربية والتعليم في عهد الانتداب)

كانت تدبر المعارف لجنة برئاسة المتصرف في العهد العثماني. واستمرت كذلك في الانتداب وسجلت المدارس على اسمها واصبحت تدبرها ادارة المعارف العامة . وحاولت الحكومة بيع الاملاك الموقوفة على المدارس فعارضها الشعب¹⁴⁶ العربي الفلسطيني فتوقفت . وفي سنة ١٩٣٣م سنت الحكومة قانونا يقضي بوضع يد البلديات على المدارس واعتبرت البلديات هيئات معارف مع ضم من ينسبهم المجلس البلدي بعد موافقة حاكم اللواء . واعطتها صلاحية فرض الضرائب للصرف على المدارس وانشاء المباني لها مع تسجيلها عليها على ان توقف على المعارف .

(الفصل الخامس)

(انشاءات عهد الانتداب) (تحسين طرق القرى ومدارسها)

فرضت ضريبة شخصية على الرجال البالغين مقدارها جنيه في السنة تصرف لمصالح القرية فصارت تصرف هذه المبالغ على توسيع المدارس وفتح الطرقات وبهذا سهلت المواصلات وتحسنت مدارس القرى وكانت الحكومة تساعد ايضا . وفي مدة الانتداب تقدمت القرى تقدماً مطرداً ، اذ اصبح في اكثر القرى بنايات حسنة لمدارسها . وقد فرضت قانونا اسمه قانون منع الجرائم والفساد قضت به على قطع الشجر اذ كانت تغرم القرية جميعها اذا لم يعرف الفاعل . وسنت تقسيط الديون فتخلص الفلاحون من ديونهم للتجار والمرايين .

(تجفيف المستنقعات والعناية بالآبار)

وقد عنيت الحكومة الانتدابية بتجفيف المستنقعات في بيسان وجنين وغور الفارعة وسيرتها بأقنية استفادت منها الاراضي وتناقصت اصابات الملاريا الى حد كبير . وقد عنيت دوائر الصحة بمياه آبار القرى ترش على وجهها الزيوت والعلاجات قاتلة الحشرات فقلت الاصابات .

(مشاريع المياه)

استمكت الحكومة لبلدية نابلس نصف ينابيع نابلس لقاء القيام بالمشروع فبنت لها الاحواض وسيرت الماء مواسير كبيرة وبهذا صار الماء يصل نظيفاً¹⁴⁷ وقد استفادت منه البيوت التي انتشرت في اطراف البلدة بعد ان كان الماء قاصراً على البلد القديمة وقد شرع به سنة ١٩٣٣م وقد تم بعد سنة . ثم اضيفت اليه خزانات واصلاحات بعد بضع عشرة سنة وبعد تسديد تكاليف المشروع اصبح يدر على صندوق البلدية مورداً حسناً . وقد قامت بلدية طولكرم بمشروع مياه (فجر) لمدينة طولكرم¹⁴⁸ بدأ في عهد الرئيس الشيخ محمد بركه ثم ركبت عليه مضخة في عهد السيد عبد الرحمن الحاج ابراهيم ثم موتور في عهد السيد هاشم الجبوسي . وقد عنيت الحكومة بمشروع مياه الفارعة فصبت لها اقنية من الاسمنت تتخللها مقاسم لاصحاب المياه مع احواض المياه لجمع الماء . فكان لهذا المشروع فوائده .

¹⁴⁶ الا ان اليهود منحتهم الحكومة المنتدبة حق ادارة مدارسهم منذ البداية وهذا اقتصر القانون على العرب .

¹⁴⁷ كانت المياه مكشوفة وتجري في اقنية حجرية وفخارية وكانت لاسيما مياه رأس العين بحالة تعافها النفس وقد استمكت الينابيع وسار المشروع بجهود سليمان بك طوقان لدى الحكومة واستمر المشروع بمساعدة الحكومة ولذا فاني اعتبرته مشروعاً عاماً وليس بلدياً محضاً .

¹⁴⁸ بدءاً بالمشروع بحفر بئر يجر منه الماء بالحبال في عهد الرئيس الشيخ محمد بركه وفي عهد الرئيس عبد الرحمن افندي الحاج ابراهيم ركب موتور عادي وفي عهد الرئيس هاشم بك الجبوسي جدد المشروع ووسع وركب له موتور كبير .



صورة السيد هاشم الجبوري

(مدرسة خضوري الزراعية)

كان اليس خضوري اليهودي من سكان هونغ كونغ في الصين اوصى بمبلغ يساوي مائة الف جنيه من ماله للتعليم الزراعي في فلسطين . واذ قد استلمته حكومة فلسطين واذ لم يبين في وصيته فارقاً او تخصيصاً لليهود فقد اعتبر للعموم وقسمته بين العرب واليهود وقد ابنتت بالقسم العربي مدرسة في الجهة الغربية من مدينة¹⁴⁹ طولكرم وذلك سنة ١٩٣٠م، وقد استمكت هذا المشروع (٧٠٠) دونم من الاراضي قسمتها الى احراش مثمرة واراضي زراعية وانشأت في وسطها مدرسة للتعليم الزراعي فكان لها فوائدها . وقد اوجدت فيها اماكن لتربية الطيور والنحل الخ .



صورة من مدرسة خضوري الزراعية

¹⁴⁹ وقد انشئت مدرسة اخرى في جبل تابور في الناصرة مما خص لليهود من هذا المبلغ

(انشاء مشاتل زراعية)

وقد انشأت الحكومة الانتدابية مشاتل زراعية في نابلس (قرب قرية عسكر) ويجانب القشلة ومستنبت في بيت قاد من قضاء جنين كان لها اثرها في التعليم واعطاء الفسائل .

(منشية طولكوم)

اسسها احد الحكام العسكريين في عهد الاحتلال على مساحة واسعة وقد زرعها اشجاراً حرشية فكانت منتزهها ممتازاً بالنسبة لبلدة طولكرم وقد ازدادت العناية بها مؤخراً .

(اعادة بناء جامع النصر)

هدم زلزال ١٩٢٧م جامع النصر وصار المجلس الاسلامي يوفر غلة اوقافه وقد مضت بضع سنين ولما بينى .وفي سنة ١٩٣٥م سعى المؤلف باسم جمعية الهداية الاسلامية فاثرت حملتي لاعادته وقد توصلت الى نتائج حسنة مع وجهاء واثرياء نابلس والمجلس الاسلامي جمع تبرعات تضم الى المبلغ المتوفر من غلة اوقافه وقد وضع تصميمه المهندس رشدي بك الحسيني وتوفيق بك الخماش على طراز جوامع استانبول ومن التبرعات والغلة بني الجامع في مدة اربع سنوات فانتهى سنة ١٩٣٩ م وفق ١٣٦٢هـ . وكان ينزل اليه بدرج فجدد مكانه طابق تجاري وبني الجامع على ظهرها على غرار مساجد استانبول.

وقد تأخر بناء المئذنة مدة من الزمن الى أن تشكلت لجنة من الشيخ محمد عبده هاشم ، الحاج محمد متبول ، الحاج محمد زكي القمحاي ، الحاج عبد العفو العالول ، الحاج عزة المصري فجمعوا التبرعات واقاموها اسطوانية كسابقها وهي الموجودة الان .

وسبب التأخير هو الحزبية فكان سليمان بك طوقان وعدني بجمع اربعة الاف دينار بشرط ان تشرف على البناء لجنة مشتركة من رجال الاوقاف والوجهاء . ولما توصلت الى حل مع مدير الاوقاف العام عزة دروزة بأن يتولى سليمان بك وجماعته جانباً من الانشاء كالتخشيب والتبليط الخ ، فوجنت بقيام بعض الجلسيين برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح بجمع اعانات فكان هذا العمل سبباً لنقص التبرعات نحو سبعين بالمئة.



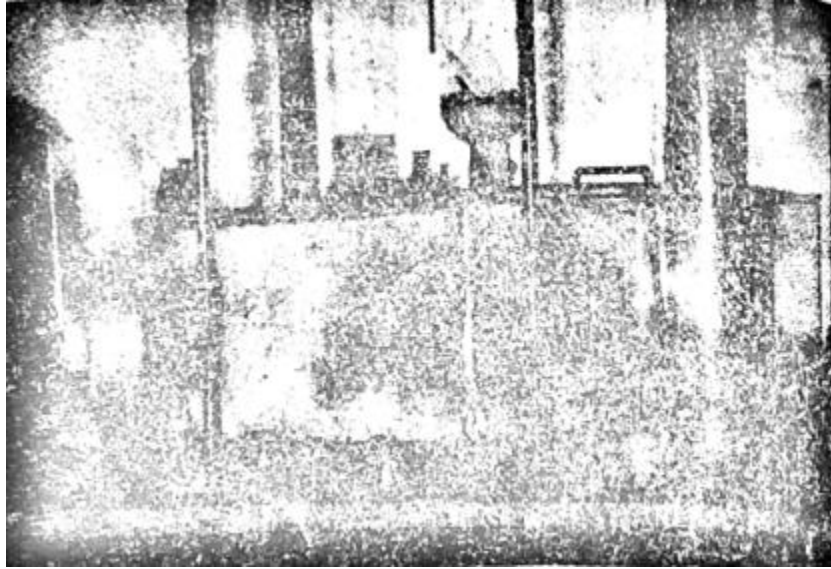
صورة لجامع النصر

(انشاء جامع النابلسي)

اوصت المرحومة الست محفوفة الحاج حسن النابلسي بمبلغ ثمانية آلاف جنيه من مالها للمنافع العامة وعهدت بالوصية لاختها الحاج نمر الذي قام ببناء الجامع المعروف بنابلس وقد اتمه من ماله الخاص على طراز 150 مساجد استانبول مساحة مثمثة للمسجد ومنبر رخامي بديع وذلك سنة ١٣٥٧ هـ .



صورة جامع النابلسي



(بركة جامع الكبير في عهد مديرية اوقاف الحاج نمر حماد)

150 وقد ساهم آل النمر بالقسم الشمالي من الارض بدون ثمن .

(مساجد اخرى)

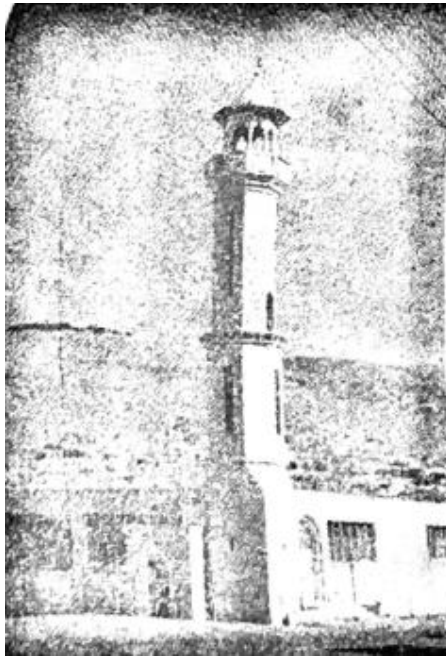
بنى آل سمارة جامعاً في طولكرم وآخر في ذنابة وقد عمر جامع عنبتا وبنيت منذنة وقد ساعد المجلس الاسلامي عليها بمساعدات جمعتها لجنة مكونة من السادة : حافظ الحمدالله ، الشيخ محمد العورتاني والمختار ذيب ابو ريا والحاج مصطفى اليوسف . وقد بنيت مساجد في القرى الآتية : طوباس ، وقلبان وعقربا وسلفيت وبديا وقصره وبرقه وبلاطه ودير شرف وجميعها بتبرعات من اهل القرى نفسها ما عدا جامع قبلان فقد ساهم المجلس فيه واهالي نابلس وبنى مسجد في حوارة بتبرعات ابناء القرية المهاجرين .



(صورة جامع طولكرم)



(صورة جامع حواره)



صورة جامع عقربا



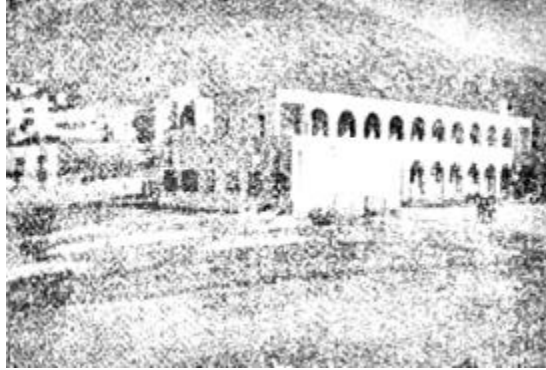
صورة جامع الحاج معزوز المصري

(مستشفى الطاهر)

قام الدكتور احمد عزة الطاهر بتأسيس مستشفى في الجهة الغربية من نابلس بماله فكان له اثره بتفريج ازمة المرضى.

(المدرسة الاصلاحية في طولكرم)

اسستها حكومة الانتداب في طولكرم لسجن الاولاد المجرمين وكانت في بادئ الامر ثلاث غرف ثم وسعت فاصبحت لجميع فلسطين



(المدرسة الصلاحية الثانوية بنابلس)



(المدرسة العائشية الثانوية بنيت في عهد الانتداب)

(اعمال جمعية الاتحاد النسائي العربي)

لما تقدمت المرأة النابلسية صارت تشترك في الاعمال والجهود التي من شأنها ان تفيد البلد . ففي سنة ١٩٣٦م شكلت جمعية باسم جمعية الاتحاد النسائي العربي وقد انتخبت هيئة لادارة الجمعية من خيرة سيدات نابلس وهن الانسات السيدات: مريم عبد الغني هاشم رئيسة، عندليب العمدة نائبة الرئيسة ، لائقة عمر المصري امينة للسر ، صبحية تميمي شاكرا النابلسي امينة للصندوق ، فردوس عادل كنعان كاتبة للوقائع ، والعضوات السيدات: ازدهار الدكتور احمد سروري، اميرة فياض الطاهر ، تمام عبد اللطيف النابلسي ، حورية راضي النابلسي ، عريفة جميل التميمي ، ذوقية احمد فخر الدين ، فهمية عز الدين كمال ، فاطمة الدكتور تاج الدين عرفات ، فتنة، الدكتور ناجح كنعان ، كريمة حسن الخماش ، مزين حسين العمدة ، ندى يسرى حسين عبد اللطيف . الدكتور محمد صدقي ملحس ، نوال عارف عبد الهادي وقد دأبن بعد ذلك على العمل فمارسن الاسعاف للمرضى والجرحى ثم أنشأت مستشفى الولادة ثم مستشفى للأطفال ثم نادي اتحاد الفتيات ثم أنشأت ملجأ لليتييمات كان له اثره وقد اشرف على ادارته الاستاذ شريف صيبح وقد قام بجهود مشكوره . واخيرا قامت ببناء وانشاء مستشفى الامراض العادية .

وقد ظهرت جهود هذه الجمعية فانهالت عليها المساعدات من العالم العربي مكنتها من مداومة الاعمال المذكورة ومن الاستمرار في ادارتها وتنميتها.

ومما هو جدير بالذكر انه بعد موت الانسة مريم هاشم تولت الرئاسة الحاجة عندليب العمدة فقامت بجهود واتصالات يعجز عنها عدة رجال .



صورة الحاجة عندليب وهيأتها

بناء عمارة الحكومة

وفي الحرب العالمية الثانية ولتشغيل العمال بنيت العمارة على شكل قلعة استعملت دار للحكومة



(صورة العمارة)

(الباب السادس) (النضال الوطني ضد وعد بلفور)

(الفصل الاول) (الفكرة والتشكيلات) (توجيه الحملة ضد وعد بلفور)

ما كاد الانكليز يحتلون فلسطين حتى صاروا يبلغون العرب بأساليب مختلفة وفي كل مناسبة بأنهم منفذون لارادة اليهود ويساعدونهم فتأكد العرب انهم يواجهون خصمين متحالفين . وقد تظاهر بعض الحكام الانكليز بمساعدة العرب وصاروا يظهرهم لهم المودة وان ضرورة الحرب هي التي حملتهم على اعطاء وعد بلفور وانه يوجد لهم انصار في بلاد الانكليز يمكن ان يساعدوهم ضد اليهود . وكان من الطبيعي ان تجد هذه الفكرة آذاناً صاغية بين قوم لم يعرفوا بعد شيئاً من دهاء الانكليز واساليبهم السياسية فوجهوا حملتهم جميعها ضد اليهود واصبحوا يواجهون جهودهم كلها ضدهم وكانت هتافاتهم كلها ضد وعد بلفور . ولم يظهر من يناوئ الانتداب او ينادي¹⁵¹ بسقوطه واتجهت الحملة على اليهود طيلة السنين العشر التي تلت الاحتلال البريطاني .

(تشكيل الجمعيات الاسلامية المسيحية واساليبها)

درج عرب فلسطين على تقليد مصر في تشكيلاتها فشكلت جمعية في كل بلد باسم الجمعية الاسلامية المسيحية تتكون من اعضاء من المسلمين والنصارى واليهما الرجوع في كل ما يتعلق بالنضال الوطني . ولكل جمعية رئيس وامين سر وامين صندوق واعضاء . وقد دامت امدا طويلا دون أن يتجدد انتخابها . وكانت تسير على اساليب المقارعة السابقة في العهد العثماني برفقيات ومضابط وشكايات واحتجاج في كل سنة على وعد بلفور موعده في اليوم الثاني من تشرين الثاني . وكانوا يأخذون اذنا بالمظاهرة قبل يومين فيجتمعون في المساجد لصلاة الظهر ثم يتلاقون في الشوارع ويسيرون بمظاهرة سلمية حتى دار الحكومة فتصعد الجمعية الاسلامية المسيحية فتقدم احتجاجها على وعد بلفور . ولم يفكروا في هذه الفترة بتحريم بيع الاراضي ولا بالاحتجاج على الهجرة ولا بالاصطدام بالانكليز . ولكنهم كانوا يشددون على عدم التعاون مع اليهود ولم يعترفوا بالانتداب ولا بوعد بلفور ولم يتعاونوا مع الحكومة رسمياً .

الفصل الثاني (نابلس بؤرة الوطنية وبيضة العروبة) (الامل بنابلس وتأكيده)

اتجهت انظار عرب فلسطين جميعا نحو نابلس وجيلها لما عرف عنهم من الشجاعة والثراء والحصانة والخلو من اليهود . وكان أهالي نابلس وقادتها يظهرهم كل ما يشجع هذا الامل عن عقيدة واخلاص. واذ كان احتلال نابلس قد تاخر سنة كاملة عن احتلال القدس فهذه احتلت سنة ١٩١٧م ونابلس سنة ١٩١٨م وخلال هذه السنة تفاهم الجيش العثماني مع أهالي نابلس وقد شبعوهم بالقضية واعلموهم باعطاء البلاد لليهود وودعوا الاترك بالدموع ولم يستقبلوا الانكليز ولم يتعرفوا عليهم .

(نابلس تتبنى القضية)

لقد استقبل النابلسيون هذا العهد كما يستقبل الظلام بان قدحوا زناد الوطنية وعنوا بالقضية عناية تامة رغم كل ما خوفهم منه بالاضرار بأحوالهم الاقتصادية ولقد حافظوا على اراضيهم في ارضهم وخارجها . وصاروا يقرعون باعة الاراضي والسماسة . وكانوا يندرون قادة القدس كلما اشدت بينهم الخلاف بأنهم سيسيروا بالقضية وحدهم ويتركونهم وقد تبني هذا التهديد الحاج حافظ اغا طوقان . لقد اصبحت نابلس البؤرة التي تتلاقى فيها وتخرج منها اشعة الوطنية الى كل مكان وقد حرم ابناءؤها من التوظيف واصبحت هي نفسها التي تصدر القرارات في اللجنة التنفيذية وتملي ارادتها على جميع المواقف . لقد وجد في نابلس الرجال الوطنيين العاملين والمعاهد والمدارس الوطنية فكان لا يمكن النفوذ اليها بوجه من الوجوه .

¹⁵¹ كان منيب آغا النمر نادى في احدى المظاهرات بسقوط الانتداب والمندوب السامي البريطاني فلامه الجميع حتى اضطروه الى التنصل في المحكمة وإنه انما قصد شخص المندوب لا مركزه

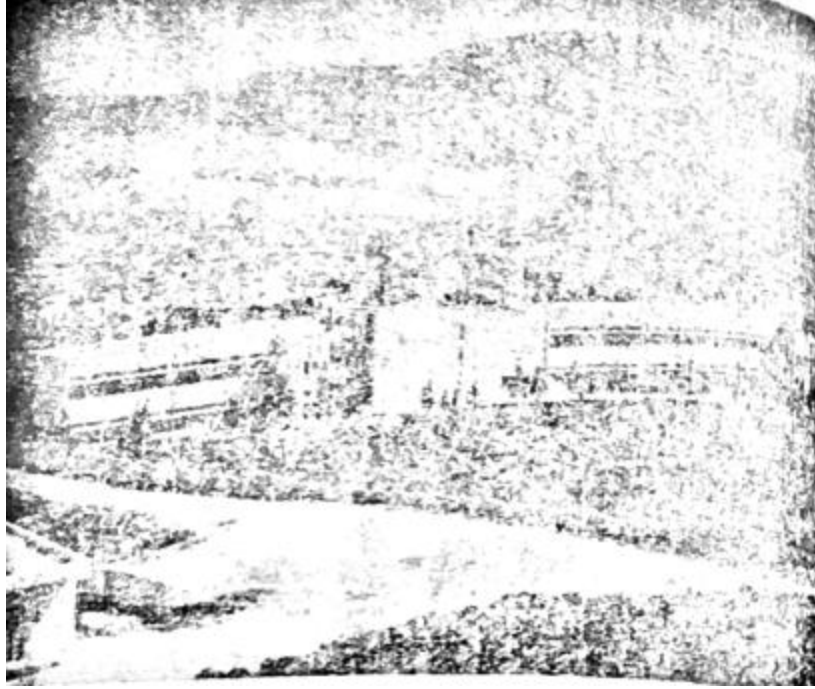
(الفصل الثالث)
(رجالات نابلس ومعاهدها)
(مدرسة النجاح الوطنية)

حالما احتل الانكليز البلاد بدأ بعيدوا النظر يقدرّون الاحتمالات المترتبة على هذا الاحتلال وكان في مطلع هؤلاء رجل نابغة غيور على المعارف والقضية وله امل كبير بالعمل والتقدم عن طريق العلم واهله وهو الحاج حسن¹⁵² افندي حماد نائب رئيس لجنة المعارف في العهد العثماني فدعا الى اجتماع في بيته السادة : ابراهيم القاسم عبد الهادي ابراهيم هاشم ، علاء الدين حلاوة ، كامل هاشم ، فتذكروا في الوضع وقرروا تأسيس مدرسة وطنية باسم مدرسة النجاح النابلسية وكان تحت يد الحاج حسن المذكور رصيذاً للجنة المعارف نحو ثلاثين ليرة عثمانية فصرّفها لهم لاستئجار دار وقد انضم اليهم السادة حافظ كنعان وقاسم كمال وزكي التميمي ومصطفى البشناق وشريف اصبوح وحلمي المهندس وعبد السلام البرقاوي ففتحوا المدرسة باسم مدرسة النجاح الوطنية وقام بالتدريس فيها نخبة من الاساتذة النابلسيين وهم الشيخ زكي ابو الهدى والشيخ اسعد شرف والشيخ فهمي هاشم واديب افندي مهيار وجميل افندي كمال وداود اغا طوقان وفارس السخن وسعيد العبوشي ووصفي عبد الهادي وقد اشتغلوا السنة الاولى بدون راتب. وقد كانت هذه المدرسة في دورها تهدف الى بث الروح القومية وبالفعل فان طلابها كانوا شعلة الوطنية في البلاد . وقد كانت الحكومة تتضايق جدا من هذه المدرسة اذ ذاك ايما مضايقة لما يظهر من خريجها في ذلك العهد من التطرف والتهجم على الحكومة واليهود . وقد كان طلابها طليعة المتظاهرين والثائرين في كل موقف وكانت تعقد فيها الاجتماعات والمؤتمرات . وكانت في مسكن مستاجر وبمساعدة الوجييين الحاج احمد الشكعة والحاج طاهر المصري استمكت قطعة ارض نحو ثلاثين دوماً مما ترصد في صندوقها . ثم قام الاستاذان قدري طوقان وواصف عنبتاوي فجمعا تبرعات من الكويت وبلدان الخليج فبنيت الكلية الحالية .

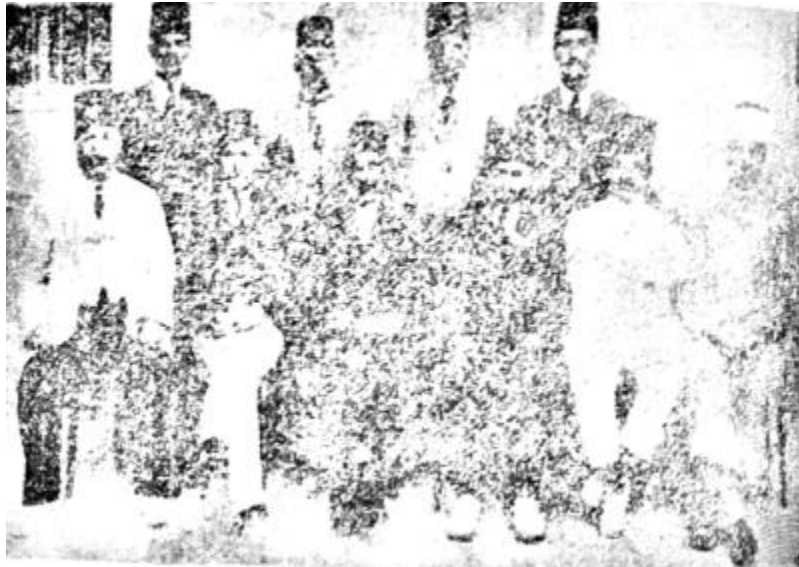


(صورة الحاج حسن حماد)

¹⁵² اتصلت بهذا الرجيه في اخرياته فوجدته افضل رجال عصره في نابلس علماً وادباً وغيره .



صورة كلية النجاح الحالية



صورة مؤسسي مدرسة النجاح



(صورة الحاج قاسم كمال احد المؤسسين)

(النادي العربي)

ان الذين اسسوا مدرسة النجاح قاموا بتأسيس نادي لدعمها وللإجتماع وقد تطورت الفكرة الى ان اصبح معهداً وبؤرة تلتقي فيها اشعة الوطنية وقد كان المؤسسون السادة داود طوقان ، فهمي هاشم ، جميل كمال ، وصفي عبد الهادي ، عزة دروزه ، حافظ كنعان ، الدكتور فارس السخن ، عادل زعتر . وقد انضم اليهم نخبة من شباب نابلس المتعلمين اذكر منهم السادة رشدي ملحس ، محمد علي دروزه ، راشد يعيش فوزي عرفات ، فوزي الخياط ، عادل تفاحة ، راشد ابو غزاله ، مرتضى الخياط ، حمدي التميمي ، صبحي العكليك ، عبد الحليم عرموش ، محمد صلاح ، عادل التميمي ، حمدي البط ، امين وابو سليم هندية ، امين دروزه ، راضي فياض الطاهر ، عبد الحليم الشوملي ، عبد الرحيم الجردانه محمد الشرابي ، لطفي الخياط ، الحاج اسكندر الحاج درويش ، اسعد عبد الرحمن وعزة المصري . وقد اشترك النادي بعدد من الجرائد والمجلات المصرية واسس مكتبة وكان يدعو من وقت لآخر نخبة من كبار المحاضرين منهم الشيخ سليمان الفاروقي والاستاذ عادل جبر والاستاذ خليل السكاكيني والاستاذ اسعاف النشاشيبي وكان يغتنم فرصة زيارة اقطاب البلاد العربية فيدعوهم لالقاء المحاضرات كالاستاذ احمد زكي باشا المصري والاستاذ عبد العزيز العثالي التونسي والاستاذ خير الدين الزركلي والاستاذ منصور فهمي المصري وغيرهم وقد اسس فرقة كشافة كان لها اثرها حتى الثورة وفتح مدرسة للاميين وكان يلعب اعضاءه وزائريه حماسة وكانت حفلاته تنقلب الى مظاهرات حماسية صاخبة على الصهيونيين ومن عاصدوهم فكانت هذه المظاهر تقلق بال الحكومة دائماً .

(رجال الجمعية الاسلامية المسيحية النابلسية)

كان الغرض من هذه الجمعيات ضم جميع العناصر من عامة الوجوه الدينية والسياسية لتكون رمز الوحدة المحلية . وهكذا كانت هذه الجمعية بنابلس فقد ضمت رئيسها الحاج توفيق حماد ورامز اغا النمر الذين كانا في العهد العثماني على طرفي نقيض فالاول يمثل الجمعية المحمدية التي قامت ضد الدستور والثاني يمثل جمعية الاتحاد والترقي الداعية الى الدستور وضمت الحاج حافظ¹⁵³ اغا طوقان الثري العامل وابرز الاعضاء اذ ذاك بتضحياته المادية والمعنوية .

¹⁵³ لقد اصبح هذا الاغا عميدا للجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس قولا وفعلا فكان هو العامل الذي لا يهدأ وكان ينفق من جيبه الخاص دون ان ينتظر قرارا من الجمعية حتى كان يبلغ ما ينفقه نحو (٤٠٠) جنيه سنوياً حتى كان يدفع اجرة السفر لبعض الاعضاء .

وباقى الاعضاء الذين كانوا يمثلون عناصر اخرى وهم احمد افندي الشكعه (امين الصندوق) وعزة دروزه (امين السر) و ابراهيم افندي القاسم عبد الهادي وسليمان سليم افندي ال القاسم والشيخ عبد الكريم صوفان وفريد افندي العنبتاوي وفارس افندي المسعود وجرجي افندي عبد النور (المسيحي) ومصطفى بك البشناق والسيد عبد القادر الزير (سلفيت) والدكتور حافظ كنعان والشيخ نمر العبد ال الحاج محمد (جوريش) وكامل افندي هاشم والسيد محمد علي الخياط . وقد اصبحت لهذه الجمعية شأن كبير لا في نابلس فحسب بل بين عرب فلسطين جميعا وكانت هي المسيطرة على عرب فلسطين وكانت الحكومة تخشى قراراتها ومواقفها وكانت تخشى ان تخرج بالبلاد بثورة ولهذا فان الحكومة كانت تعين في نابلس امهر ضباطها ورجال مباحثها لمراقبة رجال هذه الجمعية لاسيما الخمسة الاول كما سيظهر في الحوادث .



صورة حافظ آغا طوقان

(حزب العمال)

وفي هذا العهد تأسس في نابلس حزب عمال ضم عناصر العمال البلديين وقد اصبحت له شأنه واثره اذ اصبحت الحكومة البريطانية تعير هذه الناحية اهتمامها لانه ظهر في هذا العهد حزب العمال البريطاني وقد قام بتأسيسه واعماله نخبة من الرجال الشعبيين المتصلين بالعمال منهم السادة عارف افندي عبد الحليم عبد الهادي ورشيد آغا النمر وعمر غزال ثم انضم اليهم فياض بك طوقان والحاج سليمان الشامي ثم انضم اليهم السادة احد آغا النمر أمين السر ، أحمد الشكعة ، الحاج توفيق صلاح (دلول) ، الحاج عارف النابلسي ، سعدي سعد الدين ، الاستاذ نعيم بك طوقان وتوفيق آغا النمر كمحامي للحزب .

(الفصل الرابع)

(اعمال نابلس وتضحياتها في هذه الفترة)

عقد المؤتمرات ووضع الميثاق الوطني على اثر اعلان الانتداب وتولية هيربرت صموئيل اليهودي الانكليزي مندوبا على فلسطين التهب شعور العرب وعلى ضوء الخداع البريطاني من وجود انصار للعرب في لندن عقد المؤتمر الرابع 154 في القدس في ٢٥ حزيران سنة ١٩٢١ فقرروا ارسال وفد الى لندن لاقتناع اقطاب السياسة البريطانيين بالعدول عن سياستهم فتكون هذا الوفد برئاسة الرئيس موسى كاظم باشا الحسيني وعضوية الحاج توفيق حماد وامين بك التميمي ومعين بك الماضي و ابراهيم الشماس وشبلي الجمل . وقد جمعوا له مبالغ من البلاد خص نابلس منها الف جنيه وقد سافر الوفد الى لندن فلم يجد انصارا فاضطر الى مقابلة تشرشل فابلغهم ما قطع امالهم اذ افهمهم ان الوطن القومي لا محالة واقع ونصحهم بضرورة التعاون مع اليهود على بناءه فباتوا يائسين وعرجوا على جنيف فاجتمعوا بأعضاء الوفد السوري اللبناني فعقدوا مؤتمرا عام 155 .

154 عقد المؤتمر الاول في دمشق في ظل الامير فيصل ال هاشمي ممثلاً من جميع عناصر سوريا حيث قرروا وحدة سوريا الكبرى وذلك في ١٩ حزيران سنة ١٩١٩ ثم في ٢٧ شباط ١٩٢٠ عقدوا مؤتمرا ثانيا قرروا فيه رفض الهجرة والوطن القومي وبلغوا القرار للجنة الاستفتاء الاميركية . وعلى اثر انهيار الحكم الفيصلي في دمشق عقدوا مؤتمرا في حيفا في ١٤ كانون اول سنة ١٩٢٠ قرروا فيه رفض وعد بلفور وطلب منع الهجرة اليهودية وانشاء حكومة وطنية وقد انتخبوا لجنة تنفيذية برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني .

155 اسما رئيس واعضاء مؤتمر جنيف : الامير ميشيل لطف الله (رئيسا) والاعضاء الامير شبيب ارسلان ، رياض بك الصلح ، الحاج توفيق حماد (نائب الرئيس) و السادة توفيق البازجي وطعان العماد وامين التميمي ونجيب شقير وتوفيق فايد وسليمان كنعان وصلاح عز الدين ووهبه عيسى وجورج سالم . وصورة في الصفحة الاتية



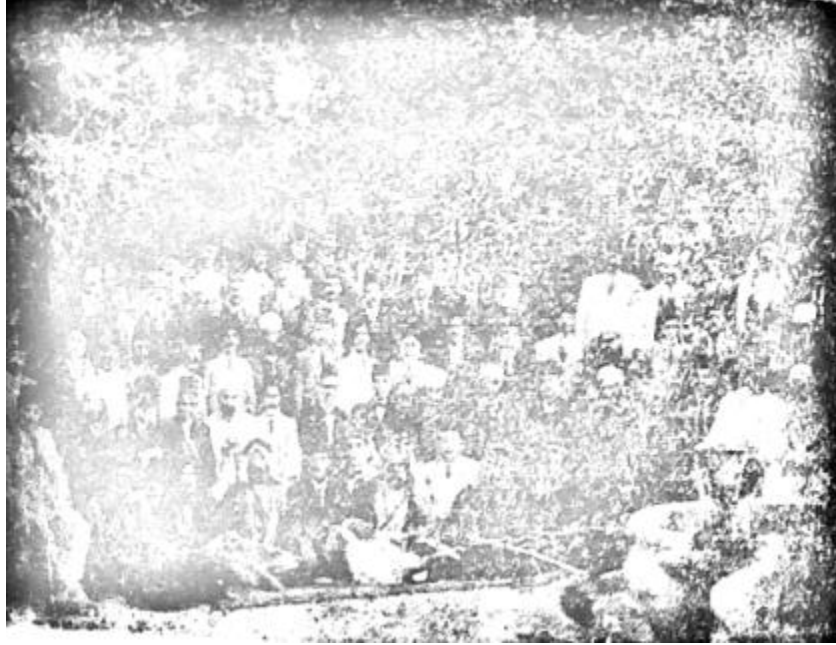
صورة الوفد الفلسطيني الجالس من اليمين موسى كاظم باشا الحسيني والحاج توفيق حماد والواقفون من اليمين السادة: ابراهيم الشماس فشيلي الجمل
فامين التميمي فمعين الماضي



صورة المؤتمر السوري العام في جنيف

(المؤتمر الخامس والميثاق العربي الفلسطيني)

ثم عادوا الى البلاد واستقبلوا استقبالا رائعا كان اهمه استقبالهم في نابلس حتى لقد بلغ الاستقبال على طول الطريق من رام الله الى نابلس . قال الاستاذ خليل السكاكيني في كتابه فلسطين بعد الحرب الكبرى ما يلي : (لم يقصد الوفد مكانا الا استقبلته السيارات على مسافة بعيدة منه حتى لقد وصلت سيارات المستقبلين من قرية رام الله بجوار القدس الى نابلس والمسافة تزيد عن خمسين كيلو متراً . ثم تطلع عليه الفرسان على خيولهم الكريمة وقد بلغ عدد الفرسان الذي استقبلوه في بيسان نحو خمس مئة فارس من كل عربي قح . يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه مرحاً بالعز او طربا واذا قارب المكان الذي يقصده دخل بين سورين عاليين بل موجتين متلاطمتين من الجماهير المحتشدة لاستقباله . وما كان يرى الا اعناقاً مشرئبة ووجوها تلمع بشراً وعيونا تتدفق ايماناً . وما كان يسمع الا الاهازيج الحماسية والاناشيد الوطنية ولم يكن يمشي الا تحت اقواس النصر واعلام فرق الكشفه . ثم تعقد الاجتماعات الكبيرة في مسجد او ناد او بهو فيقوم الخطباء بترجمون عما في نفوسهم من الامل وآمال . ثم يتلوهم خطباء الوفد فيبسطون الحالة الحاضرة ويفيضون بالكلام عن سياسة الحكومة وسياسة الامة والوسائل التي اتخذها كل من الفريقين لتأييد سياستهم وعن نتيجة سعي كل منهما بلهجة صريحة لا لبس فيها ولا غمغمة . أما الحكومة فقد حسبت لهذه السياحة الف حساب فما كان الوفد ينتقل من مكان الا ورجال البوليس امامه او وراه بل قد حاولت الحكومة في بعض المناطق ان تمنع الناس من الاحتفاء بوفدهم بطرق غريبة لا تجوز على الاطفال . منها ان احد الحكام كتب يدعو امراء منطقته وشيوخها وزعمائها بل كل رجل فيها الى اجتماع في دار الحكومة في الوقت الذي كانوا ينتظرون فيه وفدهم ومن يتأخر يجاز فلم يلبه احداً



(صورة رجال المؤتمر الخامس بنابلس)

وهنا عقدوا المؤتمر الخامس في آب سنة ١٩٢٢ وهو أهم المؤتمرات العربية حيث قرروا فيه مقررات هامة هي الاتية:

- ١ - مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي .
 - ٢ - رفض القرض الذي تنوي الحكومة عقده .
 - ٣ - مقاطعة اليهود مقاطعة تامة .
 - ٤ - وضع ضريبة على جميع ابناء العرب في فلسطين للقيام بالدفاع عن قضيتها .
 - ٥ - ارسال بعثة الى البلاد العربية .
 - ٦ - تأسيس مكتب للدعاية في لندن .
- وفي نهاية المؤتمر وضعوا الميثاق القومي التالي: (نحن ممثلي عرب فلسطين اعضاء المؤتمر العربي الخامس نقسم امام الله والامة والتاريخ بأن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي ورفض الوطن القومي

اليهودي والهجرة الصهيونية) لقد عقد هذا المؤتمر وقرر هذه المقررات والميثاق في جو حماسي جدا اقض مضاجع حكومة الانتداب . وقد كان عقده في نابلس معموداً لاستغلال الحماس والغيرة النابلسية الى اقصى حدودها وبالفعل قد استغل استغلالا عظيما وظهرت آثار ذلك في الحوادث الاتية وكانت جميع هذه المظاهر والاعمال تكتبها صحف مصر وسوريا وتشيد بذكر نابلس بلد الوطنية حتى ظن ان نفوسها تعادل نفوس اكبر العواصم العربية مع ان نفوسها اذ ذاك لم تزد عن عشرين الف نفس.

(التمرد على الحكومة بالامتناع عن الاحصاء)

سنة ١٩٢٢ لوحت الحكومة بمجلس تشريعي أبتز يتكون كمايلي:
عشرة اعضاء هم مديروا الدوائر الحكومية وهم من الانكليز وعضوان من اليهود واثنان من المسيحيين وثمانية من المسلمين المجموع ٢٢ عضواً . وقد فهم العرب بالنتيجة ان اليهود يكونون مع الانكليز الاكثرية فتكون ما يزيد على النصف ومن انظمته ان الرئيس الطبيعي هو المندوب البريطاني وله ان يقر او يرفض ما يقرره هذا المجلس. فأجمعت الامة على رفضه ولما قام موظفوا الحكومة بعملية احصاء النفوس ردهم الشعب ورفض التعاون معهم . ولاعتقاد الحكومة بان نابلس هي الرأس الوطني رأت ان ترهب الجمعية الاسلامية المسيحية النابلسية فألقت القبض على اهم شخصياتها وهم :

حافظ داود آغا طوقان ورامز آغا النمر والحاج حسن حماد والحاج قاسم كمال وفريد افندي العنبتاوي . وبينما كانوا في طريقهم الى السجن هجم الشعب فانقذهم من الشرطة وواصلهم الى بيوتهم ورابط امام البيوت طوال الليل مانعاً الشرطة والجيش دخول البلد وقد كان يحرض الجمهور ويحمسه القادة الشعبيين السادة : داود اسماعيل آغا طوقان والد حافظ آغا المذكور وسعيد بك درويش طوقان وحافظ آغا النمر والذين اصطدموا بالبوليس وانقذوا رجال الجمعية هم السادة الحاج فوزي الخياط ومرتضى افندي الخياط والحاج حامد الشنتير والحاج سليمان الشامي والسادة صادق الحناوي وزهدي جاموس وسعيد غزال هواش وجميعهم اصيبوا برفض من عصي البوليس . وفي الصباح ابلغ الحاكم البريطاني الشيخ عمر زعيتر رئيس المجلس البلدي الغاء القرار فسكن الهياج وتلى ذلك سحب مشروع المجلس التشريعي¹⁵⁶ . وقد كان لهذا العمل دوى عظيم في صحف مصر وكان المصريون يقولون : (دي بلدة الصابون تخلص وفدها ومصر تعجز عن تخلص وفدها) . وهكذا دوي اسم نابلس في كل مكان . وسيطرت جمعية نابلس واصبحت صاحبة الكلمة العليا في اللجنة التنفيذية التي تدير البلاد .

(منع اليهود من شهود عيد السامريين بالطور)

اتخذ اليهود من مشاهدة عيد السامريين على جرزيم سبباً للمجيء الى نابلس والمزور بالاناشيد تحدياً فرأى القادة العرب في نابلس وضع حد لهذا الامر فادعوا ان للمسلمين في هذا اليوم مناسبة للاحتفال بالشيخ غانم الموجود في الموقع نفسه فنصبوا خيامهم في جواره في موسم ١٩٢٥ ورابطوا لليهود الوافدين على طريق الجبل وعلى الجبل فرجموهم بالحجارة فاستجدوا بالحكومة فوقع اصطدام جديد بين الشرطة وشباب البلد كانت نتيجته امتناع اليهود عن المجيء الى نابلس بالكلية . وقد قام بهذا التدبير حافظ آغا طوقان ورامز آغا النمر والذين قاموا بالتحريض مع هذين ايضاً مصطفى بك البشناق وطاهر افندي حماد وقد حكم بسبب ذلك بالسجن شهر على كل من السادة ماجد القطب واسعد عبد الرحمن وسبع العقاد وامين محمود هندية وراشد ابو غزالة فقصوا الشهر في السجن ثم خرجوا حيث أحتفلت بهم البلد وكان الحاج حافظ آغا طوقان يرسل لبيوت فقرائهم ما يحتاجونه .

(اثر اضطرابات البراق في نابلس)

جاء اليهود من الغرب متحمسين يزددون العرب فكانوا يخرجون بمظاهرات من وقت لآخر فحصلت مصادمات بينهم وبين العرب في يافا والقدس¹⁵⁷ في السنين ٢٠ و ٢١ و ٢٣ و ٢٥ . ثم حصل توقف ثلثة فورة في اب سنة ١٩٢٩م اذ صاروا يأتون الى البراق وهو الجدار الغربي من المسجد الاقصى ويعملون ما يجاوز المسموح لهم به . فلم يطبق العرب صبرا فخرجوا بمظاهرات لرد اليهود فوقع الاصطدام الذي شمل جميع البلدان التي فيها يهود في الخليل وصفد وحيفا والقدس قتل فيها وجرح ستمائة من كل من الطرفين . وقد حكم على اربعمئة وثلاثين شخصا من العرب احكاما مختلفة فيهم نحو ثلاثين بالاعدام ولم يحكم من اليهود سوى واحد بالاعدام ثم عفي عنه المندوب . وقد قامت نابلس بواجبها من نجدة القدس في هذا الاضطراب وقد اعترضهم البوليس امام مركزه فهاجموا تكتنه فاطلق

¹⁵⁶ وقد عرضوا مشروعا سموه مجلس العشرة عرضوا عضويته عن نابلس على سليمان بك طوقان فرفض ذلك.
¹⁵⁷ وكانت تتجهج سائر فلسطين وشرق الاردن حتى ان العبيدات من لواء اربد جاؤوا للنجدة فضربتهم الطائرات الانكليزية فقتلت عبيدهم الشيخ كايد المصلح واخاه بين سمخ والحمدة .

النار عليهم فجرح السادة : عبد الكريم شاهين وعلي شقواره وكمال الدين سعد الدين ومحمد قرقرش واسماعيل الرطروط وعبد ابي اصبع تم توقف الهجوم عند وصول الحاج عبد الرحيم النابلسي رئيس البلدية بالنيابة . اذ استلم البندقية التي اخذها البوليس ورجع الشبان . وقد امدت نابلس القدس بالرجال والمال والمون طيلة الاضطراب. ولقد كان لهذه الاضطرابات اثرها وكانت حدا فاصلا بين الاساليب الماضية السقيمة والاساليب الثورية الاتية وبات من السهل الاقتناع لان الانكليز ارسلوا لجنة للتحقيق ابانت أن اليهود هم البادئون وقد اصدروا كتاباً ابيض فيه التوصية بمنح البلاد لا سيما العرب حقوقاً معتدلة ثم ما لبثوا ان سحبوه فلم يبق مبرر للصبر فصمم العرب على الثورة .

(انقاذ الاراضي)

ان تطبيق المادة الثانية من صك الانتداب حمل كثيرين على بيع اراضيهم فرأى أثرياء نابلس ان يتداركوا الاراضي فصاروا يشترون الاراضي وينشئون عليها البيارات فاشترى في سهول غزة وبني صعب (سارونة) وبيسان والذين قاموا بذلك هم السادة الاستاذ عبد اللطيف بك صلاح والحاج عبد الفتاح آغا طوقان وداود والاستاذ عادل زعيتر والحاج نمر النابلسي وحيدر بك طوقان وصدقي افندي عبد المجيد والدكتور نديم صلاح والحاج عمر العالول والشيخ محمد صلاح والحاج حسين جابر والسيد منير الاسمر والحاج حيدر هاشم والسيد محمد الشنار والحاج سالم النابلسي وال ابي حجلة وغيرهم كثيرون فانقذوا اراضي كثيرة قدرت بنحو خمسين ألف درهم . ومما هو جدير بالذكر احتفاظ كبار اصحاب الاراضي باراضيهم رغم الضيق المالي فقد عرض على قاسم آغا النمر مبالغ طائلة لشراء ما هو مسجل عليه فابى وكان يقال اثنان بيدهما تهويد فلسطين قاسم آغا النمر في جبل نابلس والحاج سعيد الشوا في قضائي غزة وبئر السبع لانهما يملكان اكبر مساحة اراضي في البلاد . مع ان الاثنين كانا يضطران الى التداين من صناديق الائتم

(مساهمة المرأة النابلسية بالجهاد)

لقد ظهرت في نابلس نهضة نسائية ساهمت بالاعمال الوطنية من الاسعاف والتشجيع وجمع التبرعات وأشهرهن الست مريم هاشم والسيدة بهيجة النابلسي أم واصف كمال . والسيدة فاطمة البشناق عقيلة مصطفى بك البشناق والسيدة بهية محمد آغا ام محمد الحجاوي عقيلة الحاج طاهر الحجاوي .



(صورة الست مريم في الوسط وهياتها)

(الباب السابع)

(التهيو والاستعداد للثورة)

(الفصل الاول)

(فكرة الثورة والدعاية لها)

كان المحاربون في الجيش العثماني والثورة العربية يتحرقون على تسليم¹⁵⁸ السلاح وضياعه ويعتقدون بانه لن تحل القضية الا بالثورة وكانوا ينعون على قادة الحركة الوطنية¹⁵⁹ اساليبهم السلمية وخطتهم السلبية وانتظارهم العون من غيرهم . وكان بعض رجال الحركة الوطنية يرى رأيهم ويبت دعايته بين الشبان . ثم نزل نخبة من رجال الثورة السورية يتحدثون عن ثورتهم بين عرب فلسطين الا ان الاكثرية الساحقة كانت ترى الثورة محالا واذا ذكرت قابلوا القائلين بها بالسخرية وبعضهم بالتهجم واصبحنا نرى ان العمل لها يحتاج الى تمهيد كبير مع الحزم والحكمة مدة سبع سنين من صيف سنة ١٩٢٩م حتى صيف سنة ١٩٣٦م بطرق مختلفة ومجهودات متواصلة واستغلال كل بادرة تدبر من الانكليز حتى اصبح الكل يعتقد بأنهم هم سبب البلاء وان مقارعتهم يجب ان تكون في نابلس لخلوها من اليهود وان تخرج مظاهرات بغير اذن من الحكومة كما كانوا يفعلون فيما مضى . ولقد كنا نخبة من الشباب¹⁶⁰ الوطني فلم نترك وسيلة استعملناها للدعاية والاقناع في الاجتماعات¹⁶¹ الخصوصية وفي المظاهرات وفي المساجد والكتاتبة في الصحف الى ان تطورت القضية تطورا عمليا بعد ذلك التماوت¹⁶² والاستسلام .

(الاعتداء الاول)

اخرج مستر بنتويتش الصهيوني والمستشار القضائي لحكومة فلسطين من القوانين ما جعلهم يلقبونه بمعمل القوانين وقد قدم القضايا على المتهمين في قضايا اضطرابات سنة ١٩٢٩م فحملت عليه الصحف حملة نكراء فتحتمس آذنه السيد محمد عبد الغني ابو¹⁶³ طيبخ واطلق عليه رصاصة اصابته في رجله اصابة خفيفة . وقد قبض عليه البوليس حالا فاعترف بانه انما عمل هذا العمل بدافع من نفسه وانه لم يدفعه احد وقد دافع عنه المحامي الاستاذ عوني بك¹⁶⁴ عبد الهادي فحكم عليه عشر سنين واضطرت الحكومة لاجراج بنتويتش من البلاد .



صورة الحاج فوزي الخياط

¹⁵⁸ اندرت حكومة الاحتلال الشعب بتسليم السلاح ووضعه في اماكن معينة فكموه اكداسا حتى ان بعضهم سلم السلاح القديم الاثري فلم يبق في البلاد سلاح واصبح اقتناؤه بمنتهى التكتم والحيطة .

¹⁵⁹ كان رامز اغا النمر يقول انما تنفذ البلاد بالاحمرين الذهب والدم وكان قوله يقابل من اخوانه بالسخرية حتى اضطر الى استعمال العصا لعزة دروزه منهم الاستاذ حمدي الحسيني (الغزي) وهو اول الشباب نعمة على المحتلين وكان يتنقل بين غزة وبافا ويلهب الشباب حماسة والاستاذ احمد الشقيري (عكا) وكان في الشمال كالاستاذ حمدي في الجنوب ثم تخرج السيد عبد المطلب فضه فكان يسانده في حركته .

¹⁶¹ لقد عقدنا بضعة اجتماعات سرية في بيت الشاب المخلص الحاج فوزي الخياط والذي توجهت ضده حملات قوية اخرت حالته فترك نابلس الى القدس فعمان حيث استقر ومثلها في بيت السيد جمال القاسم والسيد ضيا عيده الذي اصابه ما اصاب الحاج فوزي وقد تفاهنا مع عدد من شبان نابلس وطلابها المخلصين وقد عاهدتهم وعاهدوني على الخروج بمظاهرات بدون رخصة .

¹⁶² تولى توجيه قضية البلاد ذلك الجيل المتناحر الذي حدثك عنه في الباب الثاني من هذا الكتاب فكان عملهم عبارة عن مظاهرة سنوية في يوم وعد بلفور يأخذون رخصتها قبل يومين ويسيروا من المساجد الى سراية الحاكم كالجنازة فيقدمون احتجاجا على وعد بلفور ثم يعودون الى بيوتهم .

¹⁶³ هو من قرية قباطية في قضاء جنين .

¹⁶⁴ ثم اهل هذا المفادي ولم يسأل احد عنه ولا عن ابيه الى ان بلغني احد المسجونين الذين كانوا معه عتابه فقمت بجمع مساعدات له كل سنة باسم جمعية الهداية الاسلامية و كنت ارسلها لايه بموجب وصل عن يد السيد شفيق الحبش . وفي نفس الوقت جمعت اعانة مع وفد صفد لعائلات مساجين صفد .

(مؤتمر الشباب في نابلس)

اعترف الانكليز بعدوان اليهود في حوادث البراق سنة ١٩٢٩م ثم سحبوا اعترافهم ولفقوا قضايا على العرب فحكموهم بالمؤبد والاعدام كما مر وأصبحت الصحف تكتب بلهجة معادية مع تحميل الانكليز المسؤولية في جميع الصحف العربية فنضجت الدعاية لا سيما عند الشباب الا ان الشيوخ ظلوا على حالهم من احسان النية بالانكليز .



صورة الدكتور صدقي ملحس



(صورة السيد جمال القاسم)

ثم ظهر ان الانكليز على اثر الحوادث وضعوا اسلحة في المستعمرات اليهودية فتنادى شباب عرب فلسطين لعقد مؤتمر في نابلس في ٣١ تموز سنة ١٩٣١ م وكان يلتهب حماسة وكانت جميع الخطب موجهة ضد الانكليز فاستعملوا كل ما يستطيعون للضغط لعدم القيام بمظاهرات في منتصف اب فنجحوا على انه بعد هدوء نسبي وليلة ٢٣ اب اي بعد ثلاثة اسابيع قبضوا على خطباء المؤتمر التحمسين جدا وهم الشيخ صبري عابدين (الخليل) والدكتور صدقي ملحس والسيد جمال القاسم (من نابلس) وقد وكلوا محاكمتهم للقاضي البريطاني مستر كراسل المعروف بالسفه وقذارة اللسان فحكمهم ثلاثة اسابيع وقد سحب نطق القرار محاضرة بذيئة جداً .

(الاصطدام بالانكليز)

لما علم الشباب بالقبض على الدكتور صدقي ملحس والسيد جمال القاسم تجمهروا امام السجن مدة الى ان نقل السجينان الى سجن القدس فتركوا باب السجن وساروا بمظاهرة في الليل تم تفرقوا .

وفي اليوم التالي اجتمعنا في نادي الجمعية العربية ثم خرجنا بمظاهرة صاخبة وسرنا في شوارع البلدة القديمة الى ان وقفنا بباب السراية القديمة وكانت فيها المحاكم ويظهر ان الرئيس البريطاني طلب النجدة من البوليس والجيش الذي كان مرابطاً في البريد فداهمنا من الخلف فأصيب بجراح السادة صبحي استيتية (وقد بترت رجله) واحسان النمر (المؤلف) ورشيد مرمش وايوب الخماش ونهاد جاموس وموسى زعتر وشفيع سعد الدين ومحمود محمد طالب . وقد تفرق المتظاهرون والبوليس والجند في ازقة البلد القديمة فافسحوا البوليس لطمأ ولكما .

(مظاهرة السيدات)

وفي اليوم التالي خرجت 165 السيدات بمظاهرة كبيرة هي الاولى من نوعها ولما بلغت شارع السينما القديمة وجدن ان الجند البريطاني قد سد الشارع وهم يصوبون بنادقهم اليهن بكل وقاحة فتفرقن في البيوت المجاورة ووقع الاصطدام بين الجند والشباب العربي وقد اطبقوا على الجند من الامام والخلف فكسروا رجل ضابطهم كابلز واخذوا بندقيتين وأسروا بعض الجنود وفر الباقون بمشقة .

(القبض على المتظاهرين وسجنهم)

وفي الايام التالية قدمونا للمحكمة المنعقدة برئاسة الحاكم البريطاني فحكم نحو خمسين شابا بالاشغال الشاقة مددا تتفاوت من ثلاثة اشهر الى سنة 166 مع كفالة بعد الخروج وحكم مثل هذا العدد بكفالات .

(خروج القسام واستشهاده في جبل نابلس)

بعد انهيار العرش الفيصلي في دمشق سنة ١٩٢٠م انتقل كثيرون من سوريا الى فلسطين منهم الشيخ كامل القصاب الذي عمل على جمع التبرعات من اهل اليسار فينى مدرسة وجامع الاستقلال في حيفا وقد عين للتدريس والخطابة في هذا الجامع الشيخ عز الدين 167 القسام الذي استغل دروسه وخطبه للحث على الجهاد وقد تعرف على كثيرين وتبادلوا اياهم الثقة فكون جمعية سرية اخذت تعد السلاح والعتاد للخروج بالثورة وقد انتشروا في اللواء الشمالي . ثم فوجئنا في صيف سنة ١٩٣٥م بالقضاء على الشيخ القسام وقسم 168 من جماعته في احراج يعبد فكان خروجه بهذه الصورة والقضاء عليه مؤلماً . الا ان عمله كان فيه تحدي المحتلين وافهامهم ما تنطوي عليه النفوس وتحدي قادة الحركة الوطنية الذين ركنوا الى المظاهرات والاضراب والاحتجاجات لا سيما رجال الدين . وقد حكم القضاء على القسام وعصيته بصورة ختمت بمنتهى الوقاحة وسوء الادب من قائد البوليس الذي قام بالتطويق وامر باطلاق النار فانه اهانه كثيراً اذ داس على رقبته امعانا بالاهانة ومهما كان الامر فان الكتاب قدروا خروجه فاستشهاده حق التقدير وعدوه رمزاً للتضحية .



(صورة القسام)

165 اشتركت المرأة في النضال الوطني منذ سنة ١٩٣٠م وكان في نابلس جمعية نسوية برئاسة السيدة مريم هاشم اما التي قامت بهذه المظاهرة فهي السيدة بهيجة النابلسي ام واصف كمال عقيلة الحاج سعيد كمال .

166 الذين حكموا سنة هم السادة : فوزي الخياط واسعد عبد الرحمن المصري وابراهيم الخماش وعمر البط ومحمد علي دروزه وواصف كمال وعادل كنعان والباقون ثلاثة اشهر فما دون وقد استأنف الاستاذ عادل زعتر الاحكام فنزلت عنهم ما عدا حكمي فانه ظل كما هو ثلاثة اشهر لانه باعترافي وقد قضينا المدة جميعها بالاشغال الشاقة.

167 اصله من اللاذقية في سوريا .

168 يقول بعض جماعته انه لم يكن يريد الخروج في ذلك الوقت بل انه خرج لتمريضهم بعد التفاهم مع الشيخ محمود الصفوري فاستشهد معه اربعة وجرح اربعة واقلت بعضهم اذ لم يكونوا معه الا ان كثيرين ادعوا انهم قساميون فاشتغلوا باغتياالات ومجازر سنة ١٩٣٨م فشوهوا سمعتهم .

(مشاكل بيع الاراضي)

كانت الاراضي التي باعها سرسق والريس والتيان من اثرياء سوريا ومصر مملوءة بالزراع كعرب الحوارث والزبيدات وطبعون وغيرهم فكانت الحكومة تجلبهم عن اراضيهم بالقوة وتسلمها للمشتريين فكان يقع منهم قتلى وجرحى ويقبض على اخرين فيودعون في السجن فيضج الناس ويتالمون.

(اضطراب الامن)

وكانت حوادث الامن العادية تشغل دائرة الامن كثيراً حتى خصص ربع الميزانية للامن وحده لان الشعب لم يكن يتعاون مع الحكومة وكانت هذه القوة تطارد الواحد¹⁶⁹ مدة سنتين



(صورة ابو الجلدة)

¹⁶⁹ من امثلة ذلك رجل اسمه احمد ابو جلدة من قرية طمون قضاء نابلس فقد تشرد من وجه الحكومة ولم ينضم له سوى شخص واحد ولم يبق عند الحكومة ضابط امن سري او علني الا استخدمته حتى تمكنت من القبض عليه بحيلة .

(الفصل الثاني)
(التطور العام)
(حراسة الحدود والاصطدام العام)

على اثر حوادث شباب نابلس هب شباب فلسطين فعمدوا مؤتمرا وانتخبوا له لجنة تنفيذية وقد تحقق مندوبوا الشمال في اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب من تهريب اليهود من السواحل والحدود وفي الاجتماع التاريخي الذي عقدته اللجنة المذكورة يوم الاحد الموافق ٢٨ مايس سنة ١٩٣٣م قام السيد عبد المطلب¹⁷⁰ فضه وفضح التهريب على الحدود والسواحل فاقترحت الاحتجاج على الحكومة والعمل لحراسة السواحل والحدود فايدت الاكثرية¹⁷¹ هذا الاقتراح وقررت العمل فوراً .



(صورة الشباب مع عرب السويرح)
يرى المؤلف احسان النمر قاعداً عن اليمين والسيد سعيد الخليل السكرتير قاعداً عن اليسار والرئيس يعقوب بك الخليل واقفاً في الوسط

وفي اليوم التالي خرجنا الى الساحل الجنوبي بين يافا والمجدل حيث عرب السويرح واخذنا عليهم العهد لحراسة منطقتهم وقام الاعضاء بتكليف الكشافة وسكان الحدود بمثل ذلك .

¹⁷⁰ هو عضو عكا وكان من الشباب المتحمس المخلص .
¹⁷¹ كان من اساليب الحكومة استئجار بعض اعضاء لي عملوا على احباط كل اقتراح وهذا ما حمل اللجنة على تنسيب دعوتي عن نابلس لعلهم بقوة حجتني ولم يكذ السيد عبد المطلب حتى نهض مندوب الناصرة لطف عوده للرد عليه بحجة ان الاحتجاج على التهريب يعني الرضا بالهجرة فطلبت الاحتجاج مع التحفظ برفض الهجرة ووعد بلفور والانتداب فنجح الاقتراح .



(صورة السيد سعيد العنبتاوي)



(صورة السيد سليم عبد الرحمن)

ولما كانت كشافة ابي عبيدة في طولكرم في موقف حراسة على الساحل جوار مستعمرة ناتانيا باغتهم نحو ثلاثمائة شاب من اليهود . وبعد مشاجرات قبضوا على قاداتهم¹⁷² والقوهم في حفرة وهم في اغماء وكان راكبوا الدراجات النارية قد تمكنوا من الافلات فأخبروا طولكرم ونابلس على انهم قتلوا وجرح غيرهم فاصبحت طولكرم مضطربة بمساعي السيد سليم عبد الرحمن وما زالت تتطور وقد طفح الكيل . فقررت اللجنة التنفيذية العربية الاضراب العام والقيام بمظاهرات دورية في المدن العربية الكبرى في فلسطين فحصلت مصادمات سنة ١٩٣٣م في القدس ويافا وكانت الاخيرة شديدة ضويق فيها الرئيس موسى كاظم¹⁷³ باشا الحسيني فمرض ومات . ثم قبضت الحكومة على

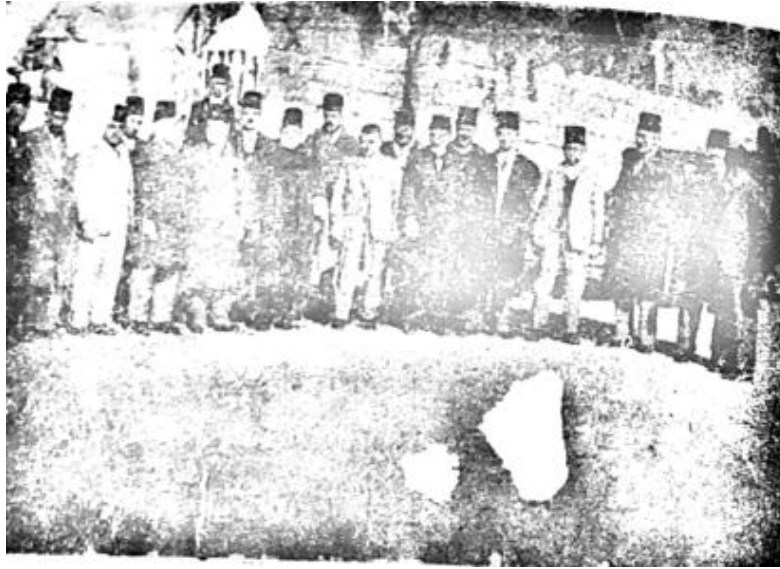
¹⁷² هم السادة سعيد العنبتاوي واحمد محمود التايه والاستاذ شاكر الخردجي الدمشقي . وكان الشبان اليهود يلقون عليهم شباك الصيد .
¹⁷³ كان متصرفاً في العهد العثماني وكان هو رئيس المؤتمرات والوفود واللجنة التنفيذية العربية . وكان يخفف من حدة الحزبية العالمية لرابطة القرابة بينه وبين النشاشيبي الذي كان يتحمله ويهضمه ولم تكن زعامة موسى كاظم باشا من النوع الذي يسد الفراغ ونحتاجه الامة اذ ذاك بل كانت تقليدية . ولو وجدت فيه القابليات كلها ما استطاع ان يعمل كثيراً لان الجيل الذي اشتغل معه وترأسه كان رجعيًا ضعيفًا وهو والد الشهيد عبد القادر الحسيني .

عدد كبير من الزعماء فتوقفت المظاهرات مع الالم الشديد وماتت اللجنة التنفيذية بموت رئيسها وظلت البلاد بدون هيئة عامة حتى اضراب سنة ١٩٣٦ م .

(العمل للتخلص من حزبية القدس العائلية)

لم يبق شك عند احد بأنه لا يمكن النجاح مع هذه الحزبية العائلية فالعمل الحازم هو اقتناع الكل بالتخلي عنها والسير بالقضية على اساس جديد وكان العمل لهذا الامر يحتاج الى وقت مناسب والى عناصر معتدلة مخلصه . ونظرا لان الحزبية قد تسربت الى الشعب ونظراً لما لاقته من الفشل وعدم التجانس وعدم امكان العمل مع رفقائي¹⁷⁴ في المدارس ومع الشباب¹⁷⁵ الوطني بعد المدارس رأيت وجوب العمل مع الرجال الشعبيين¹⁷⁶ الذين استطعت ان اوجد لي في نفوسهم ثقة . وبعد العمل سنتين قنعوا بالفكرة ودعوا الى اجتماع في جامع الانبياء لم يكن فيه من الشباب الوطني المتعلم غيري فقررنا العمل لتوحيد نابلس وتكليف الحاج توفيق حماد وقاسم آغا النمر لدعوة الوجهاء من مختلف النزعات للاتحاد . وقد ذهب وفد منا فزار هذين الوجهيين وكلفهما فقبلا مع الشكر وكنت اتصل بهما فأقف على التطورات كل يوم جمعة .

كان رجالات نابلس اربع فئات مجلسيين ومعارضين واهالي ديموقراطي وحياديين وبعد اتصالات بين الوجهيين المذكورين . والفئات الاربعة تكونت كتلة عامة باسم حزب التوحيد : فكان عن الحيايين السادة الحاج توفيق حماد وقاسم آغا النمر والاستاذ عادل زعيترو عن المجلسيين السادة فريد العنبتاوي ومصطفى البشناق وعبد الرحيم التميمي وعن المعارضين السادة احمد الشكعة والحاج عبد الرحيم النابلسي والحاج طاهر المصري وعن حزب الاهالي الديموقراطي السادة الاستاذ عبد اللطيف صلاح وعبد الفتاح آغا طوقان والشيخ عبد الكريم صوفان والحاج سعيد كمال وعزة افندي الطاهر وتوفيق افندي عرفات وقد وافقوا جميعا على الانفصال عن حزبية القدس ما عدا الفريق المجلسي فانهم ابوا الموافقة على الانفصال عن الحاج امين ووافقوا على التفاهم المحلي فاستمر تفاهمهم حتى سنة ١٩٤٦ م.



(صورة وجهاء نابلس مجتمعين للاحتفال بالوفد السوري)

¹⁷⁴ قمت بتأسيس جمعية اخوانية اثناء الدراسة في مدرسة النجاح وكلية الشويفات فلقيت عنّا وعدم اخلاص كبير عرفني الشيء الكثير عن نفسية الجيل الجديد

¹⁷⁵ لم يكن تجانس بين المشتغلين بالقضية الوطنية وقد اندس بينهم اشخاص كانوا على جانب كبير من الدس والفساد وقد صارحني ادهم قاتلا عن الشيوخ انهم اذا كانوا متصالحين لم يكن شان لمثلي ومثلك . وكان منهم نفعيون اثروا باسم الوطنية واخرون يتصلون بالحكومة فاضروا ضرراً بليغاً وقد اطلق عليهم اسم وطنية اي اتخذوا الوطنية فرصة معاشية . ومنهم من نفروا الناس بكبريائهم واتهامهم بالخيانة

¹⁷⁶ كان منهم السادة الحاج حامد الشنتير وصادق الحناوي ومحمد الدبس والحاج محمود عواده والحاج خورشيد الشخشير والحاج توفيق صلاح واسعد عبد الرحمن والحاج محمد ابي الروس والحاج حسين يامين واسعد وحسن الخليلي وتوفيق استيتيه وفارس فريخ ومحمد الصابر وقد عقدنا عدة اجتماعات في بيوت السادة عواده وفريخ والدبس والحاج فتوح

(مؤتمر يافا الشعبي)

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اتصلنا بالشباب الشعبيين في جميع انحاء فلسطين وعقدوا مؤتراً شعبياً في يافا في مايس (أيار) ١٩٣٣ وسمي المؤتمر الثامن دعوا اليه راغب بك الناشيبي والحاج امين افندي الحسيني وكلفوهما بالاستقالة من منصبيهما رئاسة بلدية القدس ورئاسة المجلس¹⁷⁷ الاسلامي للبعد عن كل شيء حكومي وحل الحزبية العائلية الراهنة فلم يحضر راغب بك الناشيبي بنفسه بل ارسل بعض جماعته وعززهم ببرقية بالموافقة على الاستقالة . وحضر الحاج امين الحسيني مع حشد من جماعته واعتلى منصة الاجتماع مدة كبيرة يقنع المجتمعين بلزوم بقائه على كرسي المجلس الاسلامي وقد فسر هو وجماعته هذا التكليف بأنه دس وفساد من الحكومة واليهود ففشل الاجتماع وظلت الحزبية العائلية تقود البلاد الى الانتحار والدمار.

(التفاهم العام في نابلس)

اجمع جميع عرب فلسطين وغيرهم بأن نابلس وجبلها افضل موقع الثورة والنضال وان القضاء على القسام وجماعته في سويغات دل على انه يستحيل القيام باي عمل ما لم تكن البلاد جميعها تسنده وتوازره وظهر أيضاً من كل مشروع او عمل يمكن الاقدام عليه في نابلس انه لا بد من التفاهم مع الجميع لا سيما الاقطاب الاربعة الذين كانت كلمتهم هي النافذة وهم سليمان بك طوقان والحاج عبد الرحيم النابلسي والحاج احمد الشكعة والحاج طاهر المصري . هذا ومنذ تولي سليمان بك رئاسة البلدية صار رجالات بيوت الحكم السابقة يتصلون به ويرون فيه الشخص الذي يحافظ على كرامتهم وقد اتصل بشيوخ قرى جبل نابلس جميعه وبات من الضروري اتصال الشباب بالشيوخ وازالة سوء التفاهم الذي حصل بعد حوادث نابلس سنة ١٩٣١م وكنت اتصل بسليمان بك طوقان وبالحاج عبد الرحيم النابلسي بعد تفاهم للامور التي تتعلق¹⁷⁸ بجمعيتي الهداية الاسلامية والرياضية والشئون المحلية العامة . وقد اتصل السيد اكرم زعيتر بالسيد حكمت ابن الحاج طاهر المصري من الاقطاب الاربعة وعن طريقه اتصل برابع الاقطاب ومحورهم الزعيم احمد الشكعة وقد اوجد اتصاله تفاهماً بين هذه الجهة والسيد كمال وممدوح السخن وشباب النادي الرياضي . وقد اوجدت صلة بين الحاج حسن افندي حماد وسليمان بك طوقان واصبح يتصل به الاستاذ عادل زعتر¹⁷⁹ على حساب وكالته لقضايا البلدية فتمت صلة الحيايين . وبهذا اصبح قطب الرحي واليه اتجهت الانظار وقد صرح لي بقوله : (سيرى الذين يرونا معتدلين بأننا اكثر تطرفاً منهم متى ازفت ساعة العمل) وقد سر الشعب لهذا التفاهم والتضامن وعلقوا عليه امالهم .

(عرض المجلس التشريعي ثم سحبه)

لما وقعت الحرب الحبشية الايتالية تحركت مصر تطالب بحقوقها فعقدت معها بريطانيا معاهدة وتحركت سوريا فدعت فرنسا اقطاب السوريين الى باريس للمفاوضة . وكان عرب فلسطين يتحفزون فعرضت عليهم بريطانيا مجلساً تشريعياً فتساهل العرب وقبلوه الا ان اليهود رفضوه واثاروا البرلمان¹⁸⁰ البريطاني ضد مشروع المجلس التشريعي فمنعته الاكثرية الساحقة فاشتد الغليان ونودي بمقاطعة اليهود فحصل توتر ونفور فترشق ثم قتل فنتج عنه الاضراب فالارهاب فالثورة كما يتبين في الباب الاتي .

¹⁷⁷ كان نصف راتبه من الوقف والنصف الاخر من الحكومة وكانت مدة رئاسته قد انتهت
¹⁷⁸ اسست هاتين الجمعيتين لكسب الثقة والتكتل وقد جعلت باكورة اعماله قرار منع المسكرات والتدخين فاتصلت بي جمعية منع المسكرات العالمية بفرعها بالقدس وبتعاوني معها ومع جمعيات الهداية الاسلامية في الاقطار العربية اصبحت عالمية في مدة سنتين وبعد استقرار دعوت لتشكل هداية رياضية فانتمى لها مائة وخمسين شاباً فكان المجموع ستمائة عضو وقد قامت بأعمال كثيرة لا سيما في الثورة وكسبت ثقة كبيرة .
¹⁷⁹ كانت بين ابناء الشيخ عمر والاقطاب حزازات كانت السبب في نقيمتهم وقد اثرت في حركة البلد وتضامنها امداً .
¹⁸⁰ ومن اغرب ما حصل ان وزاره المستعمرات استعملت نفوذها لاقناع اعضاء البرلمان بالتصويت فلم يكن معها سوى اقلية وصوتت الاكثرية ضد المجلس التشريعي ولهذا فان كثيراً من الحكماء وقواد البوليس في الثورة كانوا يمالئون العرب.

(الباب الثامن) (الثورة الكبرى)

(الفصل الاول) (الاضراب الطويل) (اعلان الاضراب¹⁸¹ مع الاستمرار)

استمر العدوان الفردي بين العرب واليهود لا سيما بين يافا وتل ابيب . وفي ٢٠ نيسان سنة ١٩٣٦ قامت يافا بمظاهرات تريد مهاجمة تل ابيب فصدتها البوليس بالقوة فقتل عريبان وجرح اثنان وثلاثون عربياً من رصاص الانكليز . فاجتمع وجهاء يافا برئاسة السيد عمر البيطار فقرروا الاضراب وخابروا الزعيم احمد افندي الشكعه وكان في مكتبه نخبة من وجهاء نابلس فوافقوا على الاضراب على ان يكون مستمراً لاجل غير معلوم فوافقوا وخابروا باقي مدن فلسطين فأضربت في الحال .

(تشكيل اللجان القومية)

بات لزاماً على الامة العناية بالعمال المضربين وذوي الحاجات فشكلت لجنة في كل بلد للعناية بهم ولمراقبة الاضراب والاتصال بالبلدان سميت اللجنة القومية . فكانت هذه اللجان تشرف على الاضراب وسيره حتى النهاية فهي تتسلم المساعدات وتوزعها على المحتاجين وهي المرجع في كل شيء فقد تعطلت الهيئات حتى البلديات فبقيت اللجان القومية هي المسؤولة وحدها عن كل شيء .

(تشكيل الاحزاب واللجنة العليا)

بعد موت موسى كاظم باشا الحسيني سنة ١٩٣٣ انتهت اللجنة التنفيذية العربية ففكر الجميع بتطور الوضع وبايجاد رئاسة الا ان الامل بالاتفاق كان ضعيفاً . وفي سنة ١٩٣٤م وقعت انتخابات¹⁸² المجالس البلدية فخسر راغب بك النشاشيبي كرسي بلدية القدس فاجتمع اصحابه من جميع انحاء فلسطين ونسقوا انفسهم باسم حزب الدفاع وولوه رئاسته . فقابلهم المجلسيون بالمثل ونسقوا حزبهم باسم الحزب العربي الفلسطيني وولوا رئاسته للسيد جمال الحسيني . وكان في البلاد حزب¹⁸³ استقلال قد توقف فاعاده رجاله واعتبرت اللجنة التنفيذية للشباب حزبا وقام الاستاذ عبد اللطيف بك صلاح واعاد تشكيل حزبه (الاهالي) باسم حزب الكتلة.

وقام الدكتور حسين الخالدي رئيس بلدية القدس بتشكيل حزب باسم حزب الاصلاح . فأصبح في البلاد ست هيئات وقد تخابرت على ان تجتمع وتتفاهم تفاديا من غضب الشعب فكونوا ائتلافا من رؤساء الاحزاب . وبمجرد اعلان الاضراب وتشكيل اللجان القومية شكل الحاج امين افندي الحسيني لجنة لتقبل الاعانات من الخارج والداخل وتفاديا من التناقض ضموا لجناتهم الى الائتلاف واطلقوا عليها اسم اللجنة العليا . وفي ٢٥ نيسان اجتمعت اللجنة العليا برئاسة¹⁸⁴ الحاج امين افندي الحسيني وقررت الاستمرار بالاضراب والقيام بجولة في جميع بلدان فلسطين وابرقت الى جميع ملوك وامراء ورؤساء العرب تعلمهم بعزمها وتستند بهم.

(تهجم ديز نكوف ورد سليمان بك¹⁸⁵)

في ٢٠ نيسان شيع اليهود تسعة من قتلاهم الذين قتلتهم عصابة مجهولة¹⁸⁶ قرب نور شمس ولما وصلوا امام بلدية تل ابيب وقفوا فآلقى الادون ماير ديزنكوف رئيس بلدية تل ابيب خطابا تهجم فيه على العرب ونسب اليهم الهمجية والوحشية .

وفي يوم الجمعة الموافق ٢٢ نيسان خرجت مظاهرات من مساجد نابلس واجتمعت تحت المجلس البلدي فخطب فيهم سليمان بك طوقان راداً على الادون ديزنكوف فنسب العدوان الى اليهود مندداً باعتداءاتهم فيما مضى وقد كان لهذا الخطاب دوي كبير محترم لا سيما بنظر الحكومة وقد اختير سليمان بك للرد لان نابلس عربية محضة كما ان تل ابيب يهودية محضة .

¹⁸¹ كانت سوريا اضربت اضراباً طويلاً دام نحو شهرين فاقتدى بهم عرب فلسطين ونظموا شؤون اضرابهم مثلهم .

¹⁸² كانت هذه الانتخابات بمنتهى التناحر ولهذا هب المعارضون ونسقوا حزبهم وولوه الرئاسة لان الغرض كان اسقاطه حتى لقد تفاهم جماعة المفتي مع اليهود على ذلك .

¹⁸³ شكله عوني بك عبد الهادي بايعاز ومساعدة الملك فيصل الاول ملك العراق .

¹⁸⁴ حتى الساعة لم يكن الحاج امين رئيساً مسؤولاً ومنذ الان اصبح رئيساً مسؤولاً .

¹⁸⁵ ومنذ الان لمعت شخصية سليمان بك واتجهت اليه الانظار واستمر يعمل ويقف مواقف طيبة وقد نفع كثيرين لا سيما في نابلس وجبلها ولكن التحامل كعادته ظل يتابعه الى ان كان الانقلاب في العراق سنة ١٩٥٧ فقتل هناك اذ كان من وزراء الاتحاد

¹⁸⁶ يترجح انهم انكليز لبسوا ملابس عربية كي يوقعوا بين الشيعيين .

(اخلاص البوليس والموظف العربي وانفته)

كان من تدليس (الوطنية) النفور من البوليس والموظف العربي واتهامه بالخيانة واتهام من يتصل به . الا ان الحوادث اثبتت خلاف ذلك وان الموظف العربي بوليسا او عاديا لم يكن اقل اخلاصا من اخوانه غير الموظفين بل اشرف من كثير من تجار الوطنية المزيفين (الوطنية) ولما كان الاضراب و صار الانكليز يغشون منازل العرب للتفتيش كان البوليس العربي يقاوم ويطلب الامهال والتريث فصار البوليس البريطاني يوجه اليه الاهانات واخيرا اطلق احدهم النار في قاقون¹⁸⁷ فقتل بوليسا عربيا واذ لم يكن بيد اخوانه بنادق بل هراوات فانهم لم يقابلوه بالمثل بل انسحبوا واعلنوا اضراب البوليس في لواء نابلس ومالوا الى ترك الخدمة فنصحت¹⁸⁸ رئيسهم العريف السيد محمود ابراهيم النجمي الغزي بالعدول الى البقاء على ان يطلبوا تبديل الهراوات بالبنادق وان يسيروا وحدهم فلا يخالطوا الانكليز فلبى طلبهم في الحال . وهكذا فقد اظهر البوليس العربي اخلاصا وكذلك سائر الموظفين وقد صاروا يقدمون عشر رواتبهم مساعدة للمضربين.



صورة السيد سليمان بك طوقان



(صورة ابراهيم النجمي الغزي)

¹⁸⁷ كان صاحب البيت يصلي الصبح فطلب البوليس العربي الامهال حتى يتم صلاته فاصر الانكليز فقاومه العربي فاطلق الانكليزي عليه النار فقتله .
¹⁸⁸ كنت على خلاف اولئك الناس فكنت اصادق الموظفين واتصل بهم واطلع منهم على اسرار كثيرة مما يجري في الدوائر ومنهم هذا العريف وكان نبيلاً مخلصاً.

(التحدي ورد الفعل)

قامت اللجنة العليا بزيارات دورية لمدن فلسطين فكانت تقابل مهرجانات كبيرة فاقفتها الحكومة وانذرتها . وفي ٧ مايس (ايار) قررت اللجنة العليا واللجان القومية الامتناع عن دفع الضرائب فصارت الحكومة تحجز امتعة الناس ولكنها لم تجد من يشتريها . واخيرا وبعد مرور خمسة اسابيع على الاضراب وبدلا من ان تلطف لندن الجو عكرته فاعلنت وزارة المستعمرات منح اربعة الاف وخمسمئة عائلة يهودية جوازات سفر لفلسطين . فرأيت ان افضل جواب على هذا هو الدعوة لنقل البضائع من الحوانيت الى البيوت . ففي يوم الجمعة اخبرت مراقبي الاضراب بأن يغضوا النظر ساعتين وخطبت في الجامع الحنبلي حيث يكثر اصحاب حوانيت الفاتورة وكلفتهم بنقل بضائعهم من الحوانيت الى البيوت ، وان الاضراب سيطول لبضعة اشهر . فخرجوا الى حوانيتهم فنقلوا ما فيها الى بيوتهم حيث باعوها ونجت من العطب واستراح مراقبو الاضراب . وقد اقتدت باقي مدن فلسطين العربية بنابلس . وقد تداركت بهذا الامر الملايين . والذين لم ينقلوا بضائعهم فقد خسروها . وقد استعملنا الدكاكين لاختفاء السلاح فيما بعد .

(مقاطعة اليهود واثرها)

لم يقاطع العرب اليهود في فلسطين فحسب بل في لبنان¹⁸⁹ وسوريا ايضا فكان لهذا اثره البالغ عليهم لاسيما تجارهم وعمالهم . ومن قرأ خطابات رجالهم شرتوك وابن غوريون وغيرهما يتحقق مفعول هذا السلاح فيهم وحنقهم على العرب وعلى اضرابهم فقد ضويقوا جدا وقد افلس كثير من تجارهم وتعطل كثير من عمالهم .

(احوال العرب في الاضراب)

كان العرب في غاية البهجة والسرور والاتحاد والتضامن وتحدي الخصوم . لقد اقلوا المقاهي وفتحوا نوادي شعبية (مضافات) وكانوا يخرجون بعد صلاة كل جمعة بمظاهرات¹⁹⁰ صاخبة وفي لواء نابلس منذ البدء كسروا القانون واصبحوا يبيعون الاشياء الممنوعة في الشوارع علنا كالدخان . وقد فتح الاطباء¹⁹¹ عياداتهم للفقراء والمضربين وصار الناس يتزاوون كالعادات السابقة وقد اوقفوا المطالبة بالحقوق وسائر القضايا وصاروا يحلون مشاكلهم فيما بينهم ولم تحدث حوادث مخلة بالامن¹⁹² وقد ارتفع المستوى الاخلاقي والادبي ارتفاعا كبيرا جعل البلد في نفسية السلف الصالح رضي الله عنهم . وكانت المجالس والسهرات تشغل بقصص البطولة السابقة واللاحقة وعن حوادث واخبار قضيتنا وقضايا العالم العربي وكانت الخطابات لا تنقطع واصبح الجميع يتنافسون في اعمال الخير وقد تبرعت النساء¹⁹³ بحليهن بالاضافة للاموال لمساعدة المضربين والثوار فيما بعد .

(الفصل الثاني)

(الارهاب والتخريب)

(الاعتقاد بعدم جدوى الاضراب)

اخذت السلطات تزدرى عمل العرب بكل شيء وقامت بسلسلة من التهجم في خطابات المسؤولين بنسبة الهمجية والوحشية والخطأ للعرب من خطاب ديزنكوف الى المندوب السامي الى وزير المستعمرات واخذوا يمنعون رجال العرب من الزيارات والخطابات فأوقفوا تجوال اللجنة العليا وعرقلوا رؤساء البلديات¹⁹⁴ وصاروا يعتقلون الشبان العاملين وصارت الحكومة تلقي النشرات الافسادية من السماء بالطائرات على المدن والقرى العربية . وصارت صحفهم وصحف اليهود تشن الغارات على العرب وتطلب من الحكومة استعمال القوة لحل الاضراب وايقافه فصار

189 تولى مراقبة المقاطعة في لبنان لجنة برئاسة السيد معروف صعب زعيم شباب صيدا وقد اصطدموا بالدرك اللبناني فقتل ثلاثة وقبض على معروف صعب رئيسهم. وكذلك في سوريا فقد كان يراقب الاضراب لفي من الشبان النشطين اصحاب القمصان السوداء برئاسة فخري بك البارودي .

190 وكانوا في المضافات والقرى يدعون سليمان بك لجولات فيخطب في النوادي والقرى ويتلوه السيد اكرم زعتر فكان لهذا العمل اثره في تهينة جو لواء نابلس.

191 وكانوا يتسللون الى الجبال لمداواة الجرحى حتى ان الطبيبين صدقي لمحسن واحمد الطاهر كانا يأتزان لئلا يدل سيرهما على مكان الجرحى

192 بلغني ان بعضهم طافوا ليلا على البيوت لجمع مساعدات باسم شراء العتاد فحققت عنهم وفي الليلة التالية احرقوا براكعة المتماذي وانذر بالقتل فانقطع الاخلال بالامن

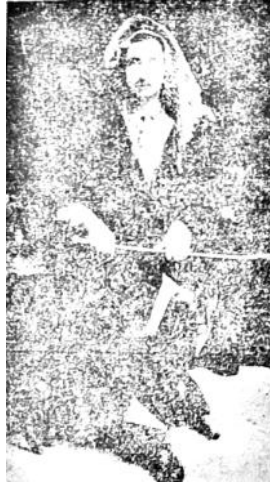
193 تقاعس الاثرياء عن تقديم الواجب خشية الحكومة في اول الامر وفي رثائي الشهيد السيد داود السل غوس دعوت المرأة للعمل والتبرع بالحلي مبعثا على المتقاعسين ففعلن واقتدت بنساء نابلس سائر نساء العرب في فلسطين .

194 عقدوا اجتماعهم في رام الله فقرروا الاضراب لحامسة شديدة قضا بها على ما كان ينسب لهم من التهاون والتراخي .

ضعيفوا الايمان يهمسون بعدم جدوى الاضراب وصرنا نعتقد بان الاضراب وحده اسلوب ضعيف قد ينتهي على غير جدوى فينبغي ان يصحبه شيء من الارهاب فيكون سلاحا ذا حدين يخيف ضعيفي الايمان والحكومة .

(الاستعداد للارهاب والثورة)

قمت بتأسيس جمعية الهداية الاسلامية سنة ١٩٣٤م للاستعداد والاعداد للثورة . ولحزب سياسي يعمل للتوجيه الصحيح . وقد وفقت لكم ذلك الا ان رجال السلطة بدأوا بعد سنة او اكثر يتساءلون ويراقبون فقد قال لي السيد منيب ابو فاضل ازكي رجال الامن العرب : (لقد اصبحت تأتي بعد الحاج امين الحسيني في الامة) . وقال لي السيد سعادة الجلاد الكرمني من ضباط المباحث العرب : (لقد راقبناك كثيرا فلم نتمكن من اتهامك) اما انا فقد وفقت الى ضم الاشخاص الذين احتاجهم وقد تفاهمنا على الخطة والعمل لها . قد اتصلوا بحراس مخزن دائرة الاشغال فحصلوا على (٧٠) اصبعاً من الديناميت ومعها الفتيل وعلى مسدس بلجيكي وبنادق صيد صار يتمرن عليها شباب الهداية .



(المؤلف احسان النمر في سنة ١٩٣٦)

(صنع القنابل والقاذوا بنظام)

كان الحاج رامز خريم¹⁹⁵ قد تعلم صنع القنابل اليدوية من النوع البسيط من السبعين اصبع ديناميت التي حصل عليها¹⁹⁶ السيد رضا عايش احد اعضاء الهداية الرياضية وكان سواقاً في دائرة الاشغال ولم يكن احد يستطيع القيام بمثل هذا العمل . وقد صنعها الحاج رامز من علب التتلك للمربيات ثم من مشاحم السيارات . وهذا يدل على ما كان عليه العرب هنا من العجز والضعف .

وبعد تهديد اللجنة العليا رمى الحاج رامز خريم القنبلة الاولى على سراية الحاكم البريطاني . فجننت الحكومة وضاعت ذرعاً بهذه القنبلة لانها لم تألف مثل هذا العمل واخذت تهدد اللجنة القومية ورئيس البلدية سليمان بك طوقان فاذيغت نشرة منهم بطلب الهدوء والصبر على الاضراب فتضايق الجميع منها فأشرفت بالقاء اخرى على مركز بوليس المدينة فألقاها الحاج رامز نفسه وكان الكل يكره مدير بوليس نابلس المستر فيتزجيرالد الذي اهان القسم بعد موته فأرأينا القاء قنبلة كبيرة على داره وكان الحاج رامز قد صنع قنبلة من نوع مشاحم السيارات فألقاها على دار فيتزجيرالد من جهة الشمال وفر الى الجبل حيث مكث في مغارة ثلاثة ايام بلباليها لان وجهه تورم ولم يكن لديه واقى لوجهه وقد فقد الوزلين.

¹⁹⁵ هو حلاق بسيط كانت دكانه بجانب مقام الشيخ بدران .

¹⁹⁶ كان الديناميت يؤخذ برخصة من دائرة الاشغال ومن وجد عنده بدون رخصة او اي نوع من انواع السلاح نكل به وحكم عليه بالسجن والاشغال الشاقة وكان حارس دائرة الاشغال عبد الجليل الحماد من بلاطه يعطي لرضا عايش .



(صورة الحاج رامي خريم)

شعرنا بسرور من الناس اجمعين وشعر البريطانيون بالتطور ورأيت احراج الانكليز اكثر فاشرت باطلاق النار على بيت مساعد البوليس البريطاني مستر ادمز فاطلقها علي قنازع ثم على بيت الحاكم البريطاني من طرف كامل يامين¹⁹⁷ وجماعته فاضطر البريطانيون الى تفسير نسايم الى الاحياء اليهودية في القدس والى تل ابيب واجتمعوا هم جميعاً في بيت مدير البوليس تحت الحراسة وصاروا يلزمون هذا البيت مع غروب الشمس الى الصباح واضطرت الحكومة الى زيادة قطع الجيش فأنتت بفرقة انزلتها في المدارس ومنها المدرسة الكائنة في دار الحاج عبدالله الطاهر من الجهة الشرقية واذ كان موقعها مناسباً اشير بالقاء قبيلة على حارس الجيش وبعد الغروب بساعة القاها السيدان شحاده التيتي يساعده خليل الباطيه وهما من اعضاء الهداية فاحدثت دويماً كبيراً .

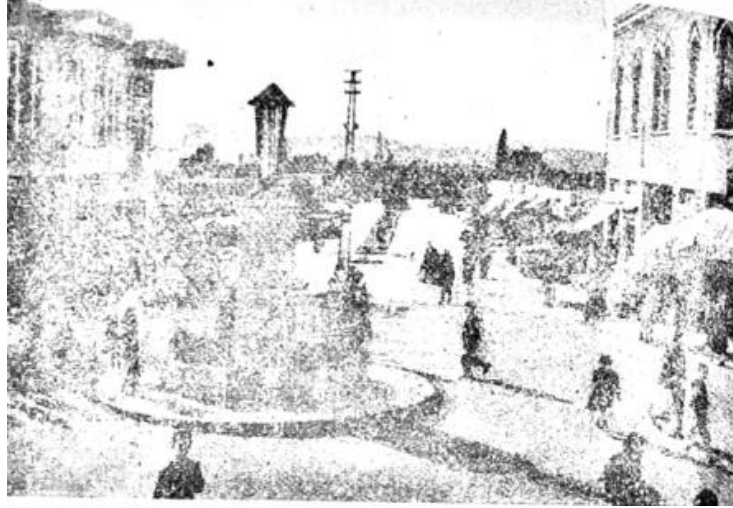
ترى هذه الامور تافهة بالنسبة لما حدث بعدها الا انها في وقتها كانت تعادل معارك كبيرة لانه لم يسبق ان تجاسر أحد على شيء من هذا لاسيما على البريطانيين الذين شمخوا واذلوا البلاد بغطرستهم وكبريائهم وقد قتلوا الروح الحربية ولم يعد احد يتصور اماكن العمل لشيء اراهابي قطعياً.

(توسيع نطاق الارهاب والتخريب)

اعلنت الحكومة منع التجول فأشرت بكسر مصابيح الشوارع لمنع دخول الدوريات الى المدينة ورفعنا الكشافة وتسلم الحراسة الارهابيون. وارسلنا من قنابل الحاج رامي عدداً الى اعضاء الهداية في طولكرم وجنين فألقوها على دور الحكومة والبوليس . اعتمدنا في جنين على السيد فارس عبد الفتاح طيبيله ومحمد ابو رقعه (قباطيه) وسهوا ابو زعرور (نابلس) وعمر الجزيرة جنين .

¹⁹⁷ هو من الجنود القدماء وكان هو وجماعته ينتسبون الى جماعة اصلاح البلاد ثم اتصلت بهم للهداية وكانوا يرابطون في جهة راس العين من مدينة نابلس مدة الثورة فقاموا بواجبات حسنة .

ثم فطنا لقطع اسلاك البرق و بث الالغام في طرق سيارات الجيش وقد وصلتنا آلتان لبث الالغام من جماعة عمان فابقينا واحدة لنابلس وارسلنا الاخرى الى اللد فوضعت لغما تحت خط القطار مع نزع القضبان فنشأ عنها تدهور¹⁹⁸ قطارات خسرت الحكومة من الجيش من جرائها خسارة كبيرة فاضطرت الحكومة الى حراسة جميع السكك الحديدية في فلسطين فاشغلت قسما كبيرا من البوليس والجيش ثم ابتكرنا لغما من اكواع المواسير وفتيل متصل بمصيدة ملطش



(صورة شارع جنين الرئيسي)



صورة خليل بك

¹⁹⁸ قام بهذا العمل ثلاثة من بواسل اللد وهم السيد حافظ صقر وكان طالبا في مصر على حساب حكومة فلسطين ولما بلغه ما حصل في بلاده ترك التعليم وجاء للمفاداة وقد استشهد بين ايدي الجنود . والسيدان محمد الدبيعي و خليل بدوية .

(الفصل الثالث) (الثورة في نابلس وضواحيها) (الاعتقال والتفتيش)

تأثرت الحكومة المنتدبة بحملات صحف لندن واليهود فلاجت الى العنف فاعتقلت امناء سر اللجنة العليا واللجان القومية في سائر فلسطين لتشل غيرهم . الا ان الناس قد استاءوا جدا وعمت اعمال الارهاب والتخريب انحاء فلسطين فلاجت الحكومة الى تفتيش القرى والبلدان فكان الجند يخرجون ويكسرون كل ما يلاقون من الجرار والاواني ليردوا على التخريب وكان تخريبهم عنيفاً جداً لمحلي باب حطة والشيخ جراح في القدس وكان الضابط (سكرست) البريطاني هو آمر التفتيش فتالم شباب الحي المذكور من هذه الاهانات وكان اشدهم ألما الاستاذ سامي الانصاري فرابط حيث يمر الضابط المذكور بسيارته فاطلق عليه النار فاصيب سكرست ورفيقه بجراح خطيرة ولكنه تمكن من الرد عليها قبل ان ينزاح الاستاذ من مكانه فاصيب واستشهد فكان لهذه المفادة وقعها الحسن في نفوس الجميع لاسيما نابلس التي توعداها سكرست بالتفتيش العنيف .

(السلاح والعتاد والتدريب)

لم يقف الامر عند حد واصبحت البلاد تفور وتتوق الى الثورة واصبحت الحكومة والسلطة والجيش يتحرشون بالناس واصبح الكل يدعو للتسلح ولم تكن البلاد خالية بالكلية . واصبح الجميع يعملون لشراء السلاح وجلبه من شرق الاردن عن طريق الغور وكانت الامارة جميعها تساعد عليها لاسيما جمعيتي عمان والسلط واصبحنا نجمع المساعدات لشراء السلاح والعتاد علناً . وكان بعض الشباب والطلاب يساعدون بعض المدربين فوجد عدد من البنادق مع شبان نابلس وضواحيها واصبحوا يتدربون على اطلاق النار . وقد قام بارشادهم عدد من الضباط والجنود القدماء منهم السادة الحاج راغب بدران والحاج رامي خريم والحاج خورشيد الشخشير واحمد كلبونه وحمد الزواتي وقد تحسن الاتصال مع جمعية عمان فكانت ترسل سلاحاً وعتاداً من مساعداتها وقد مد سليمان بك طوقان يده للمساعدة مما كان يصل اليه خاصة من الاعانات فتشجع الكل على العمل وكنت حصلت على ثقة كبيرة اثناء جمعي المساعدات لمنكوبي¹⁹⁹ صفد وابي طيبخ وفقرء المدينة المنورة فاستطعت جمع المساعدات وشراء السلاح والعتاد واصبحت اتصل بعمان عن طريق الدكتور قاسم ملحس وغيره²⁰⁰ واصبحت اتفق على المجاهدين لمصروفهم وسلاحهم وعتادهم وبهذا اصبح لدي مجال لتوجيههم²⁰¹ وردعهم عن التعرض للناس في نابلس فحسب بل والقرى المجاورة . وقد اخذ عددهم ينمو ولهذا لم يكن بوسعي ذكر اسمائهم جميعاً فأقتصرت على الطليعة والبارزين .



صورة المجاهد الحاج راغب بدران

199 هم عائلات المحكومين في حوادث البراق سنة ١٩٢٩ .
200 ان الحاج سعيد كمال امين صندوق اللجنة القومية بنابلس فكان ابنه الاستاذ واصف يرسل دفتر وصولات مختوم الى لجنة الاعانة في عمان . فيملونها ويرسلون بالثمن سلاحاً وعتاداً .
201 ثم توقف لشغب حصل فاضطرت الى السفر بنفسى الى عمان وقد علمت بعد رجوعي بأن فراغا حصل بعدي سفري .

(العصبه الاولى تطلق الرصاصه الاولى)

كان العمل قاصراً على اطلاق النار على الاهداف وفي الفضاء ولمجرد الارهاب. ولما اشتدت وطأة السلطة وفرضت منع التجول اتفق بضعة رجال شبان من المسلحين على المراقبة على الطريق العامة في الجهة الشمالية من نابلس الجديدة وصارت تطلق النار على سيارات البوليس والجيش وقد اطلقوا الرصاصه الاولى داعين الله ان يكسر بريطانيا وكان هؤلاء السادة صادق زكريا وعبد الفتاح شبارو وفوزي الجلال وراشد الصروان وصبري نصره واحمد المعلواني . وصادف مرور قافلة سيارات فيها يهود ومعهم حرس اطلقوا عليهم النار واذ لم يكن معهم الا عدد محدود من الطلقات فقد عادوا ادراجهم الى المدينة واصبحوا يرابطون كل ليلة في جهة خلاف الاخرى بعد سد الطريق بالحجارة فيطلقون عدداً من الطلقات فيجابون بالمثل ويصدر بلاغ من السلطة بانكار حدوث اي ضرر .



صورة السيد احمد معلواني



صورة السيد راشد الصروان



صورة السيد صبري نصره



(صورة الحاج فوزي الجلال)



صورة السيد صادق زكريا

(أول الضحايا والايام القاسية)

تألم الانكليز لخروج العصبة الاولى قبل الغروب بنحو ساعة فنزلت مفرزة معها مدير البوليس مستر فيتزر جالد لمراقبة منع التجول الا انه كان يتحرش بالمارين موجها لهم الالهات فاطلق عليهم وديع الداية احد الشبان النار فأدارت الدورية وجهها واطلقت النار على المارة فاستشهد السادة : حسني حماد وفوزي الطاهر وبكر الانيس وجرح السادة : صالح حمدان وامين الدلع وعادل الجوهرى وراشد ابوزهرة ومحمد الظربه وفائق ابوصفية .
وقد باتت نابلس ولهى تكلى وفي الصباح اتى القرويون وعادوا يخبرون مع التهويل . وفي ضحى النهار هاجم المجاهدون من عصيرة اماكن الجند في المدارس والمحاكم فاصلوهم وابلا من الرصاص فكانت ساعة رهيبة جداً . وبعد الظهر شيعنا الشهيد فوزي الطاهر وبكر الانيس مع التأبين 202 الى المقبرة الشرقية وبعد العصر شيعنا الشهيد الثالث حسني افندي حماد الى المقبرة الغربية مع التأبين وسارت الجناز بمهرجانات حبيب الى الشباب الاستشهاد وقد دعوت والاستاذ وليد صلاح الناس للتفرق وعدم السير بمظاهرات 203

(التعاون بين مجاهدي القوى والمدينة)

اتصل المجاهدون في المدينة والقرى المجاورة لا سيما عصيرة وزواته ورفيديا وبيت ايبا وصاروا في كل ليلة يربطون في موقع على طرق المدينة وهي : زواته ، وادي التفاح ، القشلة ، عين الصبيان ، طاحونة الخراشينة وعين كفر قليل فكانوا يسدون الطريق بالحجارة فاذا وصلت السيارات اضطرت الى الوقوف لرفع السد فيطلقون عليها النار او يفجرون الالغام (١) فتصاب السيارات ومن فيها باضرار الا انهم كانوا يغسلون الدم عن الطرقات ويعلنون عن عدم حدوث شيء (لم يحدث ضرر) .
ولم يقتصر الامر على المراقبة على الطرقات بل انهم كانوا يباغتون اماكن الجند وقد باغتوا مخيم (مفرزة جديدة) فاصابوا منها مقتلاً فكان جعير الجرحى يسمع من بعيد ومع ذلك كان البلاغ يصدر بعدم حدوث اي ضرر فاصبحت كلمة (ولم يحدث ضرر) مدار تنكيث على افواه العرب جميعها حتى الاطفال .



صورة السيد حمد الزواتي



صورة الحاج محمد ابو مدله العصري وقد بلغت جراحه نحو الثمانين ولم يمت

وكان الرؤساء في هذه الاعمال السادة : حمد الزواتي وراشد الصروان والحاج رامز خريم وصادق زكريا وكامل يامين واحمد كلبونه وغيرهم الا انهم لم يكونوا على شيء من التمرين والفن العسكري فكان سيرهم على شيء من الفوضى وكنت اراقب وافتش واباغت فتوقعت حدوث ما يحزن ويؤسف لانهم لم يصغوا لنصحي ونصح الحاج راغب بدران (المقعد اذ ذاك) واحد رجال الثورتين العربية والسورية.

202 أُنْتُهْمُ انا والاستاذ عبد اللطيف بك صلاح رئيس اللجنة القومية والسيد وليد صلاح والسيد جمال القاسم .

203 اصبح الانكليز بحالة صرع فقد اطلقوا النار على مظاهرة قروية في قضاء جنين فاستشهد السيدان حسني وتوفيق ال ارشيد وفي غزة السيد عز الدين ابو شعبان فرأينا ايقاف المظاهرات ما دام ان المجاهدين قد تظاهروا بسلاحهم في الجبال .

(الصدمة المحزنة والفرح السريع)

نما عدد الثوار المجاهدين فطمع احد قادتهم السيد صادق²⁰⁴ زكريا المجاهد الباسل الى المراقبة العلنية حتى النهار ليختبر الموقف فطوقهم الجند وكان عددهم (٧٥٠) جنديا ولما شعروا بالطوق اخذوا بالانسحاب وبقي ضمن الطوق ستة فاستشهد اثنان وهما الشهيدان محمد بشير الشيخ ياسين وداود السلعوس واسر السيدان صادق زكريا واحمد المعلواني وتفلت السيدان فوزي الجلال وعبد الرحيم محمد المسعود الرفيدي ونجيا بمساعدة امراة من ال سويسيه وهي فاطمة بنت رشيد سويسيه . كان لهذا الامر رنة أسي في نفوس الجميع واصبح واجبي العمل السريع لرفع المعنويات وفي تأبين الشهيدان اعلنت ان استشهاد اثنين لن يؤثر على الوضع لان في نابلس ثلاثة آلاف باسل من الذين شهدوا الحروب والثورات ومثلهم من الشباب الجدد وقد دعوت المرأة الى الاشتراك والتبرع . الا ان المعنويات عند المجاهدين في نابلس قد انخفضت وعبثاً حاولت اقناعهم بالخروج وكنت اتجول وانتقل بصورة غير عادية اذ كنت اخشى ان يتجاسر الجيش على نابلس ويفهم انه لم يبق احد من المجاهدين .



صورة المجاهد الحاج خليل عبد القادر السميرات الذي جهز الفرقة وغيرها

وبينما كنت في اشد الضيق وصلني رسول العصبة الباسلة من بواسل غور الفارعة وكانوا احد عشر مجاهدا بقيادة الشاب الباسل السيد عبد الرحمن بن الشيخ²⁰⁵ خليل السميرات وهم يحملون سلاحاً جديداً وهم يريدون رأيي فارسلت لهم تكليفا بمباغثة ثكنة الجند (السجن اليوم) وان لا يقتربوا من نابلس بل يرجعوا بعد اطلاق النار . وبعد الغروب بساعة دوى رصاصهم على قشلة الجند والمواقع في الجبهة الشرقية فأحبوا القلوب وانني حتى تلك الساعة لم اسر كسروري بهذه النجدة . وقد استمروا في الجهاد الى ان استشهد السيد عبد الرحمن في معارك فوزي بك القاوقجي الاتية .

(تأثير ما حصل على شبان القرى في اللواء)

كان لاستشهاد ابناء مدينة نابلس واسرهم وقعا بعيدا في نفوس شبان القرى اذ لم يصدقوا ان ابناء المدينة يخرجون الى الجبال ويظلمون في قتال مع الجيش حتى النهار . فكان هذا تحديا عظيماً لهم فتباروا وتنافسوا لاقتناء السلاح والتدريب عليه والمرابطة على الطرقات وعمت الحماسة جبل نابلس جميعه وبهذا كان لفقد هؤلاء فوائد ونتائج عظيمة فانطبق مفهوم الآية : (وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

²⁰⁴ هو ابن تاجر الفاتورة الحاج رشيد زكريا كان من أعضاء الكف الاسود التي تشكلت في شرق الاردن لاغتيال البريطانيين ولما انكشف امرها لم يعترف بشيء رغم ما أنزل به من التعذيب والاهانات وفي هذه المرة ترك بندقيته هو وصاحبه بعيدا ولهذا لم يحكما بالاعدام بل حكما بضع سنين لانهما قررا بانها كانا نائمين في هذه البقعة اذ انهما كانا تأخرا ولم يتجاسرا على الرجوع خشية نظام منع التجول ثم اطلقا بعد انتهاء الحوادث واستمرا على جهادهما .

²⁰⁵ هو ابن الشيخ عبد القادر خليل السميرات من عرب المساعيد في غور الفارعة وهو الذي جهزهم ودفعهم الى الجهاد واستمر يجهز ويسلح حتى آخر الاضراب.

(تفجير انابيب البترول)

فطن المفكرون لتفجير انابيب البترول العراقي وكان لشركة بريطانية فذهبت فرقة من شبان قرى جبل 206 نابلس فاطلقوا الرصاص من بنادقهم على الانابيب فتفجرت واشعلوا فيها النار فكان لهذا العمل تأثير كبير شغل بال الانكليز فاضطروا الى حراسة الانابيب من حيفا الى الصحراء عدة سنين.

(الفصل الرابع)

(اتساع نطاق الثورة)

(في قضاء جنين)

على اثر اطلاق الانكليز النار على المظاهرة واستشهاد ابناء ارشيد ثار القضاء واتفق ال ارشيد مع فخري بك 207 عبد الهادي على المراقبة للجيش لاختذ الثار فربطوا للدوريات والسيارات الانكليزية واليهودية في وادي دعوق ومواقع حريش وجبع والفندقومية وقباطية ووادي عاره وععره .
تم خرج السيد فوزي الجرار بفوج من المجاهدين وصار يهاجم المستعمرات والقوافل اليهودية ودوريات الجيش في المواقع الآتية : عين حارود (في مرج ابن عامر) وعين دور (قرب العفولة) وغيرها من مواقع جنين وهو من جماعة المفتي الحاج امين الحسيني .

(في وادي الشعير) 208

كان السيد عبد الرحيم الحاج محمد قد تورط مع اليهود في مشكلة فطورد من الحكومة فهاجم المستعمرات اليهودية وخرج على الحكومة قبل الحوادث ولما حصلت الحوادث ضم اليه اخرون 209 وصار يربط على الطرقات ثم اتصل بالسيد عبد الحميد المرداوي والسيد ابراهيم النصار من رجال الوادي فقاموا باعمال مشتركة وتولى امر التنظيم السيد ابراهيم النصار (عنبتا) وكان من رجال الجيش العثماني فالثورة العربية فقاموا بالمراقبة في المواقع الآتية : عقد السبوبة ولية بلعا والمنطار ورأس العين ووادي عزون وكفر صور ثم قاموا بمعارك منظمة اهمها معركة نور شمس المشهورة التي قام بتنظيمها السيد ابراهيم النصار حينما بلغه خبر مرور الجيش الآتي من حيفا الى نابلس وكانت معركة عظيمة بدأت في النهار ودامت الى الليل وبلغ امتدادها مسافة عشرة كيلو مترات شرقاً وقد اشتركت فيها الطائرات البريطانية التي اسقطوا احداها وقد خسر فيها الانكليز عدداً كبيراً منهم ولم يستشهد من المجاهدين الا اثنين وجرح بضعة مجاهدين ، حدثني المجاهد الباسل السيد ابراهيم النصار عن هذه المعركة فقال : (وردتني كمية من الفشك وبطاقة من سليمان بك طوقان يذكر فيها ان فرقة من البحارة الانكليز ستمراتية من حيفا الى نابلس فربطت لها.

بدأت المعركة بعشرة اشخاص الساعة الواحدة بعد الظهر وتوالت على النجدات وقد جعلت بين كل واحد وآخر عشرة امتار وبعد اقامة سدود وصل الجيش فاطلقنا عليه نيران بنادقنا وهم يحييون وقد استمر امتداد السدود والمراطين الى مسافة عشرة كيلو مترات وقد دامت المعركة تسع ساعات وقد بلغ عددنا المئات وتكبد الجيش البريطاني خسائر منها طائرة اسقطناها ولم نخسر سوى شهيدين وبضعة جرحى .

206 عرفت منهم السادة : احمد بن عبد الله الصلاح (بيت فوريك) ومحمد سعيد القصقوص ومناور الفوريكي وقد أرسلهم الدكتور مصطفى البشناق معتمد الحاج امين الحسيني اذ ذاك بدلالة السيد فايز خويره وساعدهم في بيسان السيد يوسف عبد الفتاح اغا طوقان الذي كان ينزل هناك في بيارتهم التي اشترى ارضها لانقاذها من براثن اليهود.

207 ظهرت بسلاته منذ العهد العثماني اذ خرج على القانون في ذلك العهد وهو رجل باسل جداً .

208 الوادي الكبير الواقع بين نابلس وطولكرم وهو يقسم الى شرقي وغربي وتقع عنبتا في منتصفه .

209 وكان يستمد العون من طلاب نابلس بواسطة ابن اخته السيد رفعت النمر والاستاذ قدي طوقان ثم من سليمان بك طوقان.



السيد احمد المحمود الجوريشي



السيد ابراهيم النصر العنبتاوي



السيد عبد الرحيم الحاج محمد ومساعدته وولده

في مشاريق نابلس

وجد في هذا الوقت شابان من قرية عقربا وهما خميس المصطفى وعبدالله البيروتي كانا على جانب من البسالة والتدريب على السلاح وكانا مطرودين للحكومة بثارات وقد انضم الى كل منهما جماعة من ابناء المشاريق الا ان مرابطاتها كانت قليلة. ولما انتقلت الى²¹⁰ عمان اعتمدت الرجل الامين السيد احمد المحمود الجوريشي لنقل العتاد²¹¹ الى مشاريق نابلس فسلمه لهم فاصبحوا يرابطون على طريق القدس نابلس طيلة ايام الثورة بقيادة الباسلين المذكورين فكان هذا العمل اثر كبير لان طريق الساحل اليهودية لم تكن انشئت وكانت قوافل سيارات اليهود والحكومة والجيش مضطرة للمرور من هذه الطريق الى شمال فلسطين لاسيما الى حيفا . وقد تحركت طوباس وناحيتها وصاروا يرابطون على الطرقات فحصلت معارك تل الحمة وجسر ابي الفيران ووادي البادان وغيرها من المواقع التي كان لها اثرها ودلت على التهاب جبل نابلس جميعه بالثورة . وقد كان لالتهاب مناطق المشاريق بالثورة اثرها لجوارها للغور وطرقاته التي يهرب منها السلاح والعتاد .

في باقي فلسطين

ظهر بعض الثوار في جهات صفد فحصلت معركة الطواحين غربي صفد وقد هاجموا مستعمرة نجمة الصباح . وخرج الشيخ عبد الحفيظ الى الفيلات في جبل الخليل فاستشهد في المعركة الاولى . ودخل منطقة بيت لحم سعيد²¹² بك العاص بدلالة عبد القادر بك الحسيني فاصطدما بالجيش البريطاني فاستشهد سعيد بك وجرح عبد القادر بك وحصلت معركة المظله على حدود سوريا ومعركة حلحول في قضاء الخليل وقد اتهموا يافا بتهريب السلاح والعتاد من ساحل البلدة القديمة فسفوها بالديناميت بصورة لم تسبق .

²¹⁰ كان المجاهدون يراقبون مستر فيتزجيرالد لقتله انتقاماً للقسام ولشهدها نابلس وكان لا يغادر بيته وفي احدى الليالي خرجت سيارته الى مركز البوليس فاطلق الثوار عليها نيرانهم فلم يصب فاندزت الحكومة سليمان بك واللجنة القومية بنسف البلد ان تكرر هذا فانذروني باخراج الثوار فوقع سوء التفاهم بيننا فاحرج موقفي. وكشفت مؤامرة لحل الاضراب لقاء مبالغ من اليهود فضححتها فاحرج موقفي ثانية وحصل سوء تفاهم بيني وبين جماعة عمان فوجدت انني اذا لم اخرج اعتقلت فخرجت على الخيل الى عمان

²¹¹ كان الحاج امين الحسيني اعتمد عادل بك العظمة واخوانه من الاستقلالين لشراء السلاح والعتاد ولما وصلت الى عمان اشتركت معهم بتوصية من سماحته فاتفقنا على امداد المشاريق قبل كل شيء وبعدها لنابلس بواسطة الشيخ محمود العوده والسيد سليمان ابو عصبه (من عصيرة) .

²¹² اجتمعت بابي سعاد (سعيد بك) العاصي في عمان فسالته عن موقفه من ثورتنا فقال انني انتظر تصديق المعاهدة السورية والحكم الوطني فادخل فلسطين فاذا حكمت بالاعدام رجعت الى سوريا فيكون قد صدر العفو عني فنصحته بعدم دخول فلسطين لانه مراقب ولان قاتله يدخل معه وهذا ما حصل بالفعل الا ان عبد القادر بك الحسيني حمسه واتفقا على الدخول والاشتراك .

(الفصل الخامس)
(اشتراك العالم 213 العربي في الجهاد)
(العمل للتطوع والانجاد)

كان الوفد العراقي الذاهب ليدرس حالة سوريا ومصر بعد تحرهما مر عن فلسطين فقال له احد الخطباء الفلسطينيين : (انقذونا يا قوم فقد كاد اليأس يقتلنا وتذهب ريحنا) . فرد عليه سعيد بك ثابت رئيس الوفد : (لا تنتظروا ان نأتيكم بتجريدة ابدأوا انتم وعلينا الباقي) .

ولما تأكد العراقيون لا سيما حزب الاستقلال من جدنا وثورتنا هبوا يعملون لنجدتنا فأقالوا فوزي بك القوقجي من الجيش العراقي 214 ورأسوه قيادة المتطوعين لجهاد فلسطين وقد ضموا اليه عدداً من المتطوعين العراقيين واتصلوا باخوانهم في شرق الاردن وسوريا ولبنان يجمعون المتطوعين ويعدون السلاح والعتاد .

وفي عمان قام بالعمل للتطوع والجهاد عادل بك العظمة ومنصور بك قداره (مدير فرع البنك العربي) وهو من طرابلس الغرب وطاهر بك الحقة والاستاذ محمد علي دروزه وسليمان باشا السوداني والسيد عبد الله ابو قوره وسعد الدين آغا المهاني والشيخ قاسم الامعري والحاج خليل العريزي وفي نفس الوقت كانوا يتصلون بالحاج امين افندي الحسيني في القدس وبالحاج اديب خير في دمشق للتطوع والسلاح . وكانت الحكومة والامراء يعطفون ويمدون الثورة

(العمل لادخال المتطوعين الى فلسطين)

لما خرجت الى عمان كنت انوي قضاء بضعة ايام ثم اذهب الى دمشق فالسعودية . ولما اتصلت بالاستقلايين وتبينت الموقف والاستعداد اقنعوني بان وجودي في عمان ضروري جداً لاسيما ان شباب فلسطين قد تقدموا طائعين للاعتقال ولم يبق من يساعدهم . لقد اقمنا في عمان وصرنا نجتمع في بيت عادل بك العظمة وقد حضر اجتماعنا الاول بعض اشخاص عن صفد والقدس والخليل فأقنعت الجميع بادخال المتطوعين الى المنطقة الشمالية من جبل نابلس فقط . ووافقوني على تغيير الطريق عن عمان الى اربد طوباس مع اعتماد السيد امين المحمود من طوباس على ان يدخل مع المجاهدين اشخاص من القرية التي سيحل بها المجاهدون كأدلاء ومعرفين فوافقوني وكلفوني لاحضار اشخاص الذين ارغب بهم لهذا الامر . فارسلت فاحضرت الشيخ محمد العوده والسيد سليمان ابو عصبه من عصيرة الشمالية والسيد جميل الفارس والعبد الصادق (من طلوزه) والحاج رشاد زيد والسيد رشيد العينيوسي من طوباس .

213 بانتقالي الى عمان فدمشق ولبنان اطلعت على احوال العالم العربي جميعه فوجدت ان امانة الاردن تعمل لثورتنا وقضيتنا حكومة وشعبا فالموظفون يقمون عشر رواتبهم واهل اليسار يجمعون المساعدات من وقت لآخر ويشتررون السلاح والعتاد ويرسلونه لفلسطين حتى ان سيارات اصحاب السمو طلال ونايف والدهم كانت ترسل لسوريا وبيروت لتغيير لونها وترجع مشحونة بالسلاح والعتاد . اما في العراق فانهم شكلوا لجنة باسم جمعية الدفاع عن فلسطين برئاسة سعيد بك ثابت وعضوية كل من السادة عبد اللطيف كمال ونعمان العاني وسليم ثابت وابراهيم عطار باشي .

وقد قاموا بجمع المساعدات والحض على التطوع وعملوا لحل القضية واستمروا يعطفون علينا . اما سوريا فقد كانت تجمع المساعدات والمتطوعين الا انها لم تظهر حماسة لان المستشار دافيد اليهودي في حلب كان يضبط عليهم وكانوا في دور الحصول على معاهدة . انما الذي ادهشني اهتمام الحوارة فقد كانت تبرعاتهم تعادل سوريا جميعها وكانوا يساعدون المارين من الفلسطينيين وذلك لان مظاهرات يافا ثم الاضراب انما وقعت بعد قتل اليهود اثنين من حوران . وباشتعال الثورة اصبحوا يهاجمون القوافل والمستعمرات اليهودية . اما في لبنان فكان يجمعون التبرعات وقد هب

214 هو من طرابلس الشام كان قائد درك في حماة في الثورة السورية فاحتل الدرك للثورة وظهر اسمه ثم ذهب الى العراق فتوظف هناك . شبابهم لضبط المقاطعة وكانت صحفهم تحمل حملة شعواء على بريطانيا وقد تطوع للجهاد نخبة من ابنائهم بقيادة حمد بك صعب فانضموا لجيش فوزي بك .

اما مصر فكانت هادئة في بادئ الامر الى ان عقدت معاهدتها مع بريطانيا فهبت حكومة وشعباً تحمل صحفها وتقوم هيئاتها بجمع التبرعات وارسالها . اما اليمن والسعودية والكويت فقد قامت فيها المظاهرات وجمعت التبرعات ورغم شدة الاستعمار على المغرب العربي فانهم هبوا ينظرون ويحتجون ويتبرعون منذ سنة 1929م لان حوادث البراق قامت لان البراق بجانب زاوية سيدي ابي مدين المغربي فكان لحركاتهم واعمالهم تأثيرها في الضغط على فرنسا التي لم تكن تقل في عطفها على قضية اليهود من بريطانيا .

وقد خرجت ومعهم بعضهم من عمان الى اربد²¹⁵ ووافاني الباقون الى اربد ايضاً . وقد سلمتهم لسليمان باشا السوداني فانزلهم في بيته في سما الروسان فانظروا عشرين يوماً حتى وصل فوزي بك القاوقجي وجيشه المكون من لبنانيين وعراقيين وسوريين وارمنين فساروا معهم الى فلسطين.

اما انا فلم اتمكن من البقاء في اربد سوى ثلاثة ايام فذهبت مهربا الى دمشق فنزلت في بيت رئيس اقاربنا القديما فارس اغا المهاني نحو ثمانين يوماً مكرماً اعمل للقضية.



(صورة السيد عادل بك العظيمة)

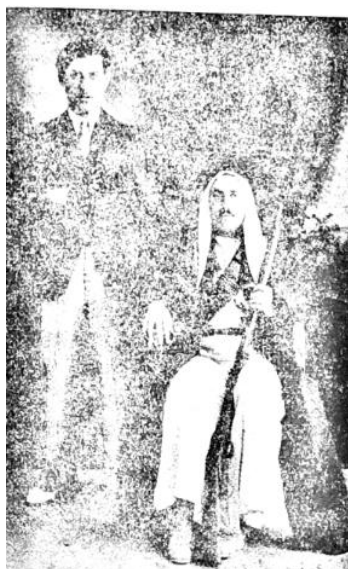


(صورة الشهيد جمال الجقه العماني)

²¹⁵ حاول عادل بك العظيمة اقناعي بالدخول مع المجاهدين فاكنت له بان صحتي لا تتحمل العيش في الجبال وانه حالما ينكشف امري بقبض علي وتهدم دورنا وتتكبد مشيرتنا فلا ينتج الا الضرر اما بقائي طليقا فانهي اعمل للقضية جهدي . وبالفعل فان عمان عجت بذكرى ومرافقتي فخرجت الى اربد وفي اليوم الثالث من وصولي طليبي صدقي بك القاسم وابلغني انه قد وصله عشرة تقارير تتهمني باثارة المنطقة وانذرتني بالخروج - وكنت رتبت التسلل الى دمشق بواسطة سعدي اغا المهاني - فطلبت سليمان باشا السوداني من عمان وسلمته الرجال المذكورين اعلاه وسافرت الى الرمثا فنزلت على ابناء فواز باشا البركات فاعطوني دليلا سار معي الى حدود درعا ثم دخلت درعا. فالميدان بدمشق فبقيت شهرا لم يدلوني على عمل الى ان نزلت الى معرض دمشق فاجتمعت بالسيد كامل البني وكيل جريدة الايام فقدمني لمحرر الجريدة فصرت اكتب فيها وفي القبس وفي الف باء وفي الجزيرة بتواقيع مستعارة . وقد زرت القنصلية السعودية وحاولت التفاهم مع رشيد باشا الناصر فلم اتمكن ثم جاء قائمقام جده ليودع فارس اغا المهاني فخلوت به واعلمته امري فدلني على بيته فذهبت وهناك سلمته رسالة شديدة لجلالة الملك عبد العزيز بن السعود كان لها وقع شديد في نفسه فارسل يستخبر عني من الامير شكيب في سويسره وهذا ارسل يستخبر من نابلس . وفي دمشق ايضا كنت اعمل مع العاملين لتوريد السلاح ولانقاذ من تورطوا بسببه الى ان انتهى الاضراب فعدت الى نابلس .



سدي اغا المهابني من العاملين معنا



الشهيد علي العبوبي السلطي



صدقي بك القاسم

(دخول فوزي بك وتنظياته)

لما استكمل فوزي بك معداته ورجاله ومعه امين سره حميد بك سليمان العراقي وجميل بك شاکر وقاسم بك الكردي العراقيين والشيخ محمد الاشمر الدمشقي الميداني وحمد بك صعب من الشويفات بلبنان ومعهم نحو (١٥٠) متطوعاً وقد لحق بهم السيد منير الرئيس الصحفي الدمشقي والسيد بهاء الدين الطباع الخبير بالاسعاف ودخلوا عن طريق طوباس واختاروا (ياصيد) لتكون مركزاً لهم وبمجرد استقراره فيها انشأ مكتباً مركزياً وفرعاً للاستخبارات وصار يصدر بلاغات رسمية²¹⁶ وقد تفاهم مع قواد الثورة المحليين فعين فخري بك عبد الهادي نائباً له ووزع باقيهم²¹⁷ على المناطق حسب الخطط العسكرية وقد سير العمل حسب خرائط كان يرسمها وقد وفد عليه وجهاء القرى وتفاهموا معه وقد قبض على ثلاثة جواسيس²¹⁸ فحاكمهم وحكم عليهم بالاعدام ففضى بذلك على الفساد في مقره.



(صورة الشيخ محمد الاشمر وامين سره)



(صورة سليمان باشا السوداني)

²¹⁶ صدر البلاغ الاول في ١ اجمادى الآخرة سنة ١٣٥٥م الموافق ٢٨ اب سنة ١٩٣٦م

²¹⁷ وهم السادة عبد الرحيم الحاج محمد وعبد الحميد المرادوي وابراهيم النصار

²¹⁸ عقدت هذه المحكمة برئاسة فوزي بك وعضوية الشيخ محمد الاشمر وفخري بك عبد الهادي والسيد عبد الرحيم الحاج محمد وقد نفذ الحكم بواحد ومات الاخران من الضرب.



(صورة فوزي بك وفخري بك)

(معارك فوزي بك)

رابط فوزي بك بجيشه في مواقع اختارها ونظمها تنظيمًا عسكريًا ف وقعت المعارك الآتية : بلعا وجبع وبيت امرين وكفر صور وقام قواد الفصائل بمعارك منفصلة فهاجموا مراكز القيادة البريطانية في نابلس وبعض المستعمرات اليهودية في قضاء جنين فحصلت معارك المراح وعين حارود وتل يوسف والدلهمية . وللتخفيف عن جبل نابلس قام المجاهدون بمعارك في اطراف فلسطين فحصلت معارك حلحول والجاعونة وترشيحا ومستعمرة جسر المجمع . ولقد كان لهذه المعارك اثرها وما كانت تبدأ المعركة حتى تتقاطر النجذات من كل صوب . وقد حاول الجيش تطويق فوزي بك ومن معه من المجاهدين مرارا بقوى الجيش بكاملها ففشلوا لان الجيش كان حالما يعمل للتطويق يفاجأ بالنجذات من ورائه . وكان الجيش البريطاني قد بلغ اربعين الفا وقد الغيت مناوراته في لندن وعينو له الجنرال دل من كبار قوادهم ، وقد اضطر الى ذكر خسائرهم في الارواح والاموال لان بلاغات الثورة كانت تفضحهم .

(خروج فوزي بك ومن معه)

بعد شهر ونصف من دخول فوزي بك لفلسطين صدر نداء الملوك فانسحب فوزي بك ورجاله ومعهم بعض قواد وثار البلاد ونزلوا في كفر سوم من لواء اربد وقد انسحب بعزة وكرامة تشييعه افواج البلاد من جميع الجهات . فقد حصل التفاهم مع الانكليز على خروج فوزي بك دون ان يعرض لهم او يعرضوا له بسوء الا انهم نكثوا ورابطوا له في طريقه فبلغ الخبر ثوار البلاد فتطايروا لنجذته من كل صوب فاضطر الجيش الى فتح الطريق له بعد مخابرات مع المندوب السامي وقائد الجيش قامت بها اللجنة العربية العليا وسليمان بك طوقان . ثم الح الانكليز بخروجهم من شرق الاردن فانتقلوا الى سوريا والعراق فاستقبلوا استقبالا رائعا.

(احوال البلاد اثناء اشتداد الثورة)

كان الجيش يغطي فشله وعجزه بالتحرش بالمدينين بالاعتقال والتطويق فاعتقلوا امناء اللجان القومية مرارا واعتقلوا جميع من امكنهم اعتقاله من الرجال العاملين حتى ملأوا معتقلات²¹⁹ صرفند والمزرعة (في عكا) . وقد وجهوا لومهم وتسلبهم على سليمان بك وفي بعض اليالي ولما كثر اطلاق النار على مركز القيادة اخذوا سليمان بك من بيته ووضعوه على سطح مركز القيادة معرضاً للخطر قائلين له اسمع اعمال قومك.

(الفصل السادس)

(ايقاف الاضراب والثورة)

(المساعي الاولى)

بدأ السعي لوقف الاضراب المندوب السامي البريطاني مع اللجنة العليا فحاول اقناعهم بوقف الاضراب واعدا بمجيء لجنة تحقيق ملكية ذات صلاحية عالية حسب التقاليد الانكليزية فأعلموه ارتيابهم باللجان مهما كانت ثم وسطوا سمو

²¹⁹ كانوا يتقدمون فرحين وقد تغنوا في اطلاق اللحي وليس الكوفيات والعبي واخذ الصور ولم تنتفع الامة منهم بشيء

الامير (الملك) عبدالله بوعد اللجنة الملكية فطلبت اللجنة العليا وقف الهجرة اليهودية حالا كدليل على حسن النية فلم يوافق المندوب على هذا .

وسترا على نجدة فوزي بك ورجاله التي بدأت من العراق اعلن الغازي والهاشمي²²⁰ عزمهم على ارسال نوري باشا السعيد للتوسط باسم العراق . وكان قد مر على الاضراب اربعة اشهر فطلب وقف الاضراب على وعد مؤكد . وقد نزل نوري باشا السعيد ضيفاً على المندوب السامي ليوجد الريبة وكان يتصل باللجنة العليا . وبعد مفاوضات اشترك فيها سمو الامير فوافقوا على وقف الاضراب بتعهد من الملوك . الا ان الانكليز انكروا توسيطهم نوري السعيد بالكلية . وقد بيتوا قمع الثوار بالقوة فزادوا الجيش واتوا بالجنرال دل واستمرت الثورة .

(وساطة ملوك العرب)

لقد عم الاستياء من الانكليز ومراوغاتهم واشتدت الثورة والاضراب وحصلت معارك كبيرة بعد مجيء فوزي بك فاتي الانكليز عن طريق جلالة الملك عبد العزيز ال سعود فأبرق الى اللجنة العليا والى اخوانه ملوك العرب بموافقة الانكليز على اصدار نداء بوقف الاضراب والثورة بنداء يصدره ملوك العرب مع استعداد الانكليز للنظر في مطالب عرب فلسطين فأجابت اللجنة العليا بالقبول وخبر جلالته اخوانه لوضع الصيغة المناسبة للنداء .

(النداء الملكي)

القدس : بواسطة رئيس اللجنة العليا .

الى ابنائنا عرب فلسطين :

لقد تألنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبدالله ندعوكم للاخلاق للسكينة حقناً للدماء ومعتدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدالة . وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدكم .

٩ تشرين اول سنة ١٩٣٦

يحيى عبد العزيز غازي عبد الله

(وقف الاضراب والثورة)

بمجرد وصول النداء الملكي اجتمعت اللجنة العليا فقررت اصدار نداء من طرفها منادية بوقف الاضراب والثورة منذ فجر اليوم السادس والعشرين من رجب سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لليوم الثاني عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٩٣٦ م فبعد صلاة الصبح خطب رؤساء اللجان في المساجد حامدين الله تعالى على وقف الاضراب والثورة بهذه الخاتمة المشرفة فخرج الناس الى حوانيتهم واعمالهم .

(الفصل السابع)

(حصيلة الاضراب والثورة)

(الخسائر في الارواح والاموال)

بلغ عدد شهداء ارباب وثورة ١٩٣٦ مائتي شهيد وعدد الجرحى تسعمائة جريح والاسرى سبعة²²¹ . وهي تعادل نحو ربع خسائر الانكليز واليهود او اقل . اما الخسائر المادية فلا تحصى فان اضراب البلاد جميعها وتعطيل الحركة افلس

²²⁰ كان على الوزارة العراقية ياسين باشا الهاشمي المعروف باخلاصه للقضية العربية وعلى عرش العراق الملك غازي المعروف بجراته وعدم مبالاته بالانكليز

²²¹ وهم صادق زكريا ومحمد المعلواني وقد مر ذكرهما والسيدان محمد الحاج اسعد (العصري) وعادل رزق المصري وقد حكما اعداماً ثم انزل الى المؤبد ثم عفي عنهما والسيد عبد الفتاح الاسمر (من نابلس) وقد قبض عليه بسلاحة في قضاء طبريا لانه كان من الذين يرابطون في قضاء صفد فحكم مؤبداً وبعد قضاء مائة شهر في السجن عفي عنه ، وشخص اخر من سوريا من قرية المزة حكم بالاعدام ونفذ الحكم فيه اذ لم يفتن اليه احد واسر السيد عبد القادر الحسيني وهو جريح وقد ساعده شبان نابلس على الفرار من المستشفى . اما المعتقلون فقد افرج عنهم بمجرد انتهاء الاضراب بالتدريج فكان الناس يتوافدون للسلام عليهم كالحجاج .

بسببها كثير من اصحاب المصالح والتجار وقد نسف على حدود تل ابيب ٩٩ داراً للعرب ونسفت في يافا القديمة (٢٢٠) داراً واثناء تفتيش الجيش للقرى²²² والاحياء كان يكسر ويسيء فلا تقدر الاضرار التي نتجت من عنفه . وقد نسف الجيش على اثر التفتيشات نحو مائة دار في مختلف انحاء فلسطين .

مميزات ثورة واضراب ١٩٣٦م

في هذه الفترة بلغت نفسية الشعب العربي الفلسطيني من السمو ما جعله في عهد كعهد السلف الصالح رضي الله عنهم . فكانوا من النبل والاخلاص مالا مزيد عليه فكان التعاون والتضحيات لا تنقطع وعلى اتم قصد وقد انقطع الفساد واصبح الكل يتطلع الى الاعمال . وقد اغلقت الخمارات والمقاهي ولازم الجميع اماكن العبادة والمجالس الشعبية . وقد ختمت بتعهد الملوك فاشتركوا في المسؤولية وهذا هو هدفنا من الاضراب والثورة . اذ لم نكن نطمع بالقضاء على بريطانيا واليهود بل من اجل مطلبنا ان نسمع صوتنا للعالم الخارجي . واصبحت قضيتنا عربية كبرى اذ انضمت مصر بعد ان وقعت المعاهدة البريطانية المصرية كما سيتبين .

تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع

²²² فتش الجيش على هذه الصورة القرى الاتية : قوله ، وكريعات ، وعابود ، وعلما ، وعافر ودير نظام ، وبيت امرين ، وبرقة ، وقاقون ، وقد فتشت حي الشيخ جراح وباب حطه في القدس وكان الجيش ينوي تفتيش نابلس فانذر سليمان بك القائد بواسطة المندوب السامي بان تفتيش نابلس ينتج عنه حرب شوارع فعدل عن التفتيش .